المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها
ماجستير الدراسات الأدبية

بلاغة التراكيب

في كتاب الإيمان من صحيح مسلم

Structural Rhetoric
in the Book of Faith in Sahih Muslim

بحث لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في الآداب

تخصص دراسات أدبية

إعداد الطالبة

نوير عيد مرزوق الفريدي

الرقم الجامعي

٣٢١٢١٦٥٧١

إشراف

الدكتور/ إبراهيم عبد العزيز زيد

أستاذ البلاغة والنقد المشارك

جامعة القصيم

العام الجامعي

١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

فإن أحاديث نبينا ﷺ قد حوت صنوف البلاغة، وألوان الجمال والفصاحة، وعبرت أدق تعبير عن أصول الإيمان ومبادئ الدين.

وهو يستمد ذلك من وحي الله تعالى له، قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[1].

فهو كما يقول الجاحظ عن بلاغته ﷺ: «... لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام...، ثم لم يسمع الناس بكلام قط هو أعم منه نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلامه ﷺ»[2].

وهذا الجمال الفني في بلاغته ﷺ إنما يرجع إلى سموه الروحي، واتصاله بالملأ الأعلى، حيث أراد الله ﷻ أن تكون دعوة خاتم الرسل نقطة تحول في حياة البشرية وتاريخها.

ولقد ظهر في أمة تتأثر بسحر البيان، وتخضع لسلطان الفصاحة، فلا عجب أن كان أبلغهم وأفصحهم فكلامه كلما زدته فكرًا زادك معنى، وكلما تأملت تركيبه تكشف لك عن دلالات عميقة.

ولقد بلغ ﷺ الغاية في سلامة الفطرة، ونقاء القلب، وذكاء الذهن، ونفاذ البصيرة...وقد ساعده ذلك على تصريف الكلام، وتوليد المعاني، واشتقاق المباني، مما يعد جديدا في بابه ليس لهم إلا القليل منه...من ذلك قوله ﷺ: ((مات حتف أنفه...الآن حمي

---

(١) النساء: ١١٣.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١/ ١٩.

الوطيس...هدنة على دخن...هذا يوم له ما بعده...رويدك رفقا بالقوارير...))، إلى غير ذلك من جوامع كلمه ﷺ.

وهذا البحث سوف يكشف عن وجه من وجوه بلاغته عليه السلام.

تساؤلات البحث:

هناك أفكار دعتني إلى هذا البحث منها:

١- ما مقومات البلاغة النبوية؟.

٢- ما سمات هذه البلاغة، في أفانينها المتعددة، وخاصة بلاغة التراكيب؟.

٣- هل استطاعت التراكيب اللغوية في إطار الهدْي النبوي أن تثري الدلالة المطروحة وهل تباينت فيما بينها في بيان هذه الدلالة؟.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

حظي البيان النبوي- في السنوات القليلة الماضية- بنصيب كبير من الدراسات البلاغية، فانصرفت جهود الباحثين إلى رصد الفنون البلاغية المختلفة ودراستها، والكشف عن عناصر الإحكام والجدة والابتكار، وغيرها من الصفات التي يزخر بها البيان النبوي.

وعلى الرغم من تلك الجهود إلا أنني لم أجد -على حد علمي- دراسة اهتمت بالمستوى التركيبي ودلالاته البلاغية في كتاب الإيمان من صحيح مسلم.

وقد حصرت الدراسة في كتاب الإيمان من صحيح مسلم؛ لاشتماله على ما يربو على ثلاثمائة وخمسين حديثا يحتاج الدارس إلى الوقوف على الخصائص التركيبية للأسلوب النبوي.

وكان سبب اختياري لصحيح مسلم أنه من وجهة نظري لم يحظ من قبل الدارسين بالعناية التي حظي بها صحيح البخاري.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١- بيان بلاغة الأداء اللغوي وورودها في إثراء الدلالة المطروحة في كتاب الإيمان.

٢- الوقوف على هيئات هذه التراكيب وصورها الأسلوبية، وعلاقة المتلقي -بلاغيا- بهذه

الأساليب التركيبية.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات متعددة اهتمت بمختلف الفنون البلاغية في النظم القرآني، والبيان النبوي، وقد أفدت منها كثيرا، من تلك الدراسات:

١) **أساليب القصر في الصحيحين ودلالتها البلاغية:** للباحث عامر عبد الله الثبيتي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ. ويتكون هذا البحث من ثمانية فصول، تناول فيها طرق القصر وأدواته وأغراضه البلاغية، والمقارنة بين الأحاديث التي رويت في الصحيحين، مع ترجيح رواية البخاري إن تكرر الحديث في الصحيحين، والباحث لم يأت على جميع شواهد القصر في الصحيحين.

٢) **ظاهرة الحذف في الحديث النبوي دراسة بلاغية في صحيح مسلم:** جامعة القاهرة، كلية الآداب قسم اللغة العربية، إعداد: خالد حسن علي داود، إشراف: د. عبد الحكيم راضي، ود. صبري متولي، ١٤٢٥هـ. تناول فيها الباحث الحذف بأنواعه من حذف المبتدأ والخبر والفاعل... وإيضاح أغراضه البلاغية.

٣) **بناء الجملة في الصحيحين:** عودة خليل العودة، دار البشير، الطبعة الأولى، عمان الأردن، ١٩٩٠م، وهي دراسة نحوية تتناول الجملة في الصحيحين من حيث بناؤها، فعلية خبرية شرطية.

٤) **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية:** للدكتور كمال عز الدين، دار إقرأ، الطبعة الأولى، بيروت – الرملة البيضاء- للهجرة. ١٤٠٤هـ، وتناول فيه بعض الفنون البلاغية ومنها ما هو في علم المعاني كالاستفهام، وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر، والتقديم.

٥) **بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع:** ناصر راضي الزهري إبراهيم، مدرس البلاغة والنقد بجامعة الأزهر، دار البصائر، الطبعة الأولى، القاهرة (زهراء مدينة نصر) ٢٤٢٩ للهجرة. وهي دراسة في الصحيحين (أطروحة دكتوراه).

ولم أقف بحسب علمي على دراسة تناولت بلاغة التراكيب في صحيح مسلم رحمه الله.

ولما كانت دراسة أحاديث صحيح مسلم كاملة أمرا فوق الطاقة؛ إذ بلغت ما يزيد على سبعة آلاف حديث، رأيت أن أقصر الدراسة على كتاب الإيمان، ولعل دراسات أخرى

تنهض بالبحث عن دلالات التراكيب في الأجزاء الأخرى من هذا السفر العظيم.

منهجية البحث:

تقوم هذه الدراسة على الوصف والتحليل، حيث ستقوم الباحثة بوصف التراكيب التي ترد في الحديث الشريف، وتحليل هذه التراكيب إلى مكوناتها.

ولما كانت الغاية الرئيسة لهذه الدراسة الكشف عن بلاغة الرسول ﷺ، كان المنهج التحليلي هو السبيل لتحقيق هذه الغاية الذي يكشف عن أثر الفن البلاغي في جمال العبارة، وفي ثراء الدلالة.

وإذا كان إدراك القيمة البلاغية لا يأتي إلا من خلال الاهتمام بمختلف العناصر المكونة للخطاب، وبالعلاقات الداخلية بين هذه المكونات، فإن طريقة عبد القاهر الجُرْجَاني في دراسة النص تتسم بما أسماه المحدثون نحو النص، هذا العلم الذي يرى ضرورة أن يكون النص متكاملا في وحداته وتراكيبه، وعبد القاهر في نظريته (نظرية النظم) كان سباقًا في التنبيه إلى ضرورة تآخي الجمل واتحادها نحو بيان غايات النص الأدبي ورسالته؛ لذا كان منهج عبد القاهر من أهم المناهج في دراسة الحديث النبوي الشريف، وهذا ما انتهيت إليه في الفصل الأخير من هذه الدراسة، بعد ما سبقته فصول الدراسة الأخرى في بيان خصائص هذه التراكيب، والوقوف على سماتها الأسلوبية.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من الآتي:

المقدمة: وتشتمل على ما يلي:

تساؤلات البحث، أهمية البحث وأسباب اختياره، أهداف البحث، الدراسات السابقة، منهجية البحث، خطة البحث.

الفصل الأول: الأساليب الخبرية، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أنماط الأسلوب الخبري.

المبحث الثاني: الدلالات البلاغية في بنية الأسلوب الخبري.

الفصل الثاني: الأساليب الإنشائية، ويشتمل على المباحث التالية.

المبحث الأول: الأمر.

المبحث الثاني: النهي.

المبحث الثالث: التمني.

المبحث الرابع: الاستفهام.

المبحث الخامس: النداء.

الفصل الثالث: بناء الجملة، ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: الحذف والذكر.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير.

المبحث الثالث: القَصْر.

الفصل الرابع: بناء الجمل، ويشتمل على:

المبحث الأول: الإيجاز والإطناب.

المبحث الثاني: الوصل والفصل.

الفصل الخامس: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ويشتمل على المباحث التالية:

مدخل.

المبحث الأول: الالتفات.

المبحث الثاني: وضع المضمر موضع المظهر والعكس.

المبحث الثالث: وضع الماضي موضع المستقبل وعكسه.

المبحث الرابع: صور أخرى لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر:

أولاً: أسلوب الحكيم.

ثانيًا: التعبير بالسبب عن المسبب توسعًا.

ثالثًا: التعبير بلفظ المسبب عن السبب.

رابعا: التغليب.

خامسا: إيثار لفظ على آخر.

الفصل السادس: بلاغة التراكيب في ضوء نحو النص، ويشتمل على ما يلي:

أولا: الجانب النظري:

مفهوم النص في التراث العربي.

مفهوم النص في الدرس اللساني.

معايير نحو النص.

ثانيًا: نماذج تطبيقية لنحو النص من كتاب الإيمان من صحيح مسلم:

النموذج الأول.

النموذج الثاني.

النموذج الثالث.

النموذج الرابع.

الخاتمة: وسوف تُجمَل فيها نتائج البحث، والتوصيات التي تراها الباحثة للاستمرار في خدمة الحديث الشريف.

الفهارس: الفهارس: وتشمل الفهارس التالية:

١) فهرس الآيات الكريمة.

٢) فهرس المصادر والمراجع.

٣) فهرس المحتويات.

وإنّ منْ نِعمةِ الله أن يسّرَ لي أمرَ هذا البحثِ وأعانني عليه، وفتحَ لي فيه فهْمًا، فما كان في هذا البحثِ من خيرٍ وحقٍّ فهو من توفيقِ الله وتسديدِه، وما كان من خطأ وزلَلٍ وتقصير فمِن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.

وعملا بالحديث الشريف: ((لا يشكُر الله مَنْ لا يَشْكُرُ الناسَ)) فإنه من الواجب عليّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل لأهل الفضل بعد الله تعالى في تأسيس هذا البحث وقيامه وخروجه بصورته النهائية، وعلى رأسهم كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية ممثلة بعميدها الموقر سعادة الأستاذ الدكتور علي السعود الذي لم يألُ جهدا في تقديم النصح والإرشاد، وكذلك سعادة رئيس قسم اللغة العربية الدكتور فريد الزامل السليم، الذي كان لي بمثابة الأب في توجيهه وقبوله تسجيل الموضوع، وأزجي كذلك باقات الشكر والعرفان لمن أشرفوا على هذا البحث في مراحله المختلفة بدءًا من الدكتورة عزة أحمد مهدي، ثم الدكتور محمد دسوقي، وكان لهما الأثر البالغ في إرساء البحث مادة ومنهجًا، قبل أن أنتقل إلى أستاذي الدكتور إبراهيم عبد العزيز زيد الذي بذل من وقته الكثير، وأفاض عليّ من علمِه وثقافته، وحسن أخلاقه وتعامله مع ابنته الباحثة ما تعجز عنه كلماتي في وفاء شكره والثناء عليه،

فجزاه الله عني خير الجزاء، ويسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل لعضوي لجنة المناقشة سعادة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن، وسعادة الدكتور محمد الخراز على تفضلهما وقبولهما مناقشة هذه الرسالة، وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل لكلّ مَنْ مَدّ يَدَ العونِ لي برأيٍ أو معونة، أو استشارة أو تصويب، أو توفير المراجع والوقت، وعلى رأسهم أخي الفاضل عبد الله، وزوجي الفاضل عبد العزيز المنيعي.

الفصل الأول

الأساليب الخبرية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أنماط الأسلوب الخبري.

المبحث الثاني: الدلالات البلاغية في بنية الأسلوب الخبري.

المبحث الأول: أنماط الأسلوب الخبري:

مقدمة:

الخبر في لغة العرب يطلق ويراد به: النبأ والعلم، وفي اللسان: «الخَبَر: النَّبأ، والجمع: أخبار، وأخابير جمع الجمع... وخَبَّره بكذا وأخْبَره: نَبَّأه»(١).

قال السيوطي: «الكلام إما خبر أو إنشاء لا ثالث لهما؛ لأنه إما أن يحتمل الصدق والكذب، أوْ لا، والأول الخبر، والثاني الإنشاء، وبعضهم يقيد الأول بقوله: لذاته؛ ليخرج الخبر بصدقه، كخبر الله تعالى ورسوله ﷺ، ومن سكت عن هذا القيد قال: الخبر من حيث هو يحتملهما، وإن خرج بعض أفراده لأمر خارج عنه، ألا ترى أن قول الإنسان مثلًا: زيد قائم، يحتملهما، وإن كان السامع يقطع بصدقه لمشاهدته له قائمًا»(٢).

وقد تناول البلاغيون في حديثهم عن الجملة الخبرية الغرض من الخبر، وذكروا أن الأصل في المخبر أن يقصد بخبره إفادة المخاطب؛ إما أن يفيده حكمًا جديدًا تتضمنه الجملة، ويسمى هذا الغرض (فائدة الخبر)، وإما أن يفيده أنه عالم بالخبر، ويسمى هذا الغرض (لازم الفائدة). وقد يقصد المخبر غرضًا آخر غير الإفادة بحسب ما يقتضيه المقام الذي قيل فيه الخبر، كأن، يريد به الفخر، أو العتاب، أو إظهار الضعف والتحسر، أو الاسترحام أو غيرها من الأغراض التي تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال؛ «لأن البلاغي لا يهمه وصف بناء الجملة وتركيبها، وإنما يهمه البحث في سر تكوينها، وعما يمكن أن تؤديه من معنى وجودها، وهي مقدمة أو مؤخرة، مُعّرفة أو منكّرة، معطوفة أو مستأنفة، خالية أو مؤكدة...»(٣).

وهذه الأغراض منها ما يراعى فيه حال المتكلم، ومنها ما يراعى فيه حال المخاطب، وإذا كان الغرض من الخبر هو(إفادة المخاطب) فإن البلاغيين نظروا إلى المخاطب، فوجدوا أنه لا يخلو من ثلاث حالات؛ إما أن يكون خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر، وإما أن يكون متصورًا له، مترددًا فيه ومتسائلاً عنه، وإما أن يكون منكرًا له، وقسموا على ذلك

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ١٢/٣.

(٢) شرح عقود الجمان في علمي المعاني والبيان، ا جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر الشافعي، حققه: محمد عثمان، راجعه وقدم له: هاشم محمد هاشم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠١١م، ص٧١.

(٣) الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيبًا ودلالة، حفيظة أرسلان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٤م، ص١٢.

الخبر إلى أضرب ثلاثة:

الأول: يسمى ابتدائيًّا، ويلقى إلى خالي الذهن، فيكون خاليًا من المؤكدات.

الثاني: يسمى طلبيًّا، ويلقى إلى المتردد والمتسائل، فيستحسن توكيد الخبر بما يزيل تساؤله وتردده.

الثالث: يسمى إنكاريًّا، ويلقى إلى المنكر، فيؤكد بمؤكد أو أكثر، وجوبًا، على حسب قوة إنكاره[١].

(١) ينظر: مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، تحقيق: حمدي قابيل، قدم له وراجعه: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص١٥٦-١٦٣. وشروح التلخيص، مختصر العلامة التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح للمغزلي وبهامشه كتاب الإيضاح للقزويني وحاشية الدسوقي على شرح السعد، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١/ ١٩٢-٢٠٨.

المبحث الثاني: الدلالات البلاغية في بنية الأسلوب الخبري:

من أساليب الخبر الابتدائي في كتاب الإيمان:

بعث الرسول ﷺ إلى أمة أميّة لا تدين في الغالب بدين سماوي، وكانت تعبد أصناما بغير قناعة، ولما كانت الأحاديث المدروسة تدعو للإيمان، والخطاب فيها موجه لأمة غير ذات دين جاءت الأساليب في الخبر بصيغة الخبر الابتدائي؛ لأن القوم أذهانهم خالية، وهذا ليس دائما، لكن الراصد يرصد ذيوع هذا النوع من الأساليب.

من ذلك قوله ﷺ: ((بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء))[١]، واجه عليه الصلاة والسلام معارضة وإنكارًا من قريش، لدرجة أنهم اتهموه بالسحر والجنون؛ ولذا كانت الدعوة للتوحيد وعبادة الله وحده في مجتمع وثني مهمة صعبة، وأمرًا عسيرًا، والصحابة رضوان الله عليهم قد عايشوا ما لقيه الرسول ﷺ من تنكيل وإعراض؛ ولهذا جاء الخبر في الحديث النبوي ابتدائيًّا خاليا من المؤكدات، كذلك في قوله ﷺ: (وسيعود غريبًا) الحديث هنا عن آخر الزمان، وهو أمر في الغيب؛ ولذلك جاء ابتدائيًّا؛ لأنه أمر غيبي ولا مجال لإنكاره من قبل الصحابة.

ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ: ((حب الأنصار آية الإيمان، وبغضهم آية النفاق))[٢]، فقد أتى الخبر في هذا الحديث بأسلوب يتسم بالثقة والهدوء، وخاليًا من المؤكدات؛ تنبيهًا لمكانة الأنصار عند رسول الله ﷺ، واهتمامه بهم، ومحبته عليه الصلاة والسلام لهم، فقد جعل دليل الإيمان يتجلى في حبهم رضوان الله عليهم، فكيف لا وهم من ناصروه وكانوا خير عون له على نشر الدعوة في بداية ظهور الإسلام.

يقول النووي: «ومعنى هذه الأحاديث أن من عرف مرتبة الأنصار، وما كان منهم من نصرة دين الإسلام، والسعي في إظهار وإيواء المسلمين، وقيامهم في مهمات دين الإسلام

---

(١) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث القاهرة، ٢٠١٠م، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين، ص٦٥.

(٢) السابق، باب الدليل على أنَّ حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، ص٤٧.

حق قيام، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم»[١].

والحديث قائم على أسلوب القصر والمقابلة، حيث قصر محبة الأنصار على المؤمنين ونفاها عمن سواهم، والجملة الثانية قصر بغضهم على المنافقين؛ إذ لا يبغضهم سوى المنافقين، ووجود المقابلة بين الجملتين: (حب، بغض، مؤمن، منافق) لتوضح أن شعورك الداخلي تجاه الأنصار سيحدد طريقك، فمؤمن أو منافق.

ومن ذلك حديث وفد عبد القيس حينما قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ((يا رسول الله، إنا هذا الحيَّ من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلا نخلص إليك إلا في شهر الحرام، فَمُرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا، قال: آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال:) شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدُّبَّاءِ، والحَنْتَمِ، والنَّقِيرِ، والمـــُقَيَّرِ[٢]))[٣].

«جاء هؤلاء الوفد طالبين من النبي ﷺ أن يعلمهم الدين وأحكامه، فأخبرهم النبي ﷺ بما يأمرهم به وبما ينهاهم عنه في خبر خلا من التأكيد؛ لكون المخاطب ممن يصدق الخبر ولا يتردد فيه أو يكذب، بل هو راغب في العلم به»[٤].

ومن ذلك قوله ﷺ: ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار المنار، القاهرة، ٢٠٠٣م، مج١، ٢٤٩/٢.

(٢) الدباء: بضم الدال وبالمد وهو القرع اليابس أي الوعاء منه. وأما الحنتم فبحاء مهملة مفتوحة ثم نون ساكنة ثم تاء مثناه من فوق مفتوحة ثم ميم الواحدة حنتمة. وأما النقير فبالنون المفتوحة والقاف. وأما المقير فبفتح القاف والياء. صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار المنان، القاهرة، مج١، ١٥١/١.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، ص٣٢.

(٤) رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، الدكتور يوسف عبد الله العليوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٤، ص٣٣١.

وإذا خاصم فجر))[١].

لما كان الحديث عن صفات المنافق أتى الحديث بأسلوب خبري خالٍ من المؤكدات؛ لأن المتلقين الصحابةُ، و لم يكن لهم علم سابق بمضمون الحديث وتوجيهاته؛ لذا خلا من أي أداة من أدوات التوكيد، فلم يكن لهم علم سابق بالأوامر والنواهي التي تضمنها الحديث، وبدأ الحديث بأسلوب التوشيع، والإيضاح بعد الإبهام، لتشويق السامع إلى تلك الخصال الأربع، ثم نجد أنه ساق تلك الخصال في قالب الشرط؛ للدلالة على تأصل تلك الصفات في نفس المنافق، وتكرار حدوثها منه.

ومنه أيضًا قوله ﷺ: ((بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة))[٢]، فقد أتى هذا الخبر بصيغة خالية من المؤكدات، تحذيرا ووعيدا من التهاون في شأن الصلاة، وكما هو معلوم أن الصلاة هي أعظم وآكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهو عنوان إسلام العبد ودلالة إيمانه، حيث بدأ حديثه بأسلوب خبري يتسم بالثقة والهدوء وهو: «يُشعر المخاطب بأن الخبر مما لا ينكر؛ ولذلك ساق الرسول ﷺ خبره سوق الواثق الذي لا يقابل إنكارًا، ذلك أن المعنى واضحٌ وراسخٌ لا يقبل الشك؛ تعظيمًا لأهمية الصلاة، وأنها عماد الدين تاركها تاركه؛ ولذلك لم يؤكد خبره بأي مؤكد؛ إشارة إلى أن الخبر من الظهور بحيث لا يتأتى لمنكر أن ينكره فيحتاج إلى توكيد»[٣].

وعن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث قال: كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير، فكنا جلوسًا في المسجد، فقال القوم: هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير، قال: فجاء حتى جلس إلينا، قال: حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يدخل الجنة قَتَّاتٌ))[٤].

القتات هو: (النمام وهو بفتح القاف وتشديد التاء المثناة من فوق)، وقال العلماء:

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ص٤٤.

(٢) السابق، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ص٤٨.

(٣) انظر: بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ناصر الراضي زهري، دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٥٦.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، ص٥٣.

النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم[١].

وفي أساس البلاغة: رجل قتات: نمام، وهو يقت الحديث: يزوره ويحسنه[٢]؛ ولما كانت النميمة من كبائر الذنوب، وهي نقص في الإيمان وقدح في كماله، وسبب لعدم دخول الجنة وعذاب القبر، أتى التحذير منها بأسلوب خبري منفي خالٍ من المؤكدات، ولا يخفى على أحد ما تسببه النميمة من تفرقة وشتات بين أفراد المجتمع المسلم، وقد بدأ بأسلوب النفي: (لا يدخل) وهي من الأساليب التي تُحدث لدى السامع استشرافًا وتنشيطا للذهن، لمعرفة من هو الذي نفى رسول الله ﷺ دخوله الجنة، وفي قوله: (قتَّات) أتت بصيغة المبالغة، للدلالة على كثرة حدوث ذلك الأمر وتكراره.

النوع الثاني من أنواع الخبر في كتاب الإيمان الخبر الطلبي:

يقول السكاكي في مفتاح العلوم في تعليقه على الخبر الطلبي: «وإذا ألقاها إلى طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية المنفذ بإدخال اللام في الجملة، أو (إنَّ) كنحو: لزيد عارف، أو إنّ زيدًا عارف»[٣].

وعن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله، ((أين أبي قال: في النار، قال: فلما قَفَّا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار))[٤].

إن الخبر في هذا الحديث أتى مؤكدا بـــ(إنَّ) مع أنه عليه الصلاة والسلام حينما أجاب عن سؤال الرجل كان خاليًا من المؤكدات، كذلك حذف المبتدأ، فإن الأصل أن يقول: (أبوك في النار)، يقول النووي في شرحه لهذا الحديث: «إن أبي وأباك في النار هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة»[٥]، فأُكّد الخبر هنا لغرض تسلية ومؤانسة الصحابي

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٨٦، ٢٨٥.

(٢) أساس البلاغة، جار الله محمود عمر الزمخشري، حققه وقدمه الدكتور: مريم نعيم والدكتور شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، ص٦١٤.

(٣) مفتاح العلوم، ص١٦٠.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين، ص٨٩.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، مج٢، ٣/ ٤٤٣.

رضوان الله عليه، وبيان أن جميع من مات على الشرك هو في النار، واستخدم أداة العطف (الواو) في: (أبي وأباك) في النار لاشتراكهما جميعًا في نفس المصير وهو نار جهنم.

وعن علقمة عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ))[١].

في البداية سيق الحديث في أسلوب خبري ابتدائي منفي، «ثم جاءت أساليب التوكيد لتهيئ النفس، وتلفت الانتباه، وتثير الاهتمام لتصحيح خطأ التصور، وتحديد المفاهيم وتعريفها، كما جاء في الرد على السائل، يقول الرسول ﷺ: ((إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس))، فقد أكدَّ الجملة بـــ(إنَّ) مع اسمية الجملة؛ لدفع شك السامع وتردده في فهم المعنى، وإجابته بأسلوب يتساوق مع أسلوبه، حيث قال: (إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة) فرد عليه ﷺ بنفس درجة التأكيد: (إنَّ الله جميل) تصحيحًا لتصوره الخاطئ بأن محبة الثوب الحسن والنعل الحسنة من الكبر، وبيَّن له أن الكبر ليس بالتجمل واتخاذ الزينة من الثياب، بل هو أمر نفسي يرجع إلى أحوال النفوس وصفات القلوب»[٢]، والغرض من هذا الخبر «تحديد بليغ ودقيق لمفهوم الكبر، وبيان لشدة عقابه، وأنه يحرم صاحبه من كل خير بحرمانه من الجنة، وفيه عقاب لما يؤدي إليه الكبر من بطر الحق وغمط الناس، مما يستجلب كراهية الناس لهذا المتكبر، الأمر الذي يحدث التصدع في وحدة المجتمع المسلم»[٣].

وعن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: ((إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة، أن يقال له: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، ويَتَمَنَّى، فيقول له: هل تمنيت؟ فيقول: نعم. فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه))[٤].

والخبر في هذا الحديث أتى طلبيًّا مؤكدًا بـــ(إنَّ)، وخاصة أن الحكم يتعلق بالغيب في

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه، ص٥٠.

(٢) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس والمجتمع، ص١٥٨.

(٣) السابق، ص١٩٥.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، ص٧٩.

الآخرة أو القيامة، ويتعلق بأهل الجنة، حيث تتحقق أمانيّهم تكريما لهم على طاعتهم لربهم، وعمل الصالحات في الدنيا، ولا يتوقف الأمر عند تحقيق الأمنية التي تمناها صاحبها، ولكن تتحقق الأمنية ومثلها معها، أي تتحقق الأمنية مضاعفة. إذن الغرض من هذا الحديث: «حث أهل الدنيا على أن يسارعوا ليكونوا من أهل الجنة، ويتزودوا بالطيبات الصالحات؛ ليكونوا من أهل الجنة، فتتحقق أمنياتهم مضاعفة»(١).

«وتكرار مادة التمني خمس مرات في الحديث للإيحاء بتحقق أمنيات هذا الفريق من أهل الجنة، وتكرار الفعل فيتمنى ويتمنى للدلالة على التكثير. وحذف الفاعل من الجمل الثلاث، للإيحاء بالتأدب مع الله، حتى لا يكون لفظ الجلالة في مواجهة مع هذا النموذج الأدنى منـــزلة، وإنما الله يعم بكرمه كل أوليائه الصالحين، ويضاعف الله الثواب، ويحقق الرجاء»(٢).

وعن قتادة، عن أنس؛ عن النبي ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره (أو قال لأخيه) ما يحب لنفسه))(٣).

أتى هذا الخبر بأسلوب طلبي، حيث أكد بالقسم بقوله: (والذي نفسي بيده)، وقد تكرر هذا الأسلوب في أحاديثه عليه الصلاة والسلام: «وفيها إشارة واضحة من النبي ﷺ إلى أنه وإن كان نبيًّا، فإنه لا يملك من أمره شيئًا، فإن نفسه التي بين جنبيه بيدي الله تعالى، وفيها تسليم مطلق لإرادة الله، واعتراف بعبوديته وبشريته، فما هو إلا رسول مبلغ عن ربه»(٤).

«والقسم من المؤكدات اللفظية القوية، كان عليه الصلاة والسلام يؤكد به ما يستحق المقام تأكيده من المعاني، وكانت ألفاظه في البيان الكريم متفاوتة القوة مع تفاوت المثيرات

---

(١) مدخل إلى البلاغة النبوية، الدكتور حلمي محمد القاعود، دار النشر الدولي، الرياض، ٢٠١١م، ص٨٥.

(٢) كنوز رياض الصالحين، ٢٠/ ٢٧٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ص٤٠.

(٤) بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، الدكتورة أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، مج٢٦، ع٣-٤، ٢٠١٠، ص٥٦.

والدوافع، فيقول عليه الصلاة والسلام مرة (والله)، وثانية (وايم والله)، وأخرى: (والذي نفسي بيده)، وتارة: (يا مقلب القلوب)، ومرة: (والذي نفسي محمد بيده)، أو(والذي نفس أبي القاسم بيده) ....، وكان الصحابة يدركون الفرق بين هذه الصيغ في درجة القوة، يقول أبو سعيد ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نفس أبي القاسم بيده»[١]، وقد أنزل خالي الذهن في هذا الخبر منـــزلة الشاك وأكد بالقسم؛ لترسيخ مبدأ الإيثار وتثبيته في وجدان الأمة، حتى تسود المحبة وينتشر الود بينهم، عندما يوقنون أنه لن يتحقق إيمانهم إلا بمحبة إخوانهم من المسلمين، ولا سيما إذا كان جارهم، وقد نبه وشدد الرسول ﷺ في أحاديث عدة على حقوق الجار، كحديث: ((مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))[٢]، والغرض من هذا الحديث الحث والترغيب على ترسيخ روح المحبة والإخاء بين أبناء المجتمع الإسلامي. والله أعلم.

أساليب الخبر الإنكاري في كتاب الإيمان:

وهو موجه لمخاطب منكرٍ للخبر ويحتاج لأكثر من مؤكد: «وإن كان منكرًا وجب تأكيده بحسب الإنكار؛ أي: بقدره قوةً وضعفا، حتى يزيد في التأكيد بحسب الزيادة في الإنكار»[٣].

عن نافع قال: قال عبد الله بن عمر: ذكر رسول الله ﷺ يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: ((إن الله تبارك وتعالى ليس بِأَعْوَرَ، ألا إن المسيح الدجال أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كأن عينه عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ))[٤].

ففي هذا الحديث يخبر عليه الصلاة والسلام أصحابه عن صفات المسيح الدجال، ومع أن الذات الإلهية منـــزهة عن النقص، وعن مقارنته بشيء من مخلوقاته، إلا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام أتى بتلك المقارنة، بل وأكدها عليه الصلاة والسلام؛ لأن الفتنة تشتد

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، الدكتور كمال عز الدين، دار إقرأ، بيروت الرملة، ١٤٠٤هـ، ص٩٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار والإحسان إليه. ص٨٣٣.

(٣) شرح عقود الجمان في علمي المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠١١م، ص٧٥.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، ص٧٤.

بالمسيح الدجال وما يقع على يديه من الخوارق المذهلات، فتجر المؤمن إلى التصديق بما يقول، واختار صفة العين لأنه أمر ظاهر محسوس، يقول النووي في شرحه للحديث: ((إن الله تعالى منـــزه عن سمات الحدث، وعن جميع النقائص، وأن الدجال مخلوق من خلق الله تعالى ناقص الصورة، فينبغي لكم أن تعلموا هذا وتعلموه الناس لئلا يغتر بالدجال من يرى تخييلاته وما معه من الفتنة))[١]؛ لهذا سيق الخبر مؤكدًا بـــ(إنَّ)، وأنزل خالي الذهن مقام المنكر، لشدة فتنة المسيح على المؤمن، وتحذيرا له وتنبيها من الاغترار به وتصديقه، والله تعالى أعلم.

وعن أبي هريرة وأبي مالك عن ربعي عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: ((يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون، حتى تُزْلَفَ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة، إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلا من وراء، وراء، اعمدوا إلى موسى عليه السلام، الذي كلمه الله تكليما، فيأتون موسى عليه السلام، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى، كلمة الله وروحه، فيقول عيسى عليه السلام: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدا ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جَنَبَتَيِ الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط؟ يقول: رب سلم، سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل، فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال: وفي حافتي الصراط كَلَالِيبُ معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده، إن قعر جهنم لسبعون خريفا))[٢].

في هذا الحديث يوضح الرسول ﷺ بعض مشاهد وأحوال يوم القيامة، وفي قوله: (يا أبانا استفتح لنا الجنة) بدأت الجملة بالنداء ثم الأمر، وهو على حقيقته (استفتح)، والبدء بـــ(آدم) تشريفٌ له؛ لأنه أبو البشرية، ثم يأتي الرد من سيدنا آدم عليه السلام بالاستفهام التعجبي:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٣٧٨.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منـــزلة، ص٨٧.

(وهل أخرجكم من الجنة...؟)، فأنا سبب خروجكم من الجنة! فكيف تطلبون مني الآن استفتاحها. وفي قوله: (فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق) يبدأ فيها رسول الله بالحديث عن المشاهد التي تُحدث حين مرور العباد على الصراط المستقيم، واستخدم التشبيه؛ لإيضاح سرعة مرور الزمرة الأولى من العباد كالبرق، ثم المجموعة الأقل سرعة كالريح ثم الأقل كالطير، وفي الحديث عن مشاهد يوم القيامة يكثر –عليه الصلاة والسلام– من الألوان البيانية من التشبيه والكناية؛ لتقريب تلك الصور في أذهان المسلمين وجعلها أكثر رسوخًا، ثم يصف دوره –عليه الصلاة والسلام– حين مرور العباد على الصراط بأنه (قائم)، وأتى باسم الفاعل للدلالة على ثبوته ﷺ على الصراط قائم يدعو الله ﷻبأن ينجي أمته، وفي قوله: (رب سلم سلم) دعاء ومناجاة لله، ولقد حذف حرف النداء من رب؛ لأن الموقف عظيم يتطلب الحذف، كذلك لما في حذفها من تقرب وخضوع لله تعالى، ثم يختتم حديثه ﷺ بجملة خبرية مؤكدة بأكثر من مؤكد وموجزة في نفس الوقت، حيث أنزل السامع وهم الصحابة منـــزلة المنكر للخبر، ابتداء بالقسم والذي نفس أبي هريرة حرف التوكيد إنَّ اللام في قوله: لسبعون، والقسم في أحاديث الرسول ﷺ قد تأتي لغرض التشويق ولفت الانتباه لأهمية الحديث الذي يليه.

ولما كان الخبر المؤكد في هذا الحديث عن النار وصفتها فإن الغرض البلاغي هنا هو التحذير والتهويل من النار، وفي أغلب الأحاديث التي تتناول أحوال يوم القيامة في كتاب الإيمان تكون مؤكدة إما بمؤكد واحد أو عدة مؤكدات؛ للترغيب والحث على العمل إذا كان الحديث في سياق الجنة ونعيمها، وتحذيرا وترهيبًا إذا كان سياق الحديث عن جهنم وصفة عذابها كما في هذا الحديث.

وأشهر أساليب التوكيد ورودا في الأحاديث النبوية التوكيد بـــ(إنّ)، وهو الغالب في جل أحاديثه ﷺ عمومًا، وقد ذكر الدكتور غالب الشاويش في كتابه البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق أنَّ الحرف (إنَّ): «من أكثر الأدوات استعمالا في الحديث النبوي، وقد نص علماء اللغة على أن هذا الحرف في أصل الوضع يدل على التأكيد، كما ذكر ابن الأنباري

أنها بمعنى حققت»[١].

وعن ابن عباس عن معاذ بن جبل قال أبو بكر: ربما قال وكيع عن ابن عباس: أن معاذًا قال: بعثني رسول الله ﷺ. قال: ((إنك تأتي قوما من أهل الكتاب. فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فإن هم أطاعوا لذلك. فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوا لذلك. فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم. فإن هم أطاعوا لذلك. فإياك وَكَرَائِمَ أموالهم. واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))[٢].

بعث الرسول ﷺ معاذًا إل اليمن لنشر الدين الإسلامي، وبما أن المخاطبين ليسوا من صحابة رسول الله، بل هم من أهل الكتاب أكد الرسول ﷺ جمل الحديث بحرف التوكيد (أنَّ). في قوله: (أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات، أنَّ الله افترض عليهم صدقة...)، «فتأكيد الإخبار بتوحيد الألوهية، والرسالة المحمدية، وفرض الصلاة والزكاة، لكون المخاطبين من أهل الكفر الذي يتوقع منهم التكذيب والإنكار»[٣].

وعن قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب...قوله ﷺ: ((إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة – فيما يبدو للناس – وهو من أهل النار. وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار –فيما يبدو للناس – وهو من أهل الجنة))[٤].

أتى هذا الحديث في رواية طويلة لقصة الصحابي الذي شهد له الصحابة بالجنة لحسن بلائه في الجهاد، لكنه أصيب في إحدى الغزوات فلم يتحمل الألم، فاستل سيفه وضرب به نفسه. قولهم: (لا يدع لهم شاذَّةً إلا اتبعها بضربها بسيفه. فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان. فقال رسول اللهﷺ: (أما إنه من أهل النار)، فقال رجل: أنا صاحبه أبدًا...)[٥].

---

(١) البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، الدكتور غالب محمد محمود الشاويش، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٩م، ص٩١.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدعوة إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ص٣٣.

(٣) رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، ص٣٥.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ص٥٥.

(٥) المرجع السابق، ص٥٥.

فقد ساق الرسول ﷺ جملته الخبرية في قوله: (إنَّ الرجل ليعمل...) بأسلوب إنكاري مؤكدٍ بـــ(إنَّ) واللام؛ وذلك لأن المخاطب وهم الصحابة كانوا في وضع الشاك المنكر، فهم قد شهدوا بأنفسهم حسن صنيع الرجل في الغزوات في قولهم: (ما أجزأ منا أحد اليوم كما أجزأ فلان)، فذكر لهم الرسول ﷺ خلاف ما يبدو لهم، بل وأكد لهم بأسلوب خبري طلبي: (أما أنَّه من أهل النار)، فكأن الصحابة ما زالوا متعجبين، أو ربما شاكين أن يكون ذلك الرجل من أهل النار، وهو لا يعمل صنيعه أحدٌ منهم؛ لذا تطوع أحد من الصحابة بملازمته، فلما حصلت واقعة انتحار ذلك الرجل بعدما جرح جرحًا شديدًا فلم يتحمل ذلك...(فعاد الرجل إلى رسول الله ﷺ وقال: أشهد أنك رسول الله. قال: (وما ذاك؟) قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا من أهل النار)[1].

عندها أتى التوجيه النبوي للصحابة مؤكدًا بأكثر من مؤكد في قوله: (إنَّ الرجل ليعمل...) تحذيرا لهم من الاغترار بظاهر الأعمال، فهم قد رأوا بأعينهم صلاح الرجل وطيب أعماله، ولم يخطر ببال أحدهم أنه من أهل النار. يقول النووي في شرحه لهذا الحديث: «ففيه تحذير من الاغترار بالأعمال، وأنه ينبغي للعبد ألاّ يتكل عليها، ولا يركن إليها مخافة من انقلاب الحال للقدر السابق. وكذا ينبغي للعاصي ألاّ يقنط ولغيره ألاّ يقنطه من رحمه الله تعالى»[2]. وفي قوله: (ليعمل) أتى بالفعل بصيغة المضارع للدلالة على استمراره على فعل الأعمال التي تدخل الجنة حتى حين وفاته، ثم يختم له بعمل سيئ يكون فيه من أهل النار. وفي قوله: (فيما يبدو للناس) جملة معترضة وهي تفيد شد ذهن المخاطب وتنبيهه إلى مسألة قد يكون قد أخطأ فيها. وقد أتى بالمقابلة بين الجمل ليوضح خطورة ذلك، وتحذيرًا للإنسان بألاَّ يغتر بأعماله الصالحة في الدنيا، فالمهم ما ستختم به أعماله.

وعن أبي هريرة قال: ((خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر. ففتح الله علينا. فلم نغنم ذهبا ولا ورقا. غنمنا المتاع والطعام والثياب. ثم انطلقنا إلى الوادي. ومع رسول الله ﷺ عبد له، وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب. فلما نزلنا الوادي، قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله. فرمي بسهم فكان فيه حتفه. فقلنا: هنيئا له الشهادة يا رسول الله، قال

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الإنسان لنفسه، ص٥٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٩٦.

رسول الله ﷺ: كلا. والذي نفس محمد بيده إن الشَّمْلَةَ لتلتهب عليه نارا، أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم، قال: ففزع الناس. فجاء رجل بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ. فقال: يا رسول الله، أصبت يوم خيبر. فقال رسول الله ﷺ: شِرَاكٌ مِنَ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنَ نَارٍ))[١].

في هذا الحديث النبوي تحدث رسول الله ﷺ عن حرمة المال العام (أموال الزكاة وبيت مال المسلمين)، وشدد على عقوبتها ولو كان الشيء المغلول يسيرًا لا يذكر، ففي قوله ﷺ: (كلا والذي نفس محمد بيده إنَّ الشملة لتلتهب عليه نارًا...). ولو رجعنا إلى بداية الرواية حينما أصيب ذلك الخادم أو العبد ولقي حتفه توقع الصحابة أنه من أهل الجنة، ولم يدُر في خلدهم أن ذنبًا صغيرًا أدى به إلى النار، ولو كانت شملة من غنيمة لا يؤبه بها، لذا أتى الخبر ونزل منـــزلة المنكر حيث أكد بثلاثة مؤكدات (والذي نفس محمد بيده + إنَّ + اللام في قوله لتلتهب) دليلاً على شدة حرمة المال العام، وأنه يؤدي بصاحبه إلى النار، ولو كان شيئًا يسير لا يذكر، والله تعالى أعلم.

عن ابن شهاب عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنَّ أن يترل فيكم ابن مريم حكما مقسطا. فيكسر الصليب، ويقتل الخترير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد))[٢].

في هذا الحديث النبوي يخبرنا الرسول ﷺ عن أمور غيبية تقع آخر الزمان، والملاحظ أنه عندما تكون الأخبار التي يرويها الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه أمورًا غيبية تكثر فيها المؤكدات، «وقد أخبر النبي ﷺ عن حوادث ستكون في المستقبل، وهي من الغيبيات التي أطلعه الله عليها وقد يدخل الشك بها في النفس لعدم وجود الدلائل والأمارات المبشرة بها والمقربة إليها، ومع صدق النبي ﷺ وعدم الشك في أقواله فإنه ينـــزَّل المخاطب منـــزلة الشاك فيخاطبه بخطابه، ويعامله معاملته؛ وذلك لتأكيد هذه الأخبار للشاك والمصدق، وليضعها كل إنسان أمام عينيه موضع المسلم به المجزوم بحدوثه...»[٣]، وفي هذا الحديث يخبرنا عليه الصلاة والسلام عن أمر سيحدث آخر الزمان، وهو نزول عيسى عليه السلام، ولقد

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ص٥٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ص٦٧.

(٣) بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، ص٢٣.

سيق بأكثر من مؤكد (والذي نفسي بيده، اللام في قوله ليوشكن، إن)؛ ليبطل زعم اليهود بأنهم قتلوه، «والحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم، أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها»[1]. وفي قوله: (يكسر الصليب) كناية عن انتهاء النصرانية التي تزعم التثليث وانتشار دين الفطرة دين الإسلام، وفي قوله: (يفيض المال) استعارة تبعية، حيث شبه كثرة المال بفيضان الماء، واشتق من الفيضان الفعل يفيض.

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، مكتبة دار السلام، دار الفيحاء، ط٣، الرياض دمشق، ٢٠٠٠م، ج٦، كتاب أحاديث الأنبياء، ص٦٠٢.

الفصل الثاني

الأساليب الإنشائية

ويشتمل على المباحث التالية.

المبحث الأول: الأمر.

المبحث الثاني: النهي.

المبـــحث الثالث: التمني.

المبحث الرابع: الاستفهام.

المبحـــث الخامس: النداء.

المبحث الأول: الأمر:

الأمر:

طلب حصول شيء على طريق الاستعلاء. أو كما يقال من الأعلى للأدنى[١].

ويأتي أسلوب الأمر على أربع صيغ:

١-فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾[٢].

عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة؛ أنَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: ((بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا. أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا. يبيع دينه بعرض من الدنيا))[٣].

٢- فعل المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣﴾[٤].

ومثال ذلك في كتاب الإيمان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[٥].

٣- اسم فعل الأمر نحو صه بمعنى اسكت، (رويده) بمعنى أمهله، (مه) بمعنى اكفف و(بله) بمعنى دع، و(عليك) بمعنى الزم.

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[٦].

---

(١) انظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، تأليف د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، ص٢٠٩.

(٢) هود: ٣٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة قبل تظاهر الفتن، ص٥٧.

(٤) قريش: ٣.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، ص٤٠.

(٦) النساء: ٣٦.

وصيغة الأمر تفيد إيجاد الطلب على وجه اللزوم، دون حاجة إلى شيء؛ لأن دلالته أصلية[١].

من مواضع ورود الأمر في صيغته الحقيقية: عن أبي زرعة عن أبي هريرة؛ قال: ((قال رسول الله ﷺ: سلوني، قال: فهابوا أن يسألوه، قال: فجاء رجل فجلس عند ركبتيه، فقال يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: لا تشرك بالله شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان))[٢]. أسلوب الأمر في: (سلوني) جاء في صيغة الأمر الحقيقي؛ لأنه من الأعلى للأدنى على سبيل الإلزام والاستجابة، حيث يطلب الرسول ﷺ من الصحابة سؤاله عن أمور الدين.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي أو الحقيقي إلى معان أخر مجازية تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال. منها: «التسوية، والإعجاز، والإباحة، والإكرام، والتحقير، والنصح والإرشاد، والتهديد، والتسخير، والدعاء، والالتماس، والتمني، والتخيير، والامتنان، والتعجب، والندب، والخبر، والتحذير والوعيد...ولا نستطيع أن نحصر الصيغ التي يخرج إليها الأمر، والتي تحددها المقامات، لكن يرشد إليها الطبع السليم...»[٣].

من المعاني البلاغية لصيغة الأمر في كتاب الإيمان من صحيح مسلم:

١- الدعاء:

«وذلك في كل مقام يكون المأمور فيه أعلى من الآمر، ويكون الطلب على سبيل التضرع، والخضوع»[٤]، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[٥].

---

(١) بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل ص٢٠٩.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه ص٢٩.

(٣) بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص٢١٠-٢١١.

(٤) محاضرات في علم المعاني، الدكتور محمود شيخون، القاهرة، ١٩٨١م، ص٦١.

(٥) إبراهيم: ٤١.

وكقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾[١].

«وسر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الدعاء في الآيات الكريمة هو إظهار كمال الخضوع لله ﷻ، وبيان شدة الرغبة في تحقيق تلك الأفعال، حتى كأنها أمور مطلوبة من الله جلا وعلا»[٢].

عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال: ((يا رسول الله، هل لك في حصن حصين ومنعة؟ قال: حصن كان لدوس في الجاهلية، فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه، فَاجْتَوَوْا[٣] المدينة، فمرض فجزع فأخذ مشاقص[٤] له فقطع بها بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمر وفي منامه فرآه، وهيئته حسنة، ورآه مغطيا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ، فقال: ما لي أراك مغطيا يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اللهم وَلِيَدَيْهِ، فاغفر))[٥].

وقد يكون للدعاء أغراض بلاغية يحددها سياق الحديث، فقد أورد الدكتور يوسف العليوي في كتابه (رعاية حال المخاطب في الصحيحين) هذا الحديث في مبحث الدعاء، وعلق عليه بقوله: «ولعل من التعريض بالدعاء لغير المخاطب تأنيسًا للمخاطب وتألفًا له الدعاء لصاحب الطفيلي...»[٦].

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة عن مسروق عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه، قال: ((لا ينفعه؛

---

(١) طه: ٢٥-٢٦.

(٢) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص٣٦٤.

(٣) بضم الواو الثانية ضمير جمع، وهو ضمير يعود على الطفيل والرجل المذكور ومن يتعلق بهما، ومعناه: كرهوا المقام بها لضجر، ونوع من سقم، صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٩٩.

(٤) مشاقص: جمع مشقص بكسر الميم وفتح القاف، وهو سهم فيه نصل عريض، صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٩٩-٣٠٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، ص٥٦.

(٦) رعاية حال المخاطب في الصحيحين، يوسف عبد الله العليوي، ص١٥٧.

إنه لم يقل يوما ما قط ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين))[١].

بدأ الحديث بذكر ما كان عليه (ابن جدعان) في الجاهلية، حيث يقوم بأفعال يحث عليها الإسلام، وأتت تلك الأفعال بصيغة المضارع للدلالة على أن تلك الأفعال قد دأب على فعلها. وفي قوله: لا ينفعه، فصل بينها وبين الجمل التالية لها؛ لأنها أي الجملة التالية أتت جوابًا لسؤال مقدر تقديره: و لم لا تنفعه على الرغم مما كان يقوم به من أفعال خيرة؟!.

ومعنى الحديث أنه لم يكن مؤمنا بالبعث، بل كان كافرا؛ لذا لا ينفعه عمله في الجاهلية من الصلة والإطعام[٢].

٢- الإباحة:

تستعمل صيغة الأمر إذا توهم المخاطب حظر شيء عليه، فيؤذن له بالفعل مع عدم الحرج في الترك، واستعمال الأمر في الإباحة مجاز مرسل علاقته الخصوص والعموم؛ لأن لفظ الأمر موضوع للمأذون فيه المطلوب طلبا جازما، فاستعمل المأذون فيه من غير قيد بطلب[٣].

ومن ذلك: ((عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة؛ أو عن أبي سعيد قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة. فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فقال: رسول الله ﷺ: (افعلوا). قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أَزْوَادِهِمْ ...))[٤].

يصور لنا الحوار السابق ما أصاب المسلمين من مجاعة في غزوة تبوك (غزوة العسرة)، لدرجة أن الصحابة رضوان الله عليهم طلبوا من الرسول ﷺ بالإذن لهم بأن ينحروا «(نواضحهم) النواضح من الإبل التي يستقى عليها»[٥].

فكان جوابه عليه الصلاة والسلام: (افعلوا) لم يكن على وجه الإلزام بل خرج لمعنى الإباحة. وقولهم: يا رسول الله: (لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا) استفهام يرجى

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ من مات على الكفر لا ينفعه عمل، ص٩١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مج٢، ٣/ ٤٤٩.

(٣) البلاغة في (علم المعاني)، الدكتور أحمد النادي شعلة، دار الكتب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٨٧.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ص٣٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ١/ ١٨١.

من ورائه الموافقة على ما يطلبون. ونلحظ أنه استخدم أداة النداء للبعيد (يا رسول الله) تعظيمًا لمكانته -عليه الصلاة والسلام- ثم أضافه للفظ الجلالة (يا رسول الله) زيادة في التشريف لمقامه -عليه الصلاة والسلام-. ثم نرى خطاب عمر ﷺ لرسول الله ﷺ في قوله: (إن فعلت قل الظهر) «استخدم المجاز لمرسل تأدبًا مع الرسول ﷺ لكيلا ينسب له فعل التقليل، ونسبه إلى الظهر الذي هو المفعول»[١].

٣- النصح والإرشاد:

عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار. قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين. قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين))[٢].

في هذا الحديث جاء توجيه الرسول ﷺ مباشرة للنساء بالنصح والإرشاد، من خلال فعل الأمر (تصدقن)، (وأكثرن)، وقد تصدر خطابه للنساء بأسلوب النداء: (يا معشر النساء)؛ لشد انتباههن لأمر خطير يخصهن، «قالوا ومما يقوى به أسلوب الأمر وقوعه بعد النداء كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾[٣]، فالنداء يوقظ النفس ويلفت الذهن؛ لأنه طلب ودعاء، فإذا ما جاء الأمر صادف نفسا مهيأة يقظة فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحس واع وذهن متنبه، وهذا دليل على عناية الآمر بأمره ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه»[٤]، ثم تلا الطلب بالأمر في قوله: (تصدقْن وأكثِرن) جملة خبرية مؤكدة: (فإنِّي

---

(١) كنوز رياض الصالحين، ٥/ ٥٠٦.

(٢) صحيح مسلم، باب بيان نُقصان الإيمان بنقص الطَّاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق، ص٤٧.

(٣) النساء: ١.

(٤) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، الدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨م، ص٢٥٦.

رأيتكن أكثر أهل النار)، جاءت تعليلاً وتفسيرًا للأمر في الجملة السابقة، ولقد جاءت مؤكدة زيادة في الحث والترغيب.

عن أبي الغيث عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))[١].

في هذا الحديث بدأ الرسول ﷺ بأسلوب الأمر المباشر في قوله: (اجتنبوا السبع الموبقات)، بمعنى النهي عن هذه الأمور والتحذير من التردي فيها. يقول الطيبي في شرحه لهذا الحديث: «(اجتنبوا) ابتعدوا، افتعال من الجنب، وهو أبلغ من (لا تشركوا) نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[٣]؛ لأن نهي القربان أبلغ من نهي المباشرة»[٤]، «وتعبير الرسول ﷺ بالاجتناب يفيد البعد، والمبالغة في الحذر من هذه الكبائر والتعبير بالاجتناب أيضا يوحي بأن هذه الكبائر جنس من الأعمال لا يدخل في عمل المؤمن»[٥].

٤- الخبر:

عن أبي الأسود عن أبي ذر؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه، إلا كفر. ومن ادعى ما ليس له فليس منا. وليتبوأ مقعده من النار. ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذاك إلا حار عليه))[٦].

في هذا الحديث يبين لنا الرسول ﷺ عظم من انتسب إلى غير أبيه، «وفيه تحريم الانتفاء

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص٤٩.

(٢) الإسراء: ٣٢.

(٣) البقرة: ٣٥.

(٤) شرح الطيبي مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، للإمام شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان، ١٤١٣هـ، كتاب الإيمان، ١/ ١٨٧.

(٥) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ص٢٤٦.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، ص٤٥.

من النسب المعروف والادعاء إلى غيره»[١]. فقد كفر ﷺ من انتسب إلى غير أبيه، وأنه ليس منا «أي ليس على هدينا وجميل طريقتنا»[٢]، ثم تتطرق لمصيره في الآخرة بقوله: (وليتبوأ مقعده من النار) أي سيكون منـــزله في النار، ولقد عبّر عن الخبر الغيبي بطريقة الأمر (الفعل المضارع مقترنًا بلام الأمر) في قوله: (ليتبوَّأ).

ولقد أشار ابن حجر العَسْقَلانِيّ في كتابه فتح الباري، والنووي في شرحه لصحيح مسلم، أن كلمة (ليتبوأ) تحتمل معنيين، إما دعاء أو خبر بلفظ الأمر[٣]. فالتحذير من الانتماء لغير الأب الحقيقي جاء هنا بأسلوب القصر (النفي والاستثناء) في الجملة الأولى: (لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، إِلاَّ كَفَرَ) وفي قوله: (وهو يعلمه) إطناب احتراس، ففيه إخراج من لا يعلم من الحكم الناتج وهو الكفر، ولقد استخدم لفظة (الكفر) و لم يقل محرم أو مجرم؛ زيادة في الترهيب والتحذير من ذلك الفعل، وهو الانتماء لغير الأب الحقيقي. ثم أتت الجملة الثانية وهي بمثابة توكيد للجملة الأولى، لكنها أعم؛ حيث يدخل فيها كل من ادعى شيئًا ليس له.

٥- الإكرام:

يتجلى ذلك في خطاب الله ﷻ لأهل الجنة، مثل قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾[٤]، «فأسلوب الأمر في الآية مراد به الإكرام للمؤمنين، وهذا شائع بين الناس، فإنك تقول لضيفك وهو مستمر في الأكل: كل واشرب»[٥].

ومن الأمر بغرض الإكرام حديث عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: ((إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة، أن يقول: له تمن، فيتمنى، ويتمنى، فيقول له: هل تمنيت؟ فيقول: نعم، فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب المناقب، ٦/ ٦٦١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٣٩.

(٣). انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب المناقب، ٦/ ٦٦١، صحيح مسلم بشرح النووي، مج، ١/ ٢٣٩.

(٤) الحجر: ٤٦.

(٥) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص٣٦٦.

معه))[1]، فالغرض من الأمر في قوله: (تمن) زيادة في إكرام المؤمنين، وبيان الحفاوة بهم.

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص٧٩.

المبحث الثاني: النهي:

هو طلب الكف عن الفعل استعلاء، «وله حرف واحد وهو لا الجازمة، في قولك: لا تفعل، وهو كالأمر في الاستعلاء»[١].

وقد تخرجُ صيغته عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تُفهم من المقام والسياق:

من مواضع النهي في كتاب الإيمان:

وجدت أن جُل الأحاديث التي وردت فيها صيغ النهي، كانت دالة على المعنى الحقيقي للنهي وهو التحريم، «وما نهى عنه رسول الله فهو على التحريم، حتى تأتي دلالة عنه على أنه أراد به غير التحريم»[٢].

هذا في غالب الأحاديث، لكن بالطبع هناك أحاديث كان النهي بها ليس من أجل التحريم، وإنما أغراض بلاغية عدة: (كالإباحة، والدعاء، والنصح، والإرشاد)، أما في كتاب الإيمان فلقد وجدت أنها أتت بالمعنى لحقيقي للنهي وهو التحريم، فعن أبي جعفر بن ربيعة، عن عراك بن مالك؛ أنه سمع أبا هريرة يقول: إنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر))[٣].

في هذا الحديث يحرم عليه الصلاة والسلام الانتساب إلى غير الأب الحقيقي، «فقد كانت العرب في الجاهلية يستبيحون أن يتبنى الرجل ولد غيره، فلا ينسب الولد إلى أبيه الحقيقي، وإنما ينسب إلى الذي تبناه، ويصبح له حق الولد من النسب من جميع النواحي»[٤].

وعن عدي بن الخيار عن المقداد بن الأسود؛ أنَّهُ أخبره أنَّهُ قال: ((يا رسول الله! أرأيت إن لقيتُ رجلاً من الكفار. فقاتلني. فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها. ثمَّ لاذ منِّي بشجرة، فقال: أسلمتُ لله. أفأقتلتهُ يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: (لا

---

(١) شروح التخليص، مختصر العلامة التفتازاني على تخليص المفتاح للقزويني، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ٢/ ٣٢٤.

(٢) الرسالة، للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص٢١٧.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم، ص٤٥.

(٤) فتح المنعم، ١/ ٢٣١.

تقتله)، قال: فقلت: يا رسول الله! إنه قد قطع يدي. ثم قال بعد ذلك بعد أن قطعها. أفقتله؟ قال رسول الله ﷺ: (لا تقتله)؛ فإن قتلته فإنه بمنـــزلتك قبل أن تقتله. وإنَّك بمنـــزلته قبل أن يقول كلمته التي قال))[1].

في هذا الحديث، وكما هو واضح من عنوان الباب، تحريم قتل من قال: لا إله إلا الله، فعند سؤال المقداد للرسول ﷺ بجواز قتل رجلٍ كافر قد ضرب إحدى يديه بالسيف فقطعها، فكان جوابه عليه الصلاة والسلام: (لا تقتله)، فالنهي هنا جاء للتحريم، ثم أعاد الصحابي الجليل الرواية مرة أخرى للرسول ﷺ؛ ليبين له أنه قطع يده في البداية، ثم إنه لما نطق بالشهادة كان خوفًا من القتل، وقد كان جوابه عليه الصلاة والسلام أيضًا: (لا تقتله) ففي هذا دليل قاطع على تحريم قتل من نطق بالشهادة من الكفار. والله تعالى أعلم.

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ص٥١.

المبحث الثالث: التمني:

التمني: طلب أمر تحبه النفس وتميل إليه وترغب فيه، ولكنه لا يرجى حصوله؛ إما لكونه مستحيلاً، أو لكونه بعيدًا لا يطمع في نيله... والأداة الموضوعة له هي: (ليْت)، تقول في تمني الأمر المحبوب الذي لا طمع فيه لكونه مستحيلاً، لا يمكن حصوله: ليت الشباب يعود يومًا[١].

وهناك أدوات أخرى للتمني، وهي: (لعل)، و(هل)، (لو).

(ولو) تأتي بها حينما يكون المتمنى عزيزًا، بعيد الوقوع، بعيد المنال؛ قال تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[٢].

و(هل) أصلها أداة استفهام، وتستعمل للتمني إذا أردنا أن نبرز المتمنَّى في صورة الممكن الذي لا نجزم بانتفائه، وذلك لكمال العناية به، قال تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾[٣].

ومن أدوات التمني التي خرجت عن الأصل (لعل)، فإن أصلها للترجي، والغرض من استعمالها للتمني الدلالة على استحالة الأمر المتمنَّى بها، ومن ذلك قول العباس بن الأحنف:

أسِرْبَ القَطا هَل من مُعيرٍ جَناحَه لعلّي إلى مَن قَد هَوِيتُ أطيرُ[٤][٥]

شواهد التمني في كتاب الإيمان:

في كتاب الإيمان وجدت شاهدًا وحيدًا للتمني، وهو في حقيقته ترجٍّ، حيث أتى مُستعملا فيه الأداة (لعل)، فعن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري: ((أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب. فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضَحْضَاحٍ[٦]

---

(١) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، ص٤٢٠.

(٢) الشعراء: ١٠٢.

(٣) الشعراء: ٤٤.

(٤) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص١٦٢، ص١٦٣، ص١٦٥.

(٥) ديوان العباس بن الأحنف، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٦٨.

(٦) والضحضاح: هو بضادين معجمتين مفتوحتين والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، =

من نار يبلغ كَعْبَيْهِ يغلي منه دماغه))[1].

للرسول عليه الصلاة والسلام ثلاث شفاعات، منهن شفاعته لعمه أبي طالب، وأبو طالب مات وهو على الكفر، والله ﷻ أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، لكن شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام لعمه شفاعة خاصة؛ لكونه حاميا للرسول عليه الصلاة والسلام في دعوته، وقبل هذا كفله في يتمه وهو صغير حينما توفي جده عبد المطلب؛ لذلك استحق شفاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فالرسول يتمنى ويرتجي من الله بأن يقبل شفاعته وتنفعه وتقيه من بعض العذاب في الآخرة.

واستعير في النار. وأما الغمرات فبفتح الغين والميم واحدها غمرة بإسكان الميم وهي المعظم من الشيء، صحيح مسلم بشرح النووي، مج٢، ٣/ ٤٤٧.

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، والتخفيف عنه بسببه، ص٩٠.

المبحث الرابع: الاستفهام:

الاستفهام هو طلب فهم شيء لا علم به، بأداة من إحدى أدواته، وهي: الهمزة، وهل، ومَن، ومتى، وأيان، وأين، وأنَّى، وكيف، وكم، وأيّ.

وتنقسم بحسب الطلب ثلاثة أقسام:

١) ما يطلب به التصور تارة والتصديق أخرى وهو الهمزة.

٢) ما يطلب به التصديق فحسب وهو هل.

٣) ما يطلب به التصور فحسب وهو باقي الأدوات[١].

ولعل أبرز ما يميز الاستفهام قدرته العالية على تنبيه النفس، وإثارة الذهن، واستمالة المخاطب للنظر والتدبر والتأمل[٢]، وهذا ما أشار إليه الجُرْجَاني في تعليقه على شواهد بمعنى الإنكار بقوله: «واعلم أنا وإن كنا نفسر (الاستفهام) في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى: أنه ليتنبه السامعُ حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب»[٣]. وقد علق الدكتور محمد أبو موسى على جملة الجُرْجَاني في قوله: «وقد لاحظ عبد القاهر أن الاستفهام الذي نفسره بهذه المعاني لا يراد به عند التحقيق إلا محض التنبيه، أعني الإيقاظ وإثارة حركة الفكر، وانبعاث الحس؛ حتى يكون مستوفزا ليلتفت بهذا الحضور الواعي إلى السياق، فيستوعبه بخفاياه ودقائق همسه، وكل حواشيه فيلتقط المراد، الاستفهام هنا يهيئ النفس لتتلقى من السياق ما يجيش به من خواطر، ومشاعر، وصور»[٤].

المعاني البلاغية للاستفهام:

تعددت معاني الاستفهام البلاغية وتنوعت من مؤلف إلى آخر، وقد حاول السيوطي استقصاء جميع المعاني المجازية للاستفهام، فلم يكتفِ بما جاء في التخليص، بل عرج على

---

(١) علم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت لبنان، ٢٠١١م، ص٥٥.

(٢) رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، ص٣٤٤.

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١١٩.

(٤) دلالات التراكيب، ص٢٤٥.

الإيضاح، وعلى عروس الأفراح والتبيان للطيبي، والمصباح لابن مالك، وروض الإفهام لابن الصايغ، فجمع ما فيها من معانٍ، وبهذا الجهد استطاع السيوطي أن يضع نصب أعيننا أقصى ما يمكن جمعه من هذه المعاني، فقد أخذ عن القَزْوِيْني في كتبه التلخيص والإيضاح: الاستبطاء، والتعجب، والتنبيه على ضلال المخاطب، والوعيد، والتقرير، والإنكار، والتهكم، والتهويل، والاستبعاد، والتعجب والتوبيخ، ونقل عن ابن مالك في المصباح: العرض، والتسوية. وعن ابن الصائغ: معنى التهويل، وضده وهو التسهيل.

وقد زاد السيوطي عدة معان أخرى «التشويق، والترغيب، والعتاب والتذكير، والدعاء، والإرشاد، والتمني، والتأكيد، والإخبار»[(١)].

معاني الاستفهام في كتاب الإيمان:

١- التقرير:

أي حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه؛ بشرط أن يذكر بعد الهمزة ما حمل المخاطب على الإقرار به[(٢)].

وغالبا ما تأتي أداة الاستفهام الهمزة، إذا كان الاستفهام تقريرا: «واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة قائم فيها إذا هي كانت للتقرير. فإذا قلت: (أأنت فعلت ذاك؟)، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل»[(٣)]، ونقل الشيخ أبو حيان عن سِيْبَوَيْهِ أن استفهام التقرير لا يكون بـــ(هل)، إنما تستعمل فيه الهمزة[(٤)].

وقد ذكر الإمام الزركشي أقوال بعض العلماء التي ترى أن أداة الاستفهام (هل) تأتي

---

(١) انظر: جهود الإمام جلال الدين السيوطي في علم المعاني، نجاح أحمد ظهار، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص١٤٦، ١٤٧، ١٤٨.

(٢) انظر: مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٠٦.

(٣) دلائل الإعجاز، ص١١٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ٢٠١١م، ٢/ ٢٠٦.

تقريرا، «قال الكندي: ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾[١]، إلى أن (هل) تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ»[٢].

من شواهد الاستفهام التقريري في كتاب الإيمان:

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[٣]، ((خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا. فهتف: يا صَباحاهُ، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي عبد المُطَّلِبِ، يا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))[٤].

بدأ الحديث بالنداء لشد انتباههم بما سيخبرهم به؛ ولعظم ما سيحدثهم به؛ ولكي تعم تلك النصيحة قريش كافة وقف على الصفا ثم بعد ندائه الأول قام بمناداة كل عشيرة على حدة، وفي قوله: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟) استفهام تقريري: «أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب»[٥]. «فالنبي يدرك جوابهم قبل أن يسألهم؛ لما يعلمه من حاله معهم وحالهم معه، ولكنه أراد أن يقرر صدقه عندهم حينما أراد أن يجهر بدعوته التي تخالف ما هم عليه من الشرك والكفر؛ ليكون ذلك مدخلاً إلى دعوتهم وإنذارهم وإعذارهم»[٦].

وعن سُهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ قال: ((جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: أوقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذلك

---

(١) الشعراء: ٧٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن،ج٢، ص٢٠٦.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين، ص٩٠.

(٥) فتح الباري، كتاب تفسير القرآن، سورة الشعراء، ٨/ ٦٣٨.

(٦) رعاية حال المخاطب في الصحيحين، ص٣٤٦.

صريح الإيمان))[١].

أتى هذا الحديث في باب الوسوسة في الإيمان، فالصحابة يسّرون للرسول ﷺ بأنه تجول في خواطرهم أسئلة قبيحة كمن خلق الله؟ وكيف هو؟ ويتعاظمون البوح بها لكونها لا تليق بمسلم موحد لله تعالى، فلما أخبروا رسول الله ﷺ بذلك أجابهم بقوله: (أوجدتموه؟) الهمزة للاستفهام، أي حصل ذلك وقد وجدتموه تقريرًا وتأكيدًا، والمعنى: «حصل ذلك الخاطر القبيح، وعلمتم أن ذلك مذموم وغير مرضى»[٢]، وفي قوله: (ذلك صريح الإيمان) تعبير بأداة الإشارة التي للبعيد للدلالة على تعظيم الدرجة التي وصل لها إيمان الصحابة.

وعن سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٣]. قال: ويرحم الله لوطا. لقد كان يأوي إلى ركن شديد. ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي))[٤]، والشاهد قوله: (أو لم تؤمن) ومعمول مؤمن محذوف، أي لم تؤمن بكيفية الإحياء؟ «والاستفهام للتقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بمضمون الجملة إثباتا أو نفيا، والمعنى هنا: أقر بأنك مؤمن»[٥].

٢- التشويق:

المعنى اللغوي واللفظي للتشويق: في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ذكر في مادة شوق، الشين والواو والقاف يدل على تعلق الشيء بالشيء، يقال: شقتُ الطنب، أي الوتد. والشوق مثل النوط، ثم اشتق من ذلك الشوق، وهو نزاع النفس إلى الشيء، ويقال: شاقني

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ص٦١.

(٢) شرح الطيبي، كتاب الإيمان، ٢٠١/١.

(٣) البقرة: ٢٦٠.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، ص٦٦.

(٥) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م، كتاب الإيمان، ١/ ٤٨٠.

يشقوني، وذلك لا يكون إلا عن علق حب[١].

وقد كثر التشويق إلى المعنى في الحديث الشريف وتعددت طرقه، إذ نجد النبي ﷺ ينبه المخاطب، ويشوقه إلى المعنى ويهيئه لتلقيه والإصغاء إليه بطرق شتى، كالاستفهام، والقسم، وأدوات التنبيه، والإيضاح بعد الإبهام، والنفي والشرط، والتقديم والوعد[٢].

من شواهد التشويق بالاستفهام في كتاب الإيمان:

عن عبد الرحمن بن أبي بكْرَةَ عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثا) الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت))[٣].

في هذا الحديث يحذر رسول الله ﷺ صحابته من أمور عظيمة مهلكة؛ ولهذا بدأ بأسلوب التنبيه والتشويق، فاستفتح الحديث بـــ(ألا)، وهي كما ذكر ابن هشام تكون للتنبيه، فتدل على تحقق ما بعدها[٤]، ومما زاد خطورة الأمر وأهميته تكرار جملة العرض والتنبيه) ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) ثلاثا...والغرض من هذا التكرار هو التوكيد على أهمية هذا النبأ وخطورته؛ مما يزيد شوق المخاطب لما يقال واهتمامه به، «أن كل سامع متشوق إلى أن يعرف الإجابة لا محالة فيصبح الجميع منتبهين»[٥]، «وتأمل قوله: (أكبر الكبائر) إنه شيء مخيف، وجرم عظيم تأباه النفوس المؤمنة، والقلوب التي تخشى الله سبحانه»[٦]، فالرسول عليه الصلاة والسلام حذَّر أصحابه من الأمور الثلاثة: (الإشراك، العقوق، وشهادة الزور) وقد سبقها بأسلوب مشوق؛ لكي يأخذ انتباه الصحابة نحو اجتناب هذه الكبار.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٨٩م، ٣/ ٢٢٩.

(٢) التشويق في الحديث النبوي، ص٧.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص٤٩.

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ٢٠٠٧م، ١/٨٠.

(٥) البيان النبوي، محمد رجب بيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٨٧م، ص١٩٤.

(٦) الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه، محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٦، بيروت دمشق عمان، ١٩٩٠م، ص٨٧.

وعن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل؛ قال: ((كنت رِدْفَ النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل. فقال: يا معاذ، قلت: لَبَّيْكَ رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قال: ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لَبَّيْكَ رسول الله، وَسَعْدَيْكَ، قال: ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لَبَّيْكَ رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، قال: ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لَبَّيْكَ رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فهل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق العباد على الله ألا يعذبهم))[1].

في هذا الحديث النبوي أراد عليه الصلاة والسلام أن يخبر معاذًا أمرًا عظيمًا، تترتب عليه سعادة المرء في الدارين، كما يترتب عليه شقاوته في نفس الوقت؛ ولذا لم يلق عليه الصلاة والسلام الخبر مباشرة، بل أراد لفت انتباه معاذ ﷺ إلى أهمية الخبر الذي سيلقيه على أسماعه، فلقد بدأه بالنداء وكرره ثلاثا -وسأتطرق لبلاغة النداء في هذا الحديث في مبحث النداء من هذا الفصل بإذن الله تعالى- ثم إنه استخدم أداة النداء (يا) وهي لمناداة البعيد للدلالة على مكانة معاذ عند رسول الله ﷺ؛ كذلك لخطورة الأمر الذي أراد استنفار كل طاقاته الاستقبالية، فعمل على تنبيهه بأعلى درجات التنبيه: فناداه بصوت عالٍ مرتفع مع قربه الشديد منه، وكرر عليه النداء مرة بعد مرة، وناداه وسكت عنه ليظل معاذ متحفزًا لاستقبال الرسالة، ثم أعقب النداء بأسلوب الاستفهام، وكان الغرض منه التشويق، «فلقد أراد رسول الله ﷺ من هذا الاستفهام تشويقه كذلك، واستدعاء انتباهه، ولفت نظره إلى ما سيلقيه إليه، وقد تمكن رسول الله ﷺ من خلال هذا الاستفهام من تحقيق ما يريد في جعل معاذ متلهفًا متطلعًا يرنو إلى ما سيلقى إليه، فلقد بلغ من الشوق أعمقه، ووصل به التلهف أقصاه، ولا مزيد على ذلك، فقد أقبل عليه بكليته، وصار أذنًا صاغية، وقلبًا واعيًا لمعرفة ما سيقال»[2].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ص٣٦.

(٢) الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية، عبد العزيز صالح العمار، جامعة الإمام محمد بن سعود، ٢٠٠٩م، ص٢٣٢، ٢٣٣.

٣- التوكيد:

المعنى اللغوي: في الأصل (وكد) الواو والكاف والدال: كلمة تدل على شد وإحكام، وأكد عقدك أي شده[١]، وقال عنه العلوي في الطراز التأكيد: تمكين الشيء في نفسه، وتقوية أمره. وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات لما أنت بصدده[٢]. ثم ذكر الغرض منه فقال: «وليس يخفى موقعه البليغ، ولا علو مكانه الرفيع، وكم من كلام هو عن التحقيق طريد، حتى يخالطه صفو التأكيد، فعند ذلك يصير قلادة في الجيد، وقاعدة للتجويد»[٣]، «وحين يُضاف إليه أسلوب الاستفهام فإن بلاغة هذا الأسلوب تزداد وتزدان... ومن هنا فكثيرًا ما يأتي التأكيد محققًا مقررًا لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله»[٤].

عن يحيى بن عمارة عن أبي سعيد الخدريِّ عن النبي ﷺ قال: ((يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل من يشاء برحمته، ويدخل أَهْلَ النَّارِ النَّارَ. ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خَرْدَلٍ من إيمان فأخرجوه. فيخرجون منها حُمَمًا قد امْتَحَشُوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا. فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟!))[٥].

ففي قوله: ﷺ: (ألم تروا أنها تخرج صفراء ملتوية؟) أسلوب استفهام، أراد الرسول ﷺ أن يبين لصحابته حال المسلم حين خروجه من النار، ثم إلقائه في نهر الحياة، وكيف يخرج بعدها معافى، فقد ذكر أنهم ينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، «فيه تشبيه متعدد، وهو التشبيه من حيث الإسراع، من حيث ضعف النبات، ومن حيث الطراوة والحسن، والمعنى: من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من ذلك الماء نضرًا حسنًا منبسطًا

(١) مقاييس اللغة، ٣/ ١٣٨.

(٢) معجم البلاغة العربية، الدكتور بدوي طبانة، دار المنارة جدة، دار الرفاعي الرياض، ط٣، ١٩٨٨م، ص٣٤.

(٣) السابق، ص٣٤.

(٤) الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية، ص٢٣٨.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، ص٨٠.

متبخترًا كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متميلة»[١].

«إذن فجاء الاستفهام (ألم تروا أنها تخرج صفراء ملتوية؟) تأكيدًا لمعنى التشبيه الذي تقدمه، وتقريرًا له، فحسبك بالروض جمالاً أن تراه مهتزًّا متمايلاً متثنيًا»[٢].

٤- الاستبعاد:

أي عدّ الشيء بعيدا، والفرق بينه وبين الاستبطاء أن الاستبطاء: عدّ الشيء بطيئا في زمن انتظاره، وقد يكون محبوبا منتظرًا، والاستبعاد عدّ الشيء بعيدًا حسا أو معنى[٣].

ولقد تحدث الدكتور عز الدين في كتابه (الحديث النبوي من الوجهة البلاغية) عن الاستبعاد بقوله: «ومن المعاني التي يأتي من أجلها الاستفهام في البيان النبوي تصويرُ بُعد المستفهم عنه أن تصل إليه القدرةُ، وإخراجه من هذا الإخراج أتم تقريرًا للبعد من مجرد الخبر»[٤].

ومن ذلك ما روي عن أبي ذر؛ قال: ((سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: نُور أنَّى أراهُ))[٥]، فعندما قص النبي ﷺ لأصحابه ما حدث معه في معراجه إلى السموات العلى، وما رأى فيها من العجائب، دار في خلد كثير من الصحابة مسألة رؤية النبي ﷺ ربه، ولذا جاء استفهام أبي ذر رضي الله عنه لغرض الاستبعاد؛ لأن رؤية الله سبحانه وتعالى لا تكون للمؤمنين إلا في الآخرة، فالله تعالى قد منع موسى عليه السلام من رؤيته، وهو أحد أولي العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[٦]، قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[٧]، وجاء رد الرسول ﷺ بنفس الأسلوب (الاستفهام الاستبعادي) بقوله: (نُور أنَّى أراهُ؟)، أي أنَّ النور حجبه عن رؤيته فلم

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ١/ ٢٣٥.

(٢) الاستفهام في الصحيحين، ص٢٤٣.

(٣) انظر: مواهب الفتاح في شرح تخليص المفتاح، لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد يعقوب المغربي، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٣م، ١/ ٤٩٨.

(٤) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٣٨٣.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: نور أنَّى أراهُ، وفي قوله: رأيت نوًرا، ص٧٧.

(٦) الأعراف: ١٤٣.

(٧) الأعراف: ١٤٣.

يره، وقد فسر النووي في شرحه لصحيح مسلم: «(نور أنى أراه) معناه حجابه نور فكيف أراه؟»[١].

٥- التعجب:

أصل هذه الكلمة مشتقة من مادة عُجْب، «بالضم: الزهوُ والكبر، والرجلُ يُعْجبُهُ القعودُ مع النّساء، أو تُعْجَبُ النِّساءُ منه»[٢]، والتعجب يحدث حينما يكون المستفهم عنه مثيرًا للدهشة عند المتكلم: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[٣].

شاهد التعجب من كتاب الإيمان:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل، فيسب أباهُ، ويسب أُمه، فيسبُّ أمَّهُ))[٤].

الشاهد في قوله: (وهل يشتم الرجل والديه؟) فالصحابة رضوان الله عليهم لم يتصوروا، ولم يخطر على بالهم أن هناك من يشتم والديه؛ لذا فقد قالوا: (يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟)، «لأن لعن الوالدين أمر مناف للفطرة، مثير للعجب، بعيد عن التصور»[٥].

«ولأن الطبع المستقيم يأبى ذلك»[٦]، وفي هذا الحديث تعبير بالمجاز: «فلو أنه قيل: إن من الكبائر أن يتسبب الرجل في شتم أبويه بشتمه آباء الآخرين، لم يكن شيئًا، وإن يكن أصاب المعنى الأساسي للعبارة؛ ذلك لأنه لو قيل لما استثار وجدان المخاطبين، ولما هز عواطفهم فاستفهموا منكرين، ومضى خبرًا من الأخبار العابرة. فالعبارة عبارة تصويرية

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ٣٩٣.

(٢) القاموس المحيط، للإمام أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيرازي الفيروز آبادي، رتبه وفصله حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، ص١١١٤.

(٣) مريم: ٢٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص٥٠.

(٥) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ص٢٣١.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ١٨/ ١٤٥.

يصحبها التخييل الذي هو مناط الاهتزازات النفسية والتأثير الوجداني»[١].

٥- البشارة:

أصل هذه الكلمة: ظهور الشيء مع حسن وجمال، ويقال: بَشَّرتُ فلانًا أُبَشِّرُهُ تبشيرًا، وذلك يكون بالخير، وربما حمل عليه غيره من الشر، يقال: أَبْشَرَتِ الأرضُ إذا أخرجت نباتها[٢].

الشاهد من كتاب الإيمان:

عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال. ((كنا مع رسول الله في قبة. نحو أربعين رجلاً فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: قلنا: نعم. فقال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فقلنا: نعم. فقال: والذي نفسي بيده! إنِّي لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذاك أنَّ الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلاَّ كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر))[٣].

ففي هذا الحديث أراد عليه الصلاة والسلام، أن يزف لأصحابه بشرى عظيمة، وخبرًا سارًّا، يتعلق بمصيرهم في الآخرة، «ولعظم هذه البشارة، وجليل قدرها لم يرد عليه الصلاة والسلام أن يذكرها ذكرًا عابرًا، بل توخى أسلوبًا بيانيًّا رائعًا في زفِّ هذه البشارة لهم، فاتخذ من أسلوب الاستفهام سبيلاً إلى ذكر هذه البشارة وبيانها في قوله: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟)، ومالهم لا يرضون بذلك؟ ولذا بادروا قائلين: نعم»[٤].

كذلك نجد أنه –عليه الصلاة والسلام– استخدم أسلوب الترقي في البشارة من الربع إلى الثلث إلى النصف، ثم أكد رسول الله ﷺ بقوله: (والذي نفس محمد بيده)، وخالط التأكيد رجاء بقوله: (إنِّي لأرجو)، ثم اختتم الحديث بأسلوب القصر والتشبيه، حيث قصر دخول الجنة على المسلمين، ففي الجملة الأخيرة: (ما أنتم في أهل الشرك إلاَّ كالشعرة

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٢٠١.

(٢) مقاييس اللغة، ١/ ٢٥١.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، ص٩٢-٩٣.

(٤) الاستفهام في الصحيحين، ص٢٤٦.

البيضاء في جلد الثور الأسود. أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)، استخدم القصر والتشبيه والطباق؛ للدلالة على كثرة دخول المسلمين للجنة.

٦- الإنكار:

يكون استفهام الإنكار على قسمين: أحدهما "يراد به التوبيخ، وهو من أنكر عليه إذا نهاه، أي ما كان ينبغي أن يكون هذا، نحو: أعصيت ربك؟ أي: بمعنى لا ينبغي أن يكون...والغرض منه الندم على ماض والارتداع عن مستقبل، وضابط هذا القسم أن يكون ما يلي الهمزة فيه واقعا، لكنه مستقبح. والثاني: للتكذيب، وضابطه أن يكون ما يلي الهمزة غير واقع وقصد تكذيبهم فيه[١].

شواهد الإنكار التوبيخي من كتاب الإيمان:

عن أبي هريرة: ((أن رسول الله ﷺ مرَّ على صُبرة طعام. فأدخل يده فيها. فنالت أصابعهُ بللاً. فقال: ما هذا يا صاحب الطّعام؟ قال: أصابتهُ السَّماءُ يا رسول الله! قال: أفلا جعلتهُ فوق الطعام كي يراه الناس؟ مَنْ غش فليس مني))[٢]، الشاهد في هذا الحديث قوله ﷺ: (ما هذا يا صاحب الطعام؟) فقد أنكر عليه الصلاة والسلام ما قام به هذا البائع من غش وخداع للمسلمين، حيث قام بإخفاء الطعام الفاسد، وإظهار الحسن منه. والصبرة: «الكومة المجموعة من الطعام، سُميت صُبْرة لإفراغ بعضها على بعض، ومنه قيل للسحاب فوق السحاب: صُبْر»[٣].

وعن عمرو بن العاص، قال: ((أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه. قال: فقبضت يدي. قال: ما لك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي. قال: أما علمت أنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأنَّ الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأنَّ الحج يهدم ما كان قبله؟))[٤].

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للشيخ بهاء الدين السبكي، تحقيق د. عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ٢٠٠٣م، ١/ ٤٥٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: من غشنا فليس منا، ص٥٢.

(٣) فتح المنعم، ١/ ٣٣٠.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، ص٥٨.

الشاهد في قوله ﷺ: (تشترط ماذا؟) فقد أنكر عليه الصلاة والسلام ما بدر من عمرو بن العاص، حين اشترط على رسول الله عند مبايعته بأن يغفر له الله، ويمحو أعماله في الجاهلية.

«(أتشترط) إنكارًا، فحذف الهمزة، ثم ابتدأ فقال: (ماذا)، أي ماذا تشترط، ونظيره في إعادة المجيب كلام السائل قول إخوة يوسف: (جزاؤه من وجد في رحله) بعد سؤال القوم: (فما جزاؤه)»[١]، ثم شرع رسول الله ﷺ في إيضاح سبب إنكاره على عمرو حينما اشترط أن يغفر الله له، بقوله: أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله من المعاصي والشرك بالله، كذلك الحج والهجرة تهدمان صغائر الذنوب، وفي صيغة (يهدم) تعطي إيحاء قويًّا بأن الإسلام يمحو ويذيب كل ما فعله الفرد من الآثام والكفر والمعاصي قبل الدخول فيه.

وعن أسامة بن زيد، وهذا حديث ابن أبي شيبة، قال: ((بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبَّحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته؛ فوقع في نفسي من ذلك. فذكرته للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فما زال يكررها عليَّ حتَّى تمنيت أنِّي أسلمت يومئذ))[٢].

الشاهد في قوله ﷺ(أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟) حيث أنكر عليه الصلاة والسلام ما قام به أسامة حينما قتل الرجل بعدما نطق بالشهادة، وفي هذا دليل على تحريم قتل من نطق بالشهادة من الكفار، قوله: (أقتلته بعدما قال؟)، في رواية الكشميهي: (بعد أن قال)، قال ابن التين: «في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وقال القرطبي: في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك»[٣]، وفي قوله: «(تمنيت أنِّي أسلمت يومئذ) هي كناية عن شدة ما لاقى من غضب رسول الله ﷺ، مع كونه حِبَّه، وهو أحرص الناس على طاعته ﷺ»[٤].

---

(١) شرح الطيبي، كتاب الإيمان، ١/ ١٦٢.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ص٥١.

(٣) فتح الباري، كتاب الديات، ١٢/ ٢٤٣.

(٤) كنوز رياض الصالحين، ٥/ ٣٥٥.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: ((لمـــا حَضَرتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويُعيد تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملَّة عبد المطلب))[١].

الشاهد في قولهم: (أترغب عن ملة عبد المطلب)، فالهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، أي لا ينبغي أن ترغب عن ملة عبد المطلب، ولم يقولا له: لا تفعل، خشية معاندتهم أنفة، فإن نفس الأبي تنفر من النهي المباشر من النظير والمساوي[٢].

ومنه حديث أبي قتادة حدث: قال: ((كنا عند عمران بن الحصين، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ، قال: قال رسول الله ﷺ: الحياء خير كله فقال بُشير بن كعب: إنَّا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أنَّ منه سكينة ووقارًا لله. ومنه ضعف. قال: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه. وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟، قال: فأعاد عمران الحديث، قال: فأعاد بشير، فغضب عمران، قال: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نُجيد إنه لا بأس به))[٣].

الشاهد في قوله: (ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟) الاستفهام هنا إنكاري توبيخي، أي أحدثك عن رسول الله ﷺ، وأن تحدثني عما سواه، «ولم ينكر عمران عليه هذا القدر من حيث معناه، وإنما أنكر عليه من حيثُ إنه ساقه في معرض من يعارض كلام الرسول بكلام غيره، وقيل: إنما أنكر عليه لكونه خاف أن يخلط السنة بغيرها»[٤].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ص٣٥.

(٢) فتح المنعم، ١/ ٩٠.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، ص٣٩.

(٤) فتح الباري، كتاب الأدب، باب الحياء، ١٠/ ٦٤١.

المبحث الخامس: النداء:

النداء في اللغة: (الصوت، وقد ناداه، ونادى به، وناداه مناداة ونداء أي، صاح به... والنّدى: بُعد الصوت[١].

وذكره سِيْبَوَيْهِ في الكتاب بقوله: «واعلم أن النَّداء، كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهارُه»[٢].

والنداء عند علماء البلاغة: حقيقته طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة[٣].

وأدواته ثمان: يا، والهمزة، وأي، وآ، وآي، وأيا، وهيا، ووا. فالهمزة وأي لنداء القريب، وغيرهما لنداء البعيد[٤].

شواهد النداء في كتاب الإيمان:

١- التحسر:

عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي. يقول: يا ويله. (وفي رواية أبي كريب: يا ويلي)، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة. وأُمِرْتُ بالسجود فأبيتُ فلي النَّار))[٥].

(يا ويله) نداء الشيطان هنا للتحسر والتوجع، قال الطيبي: ونداء الويل للتحسر على ما فاته من الكرامة، وحصول اللعن والطرد والخيبة في الدارين، وللحسد على ما حصل لابن آدم من القرب والكرامة والفوز[٦].

---

(١) الأساليب الإنشائية في الحديث النبوي في صحيح البخاري، منال طه عبد الرزاق الرفاعي، ١٩٩٥م، ص١٣٥.

(٢) الكتاب، سيبويه، أبو بشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٨م، ١٨٢/١.

(٣) عروس الأفراح، ص٤٧٤.

(٤) معجم البلاغة، ص٦٦٠.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ص٤٨.

(٦) مسائل علم المعاني في كتاب (فيض القدير شرح الجامع الصغير) للمناوي، الدكتور محمد رفعت الزنجير، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٥، ع٢٧، جمادى الثانية ١٤٢٤هـ، ، ص٨١٣.

٢- التلطف والإيناس:

في حديث ابن شهاب قال: ((أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة. جاءهُ رسول الله ﷺ. فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ: يا عمّ! قل: لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميَّة: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبَى أن يقول: لا إله إلا الله...))[١].

مكانة أبي طالب عند رسوله الله ﷺ كانت عظيمة، فلقد كَفَلهُ وهو ابن الثامنة بعد وفاة جده عبد المطلب، ولما صدح رسول الله عليه الصلاة والسلام بدعوته للإسلام وقف معه عمه بعد أن عاداه أسياد قريش، وعندما حانت وفاة عمه أبي طالب كان عليه الصلاة والسلام بجانبه يدعوه للشهادة، تلطفًا وشفقة عليه من المصير الذي ينتظره في حال مات وهو على الكفر، فأخذ يناديه بتلطف وتودد (يا عمّ)، والله تعالى أعلم.

٣- التشويق:

عن معاذ بن جبل؛ قال: ((كنت ردف رسول الله ﷺ. على حمار يقال له: عفير. قال: فقال: يا معاذ تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا. وحق العباد على الله ﷻ ألاَّ يعذب من لا يشرك به شيئًا قال: قلت: يا رسول الله! أفلا أبشرُ النَّاس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا))[٢].

أسلوب النداء في سياق الحديث يتحول من مجرد نداءٍ إلى نداء يتمحض عنه تشويق يأخذ بالمتلقي نحو الترقبِ لما ينتج عنه نداء البعيد، مع كونه قريبًا من الرسول الكريم، ثم تلا النداء أسلوب استفهام للتشويق (أتدري ماحق الله على العباد؟)؛ لأن الخبر التالي: «يحمل في

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت مالم يشرع في التزع- وهو الغرغرة- ونسخ جواز الاستغفار للمشركين، والدليل على أن من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل، ص٣٤، ٣٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ص٣٦، ص٣٧.

طياته تحذيرًا من الشرك بأنواعه، وإن العبد إذا تجنب الشرك جنبه الله العذاب»[١]؛ لذلك قدّم له بالتشويق في أسلوبين، حتى ترسخ تلك المعاني في وجدانهم، ويبادروا في الامتثال والاستجابة لله ولرسوله، والله تعالى أعلم.

٤- الإنكار:

كقوله ﷺ ((يا أسامة! أقتلتهُ بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله! إنما كان متعوذا. قال: فقال: أقتلتهُ بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أنَّي لم أكُن أسلمتُ قبل ذلك اليوم))[٢]، أتى النداء هنا بغرض الإنكار.

٥- الدعاء:

من أساليب النداء في الأحاديث النبوية النداء بـــ(اللهم)، «اللهم في النحو نداء، وفي المعاني دعاء؛ وأول من جعلها في باب النداء الخليل بن أحمد فيما حدث عنه سِيْبَوَيْهِ حيث يقول: «وقال الخليل رحمه الله: اللهم نداء، والميم هنا عوض عن يا- فهي ها هنا فيما زعم الخليل رحمه الله آخر الكلمة بمنـــزلة يا في أولهما، إلا أن الميم ها هنا في الكلمة كما أن نون المسلمين في الكلمة بنيت فيها. فالميم في هذا الاسم حرفان أولها مجزوم والهاء مرتفعة؛ لأنه وقع عليها الإعراب، وإذا ألحقت الميم لم تنصب الاسم، من قبل أنه صار مع الميم عندهم بمنـــزلة صوت كقولك: يا هناه»[٣].

مثال ذلك في كتاب الإيمان:

عن عمرو بن جُبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ((أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[٤]. وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

---

(١) التشويق في الحديث النبوي، ص٤٣.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ص٥١، ص٥٢.

(٣) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، الدكتور عودة خليل أبو عودة، دار البشر، عمان الأردن، ١٩٩٠م، ص٤٦٨.

(٤) إبراهيم: ٣٦.

﴿١١٨﴾[1]، فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي. وبكى فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل -عليه الصلاة والسلام- فسأله. فأخبره رسول الله ﷺ بما قال. وهو أعلم. فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك))[2]. الشاهد في قوله: (اللهم أمتي أمتي) فاللهم نداء كان الغرض منه التضرع بأن ينجي الله أمته من العذاب، رحمة بهم وشفقة عليهم.

ومثال آخر في كتاب الإيمان وهو حديث جابر عن الطفيل بن عمرو الدوسي عن النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ، فَاغْفِرْ))[3]، الشاهد هنا (اللهم) نداء لله ﷻ بأن يغفر الله للرجل ما أقدم عليه.

(١) المائدة: ١١٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، ص٨٨، ص٨٩.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، ص٥٦.

الفصل الثالث

بناء الجملة

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: الحذف والذكر.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير.

المبحث الثالث: القَصْر.

المبحث الأول: الحذف والذكر:

الحذف:

الحذف لغة:

حذفه يحذفهُ: أسقطه، وبالعصا رماه بها[١].

وفي أساس البلاغة: حذف ذنب فرسه إذا قطع طرفه، وفرس محذوف الذنب. وحذف رأسه بالسيف: ضربه فقطع منه قطعة[٢].

وفي لسان العرب: حذف الشيء يحذف حذفًا، قطعه من طرفه[٣].

ولاحظ الدكتور علي أبو المكارم اختلاف المعاجم في تفسير كلمة حذف، حيث قال: «ويمكن أن يفسر هذا الاختلاف بين المعاجم على أنه نوع من التطور الدلالي؛ إذا كان الحذف مقيدًا بالطرف أول الأمر، وبخاصة وتحت لفظة مدلول مادي، ثم أدركه نوع التطور فشمل دلالات أخرى غير مادية، ومن ثم اكتفى بعضهم في تعريفه بأنه الإسقاط دون تقييد، وكأنه إشارة إلى هذا التطور الدلالي الجديد»[٤].

الحذف اصطلاحًا: عند علماء البلاغة:

عرفه عبد القاهر بقوله: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن»[٥].

وفي علم لغة النص الحديث يطلق عليه الإضمار، تقول د. إلهام أبو غزالة: «من الوسائل التي تسهم في الإيجاز والجودة وسيلة الإضمار»[٦].

---

(١) القاموس المحيط، ص٣٥٤.

(٢) أساس البلاغة، ص١٣٧.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ٢/ ٣٦٦.

(٤) الحذف والتقدير في النحو العربي، علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٩٩.

(٥) دلائل الإعجاز، ص١٤٦.

(٦) مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٩م، ص١٠٢.

الأغراض البلاغية لحذف المسند إليه:

تعد ظاهرة الحذف في بنية التراكيب اللغوية من أدبيات اللغة التي يتجاذبها أطراف ثلاثة: المبدع، والمتلقي، وما بينهما من رسالة. الأول: المبدع بيان الدافع الذي جعله يسقط ما يمكن إثباته، كذا المتلقي دوره بوصفه مبدعًا، فإن السياق هو الذي يدفع هذا الحذف ولا يأخذ المعنى نحو الالتباس، وفي هذا الإطار يقول رجاء عيد: «قد يحذف أحد طرفي الإسناد، أو سواهما في التركيب اللغوي لأغراض فنية، اكتفاءً باللمحة الدالة، وتكثيفًا لعطاء فني يستشف من السياق. ولا يمكن فنيًّا حصر مواضع هذا الحذف؛ لأنها ليست تقعيدًا منطقيًّا مقننًا، وإنما هي مواقف فنية ندركها من الموقف كله. فقد تكون هنالك أغراض أعمق وأدقُ من تلك التي حصرها البلاغيون، وعلينا أن نستشف العطاء الفني لنسق التراكيب من داخل العمل نفسه، ومن بنيته الفنية الخاصة»[(١)].

ولكن علماء البلاغة أوردوها على سبيل المثال لا الحصر، والشاهد في ذلك قول السكاكي بعدما أورد مواضع لحذف المسند إليه: «وإما لأغراض سوى ما ذكر، مناسبةٍ في باب الاعتبار بحسب المقامات، لا يهتدي إلى أمثالها إلا العقل السليم والطبع المستقيم»[(٢)].

وقد ذكر البلاغيون مواضع حذف المسند إليه:

١- ذكر عبد القاهر أن حذف المسند إليه (المبتدأ) يكثر عند الديار والأطلال، ولقد أورد في دلائل الإعجاز عددًا منها، ولعل الشاعر عند ذكر الأطلال والديار والمنازل التي بددتها الأيام وغيرها الزمن، يكون ممتلئ النفس، متوتر الحس، حزينًا كئيبًا، وتلك حال تقتضي الحذف.

٢- ضيق المقام، وذلك إلى ما يكون فيه المتحدث من حزن، وألم.

٣- تعينه وعدم احتمال غيره.

٤- قد يكون حذف المسند إليه لغرض جمالي، كالمحافظة على التناسب في السجع، أو الموسيقى في الشعر.

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، منشأة المعارف، ط٢، الإسكندرية، ص٨١.

(٢) مفتاح العلوم، ص ١٦٤.

٥- من مواضع حذف المسند إليه، ما يؤدي إليه الحذف من زيادة الاحتمالات والتقدير، وهذا فيه ما فيه من تأثير على المعنى.

٦- تعجيل المسرة؛ إذ يؤدي حذفه إلى سرعة إيراد المسند والمبادرة بذكره.

٧- تحقير المسند إليه، وصون اللسان عن النطق به[١].

صور حذف المسند إليه في كتاب الإيمان:

الأول: المبتدأ:

١- حذف المبتدأ لتعينه وعدم احتمال غيره:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: ((أن رجلا سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))[٢].

أتى رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله عن أي عمل في الإسلام هو خير، وقد استخدم أداة الاستفهام (أي)، وهي توحي بالتعدد، أو أن هناك خيارات عدة؛ ذلك لأن هذه الجملة الاستفهامية: (أي الإسلام خير) تنطوي على إيجاز حذف، والأصل: (أي صفات أو خصائص الإسلام خير)، والدليل على ذلك أن: «أي تدخل على متعدد، وهنا دخلت على الإسلام، وهو مفرد، لا تعدد فيه؟ أجيب بأن في الكلام محذوفًا، وهو دخول (أي) في الحقيقية، والأصل أي خصال الإسلام خير؟ بدليل أن الجواب كان بالتفاضل بين الخصال»[٣].

ولقد أتى جواب رسول الله ﷺ بحذف المبتدأ وذلك بقوله: (تطعم الطعام وتقرأ السلام...)، والأصل (خير الإسلام تطعم الطعام...). وفي قوله: (تطعم الطعام وتقرأ السلام) عبّر عن تلك الخصلتين (إطعام الطعام، وإقراء السلام) بالمضارع دليلاً على التجدد والاستمرار والمداومة على فعل تلك الخصلتين، كذلك استخدم- عليه الصلاة والسلام- أسلوب السجع في قوله: (تطعم الطعام...تقرأ السلام) والجناس في (تطعم الطعام)؛ لترسيخ

---

(١) انظر: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، ص٩٨ إلى ١٠٦. بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص٥٨، ص٥٩.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ص٣٩.

(٣) فتح المنعم، ١/ ١٤٨.

تلك الخصلتين في ذهن السائل.

عن أبي هريرة؛ قال: ((سُئِلَ رسول الله ﷺ، أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم حج مبرور))[١].

قال العيني: «((إيمان بالله) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي هو إيمان بالله، والتقدير: أفضل الأعمال الإيمان بالله»[٢]، وقوله «الجهاد مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو الجهاد والتقدير: أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله الجهادُ، وكذلك الكلام في إعراب قوله: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور... حذف المبتدأ في ثلاث مواضع الذي هو المسند إليه لكونه معلومًا احترازًا عن العبث»[٣].

ومن ذلك حديث جبريل قَالَ: ((فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك،))[٤].

في حديث جبريل هذا حينما أتى رسول الله ﷺ ليسأله عن أمور عظيمة في الإسلام، فعند جوابه ﷺ عن الإيمان أجاب عن أركانه الستة، مقدمًا الأهم ثم الذي يليه، وحينما أجاب عن الإحسان كان جوابه في عبارة اشتملت على أساليب بديعية كالجناس والطباق؛ وحذف المبتدأ في جوابه ﷺ لترسيخ تلك المفاهيم في نفوس الصحابة، إذْ إن تلك المفاهيم العظيمة حينما تلقى بأسلوب خبري وجيز وبصور بديعية من شأنها أن تكون أكثر تعلقًا في الذهن، إضافة إلى وضوح المبتدأ هنا وتعينه.

والتقدير: الإيمان أن تؤمن بالله...والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.

وحديث الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ عند والده، عن أنس عن ثابت: ((أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفَّى دعاه فقال: إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ص٤٨.

(٢) عمدة القاري، كتاب الإيمان، ١/ ٢٥٧.

(٣) نفسه.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، ص٢٨.

النَّارِ))[١]. الشاهد في قوله: (في النار) حذف المبتدأ (أبوك)، إذ الأصل أن يقول: (أبوك في النار)[٢].

ومن ذلك أيضًا عمرو بن شرحبيل، عن عبد الله قال: ((سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك))[٣].

في هذا الحديث يستفهم أحد صحابة رسول الله ﷺ عن كبائر الذنوب وعظيمها، ولقد استخدم أداة الاستفهام (أيّ) التي توحي بأن هناك خيارات عدة، وهو يريد رسول الله بأن يخبره بأعظم تلك الذنوب لاجتنابها، فأخبره رسول الله ﷺ بثلاثة ذنوب هي من كبائر الذنوب، في قوله: (أن تجعل لله ندا)، لم يقل (شريكًا، أو مثيلاً) قال الجوهري: «ند الشيء من يشاركه جوهره، أما المثل فيقال في أي مشاركة، سواء كانت في الجوهر أو غيره، فكل ند مثل وليس كل مثل ندا»[٤]، وحرف العطف (ثم) بين الجمل ليس من أجل التراخي في الزمن، بل الترتيب في الإخبار؛ «لأن الترتيب كما يكون تصاعديًّا يكون تنازليًّا»[٥]، وقد حذف المبتدأ في قوله: (أن تجعل لله نداء وهو خلقك) الأصل: (أعظم الذنب عند الله) لكن حذف المبتدأ لتعينه ووضوحه.

وحذف المبتدأ في حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: ((كنا عند رسول الله ﷺ فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر – ثلاثا –؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت))[٦].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار لا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين، ص٨٩.

(٢) سبق شرح هذا الحديث في الفصل الأول مبحث الخبر الطلبي.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده، ص٤٩.

(٤) فتح المنعم، ١/ ٢٨٠.

(٥) السابق، ٢٨٠.

(٦) السابق، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص٤٩.

في هذا الحديث يخبر رسول الله ﷺ أصحابه عن ثلاثة أمور تعدُّ من الكبائر في الدين الإسلامي، وقد جاء حديثه بأداة الاستفهام (ألا) تنبيهًا لصحابته، ولجذب أسماعهم، ثم قال: (أنبئكم) ولم يقل: (أخبركم أو أبلغكم)؛ ليدل على أن الخبر الذي سيلقيه على أسماعهم عظيم وخطير، ثم عبر بأفعل التفضيل (أكبر) زيادة في التشويق، ثم سرد لهم تلك الثلاثة الأمور العظيمة، وقد حذف المبتدأ (أكبر الكبائر) في جوابه؛ لأنه أصبح معلومًا وقد قدم له بأسلوب مشوق، فالكل أصبح متلهفا لسماع تلك الأمور الثلاثة العظيمة، وقد سرد تلك الكبائر مبتدئًا بالأعظم، الإشراك بالله، ثم عقوق الوالدين، (وكان متكئا فجلس)، ولشد انتباههم للكبيرة الثالثة (شهادة الزور) التعبير بالحركات الجسدية (متكئًا فجلس) فمعلوم أن كبيرة شهادة الزور لها خطر وأضرار جسيمة على المجتمع؛ لذا أراد جذب انتباههم لتلك الكبيرة.

٢- التعظيم:

عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذرٍّ؛ قال: ((سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربَّك؟ قال: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ))[١].

حذف المبتدأ (هو) والأصل (هو نور) فحذف المسند إليه (المبتدأ) وذكر الخبر تعظيمًا وإجلالاً لذلك النور الإلهي، إجلالاً له عن أن تراه العيون في الدنيا، وتعظيمًا لذلك النور الذي ليس كمثله شيء، الذي هو نور السموات والأرض، قال صاحب (الإشارات والتنبيهات): «ومن دواعي حذف المسند إليه أن الشيء المسند إليه إذا بلغ نهايته في أوصافه المحمودة أو المذمومة تُرِك ذكره، واقتصر على ذكر تلك الصفة أو الأوصاف، إيماء إلى أنه لا يشاركه فيها أحد فيذكر لامتيازه عنه»[٢].

ثانيًا: حذف الفاعل:

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) السابق، باب بيان في قوله عليه السلام: نور أنَّى أراه، وفي قوله: رأيت نورًا، ص٧٧.

(٢) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق الدكتور: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٩.

((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله))[١].

الشاهد في قوله: (أمرتُ) حيث بني للمجهول، قال ابن علان الشافعي في شرح الحديث: «(أمرتُ) بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل»[٢].

فالحذف هنا لتعين المحذوف ووضوحه، قال ابن حجر: «(أمرتُ) أي أمرني الله؛ لأنه لا آمر لرسول الله ﷺ إلا الله، ولا يحتمل أن يريد أمرني صحابي آخر؛ لأنهم من حيث إنهم مجتهدون لا يحتجون بأمر مجتهد آخر»[٣]. وقال الطيبي تعليقًا على هذا الحديث: إذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: أمرت فهِم منه أن الله تعالى أمره، وإذا قاله الصحابي رضي الله عنه فهِم أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمره، فإن من اشتهر بطاعة رئيس إذا قال ذلك فهم منه أن الرئيس أمره[٤].

وحذف الفاعل هنا تفخيمٌ وتعظيمٌ، والمفهوم منه أن الله تعالى هو الذي أمر، كما يفهم من قول الصحابي: أمرنا، أن الآمر له هو النبي ﷺ، وإنما عدل إليه تعويلاً على شهادة العقل أنه تعالى هو الآمر لا يحتاج إلى تصريح باسمه، ولا يذهب الوهم إلى غيره؛ إذ لا أحد يأمره سوى الله تعالى[٥].

ومن حذف الفاعل لوضوحه وتعينه، ما روي عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: ((بُني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان،

---

(١) السابق، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إلا الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبيﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، ص٣٤.

(٢) إعراب الأربعين حديثًا النووية، حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٨١.

(٣) فتح الباري، كتاب الإيمان، ١/ ١٠٤.

(٤) شرح الطيبي، كتاب الإيمان، ١/ ١٢٩.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي المكي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ٢٠٠٧م، ٢/ ٢٤٤.

والحج))[١]، (بُني الإسلام) والتقدير: بنى الله الإسلام، وحذف الفاعل لوضوحه وتعينه. ونجد ذكر لفظ الجلالة (الله) في: (يوحد الله) مبالغة في إثبات الوحدانية لله ﷻ.

حذف المسند:

وكما تحدث البلاغيون عن الأغراض البلاغية لحذف المسند إليه فقد تحدثوا عن حذف المسند ودواعي حذفه، وقد ورد حذف المسند في الحديث النبوي الشريف ومن تلك الصور:

١- حذف الخبر:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ((أنَّ النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾[٢] الآية، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[٣]، فرفع يديه وقال: اللهمَّ أُمَّتي أُمَّتي وبكى))[٤].

في هذا الحديث يناجي رسول الله ﷺ ربه، وحذف حرف النداء في (اللهم) والتقدير ياالله)؛ لأن في ذلك إظهارًا للخضوع لله تعالى، وشعورًا بقربه، وحذف الخبر في قوله: (اللهم أمتَّي أمتَّي) والتقدير: (أمتَّي بحاجة للغفران والرحمة)، ولأن المشهد مشهد دعاء، حيث يعلوه الخشوع والخضوع التام لله ﷻ؛ وحذَف الخبر لأن المشهد يتطلب ذلك الحذف، والله تعالى أعلم.

عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري: ((...] ثم يضرب الجسر على جهنم. وتحل الشفاعةُ. ويقولونَ: اللَّهم سلم سلم. قيل: يا رسول الله وما الجسر قال: دحض مزلة فيه خطاطيفُ وكلاليب وحسك. تكون بنجدٍ فيها شويكة يقالُ لها: السَّعدانُ. فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالرِّيح، وكالطَّير، وكأجاويد الخيلِ والرِّكاب، فناجٍ مسلَّم.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، ص٣١.

(٢) إبراهيم: ٣٦.

(٣) المائدة: ١١٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب دعاء النبيﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، ص٨٩.

ومخدوش مرسل. ومكدوس في جهنَّم))[١]، التقدير (قسم ناج مسلم)، و(قسم مخدوش مرسل)، (وقسم مكدوس في جهنم).

قال بدر الدين العيني: يعني أنهم ثلاثة أقسام: قسم مسلم لا يناله شيء، وقسم يخدش ثم يسلم ويخلص، وقسم يسقط في جهنم[٢]، فعندما يسوق الرسول ﷺ الحديث عن مشاهد يوم القيامة يكون فيه إيجاز؛ وذلك لتكثيف الدلالة، ولكي تذهب النفس كل مذهب، الأمر الذي يثير فيها الخوف والرعب مما يتضمنه الحديث من وعيد. والله تعالى أعلم.

٢- حذف الفعل:

يحذف الفعل في الحديث النبوي إذا دلَّ عليه دليل حالي أو مقالي لغرض بلاغي.

وقد قسم ابن الأثير حذف الفعل قسمين فقال: «اعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين: أحدهما: يظهر بدلالة المفعول عليه، كقولهم في المثل: أهْلك واللَّيْلَ، فنصبُ (أهلك والليل) يدل على محذوف ناصب، تقديره أهلك وبادر اللَّيْل... ومما ورد منه في الأخبار النبوية: ((أن جابرًا تزوج فقال له رسول الله ﷺ: ما تزوجت؟ قال: ثيبًا؛ فقال له: فهلاَّ جاريةً تُلاعبُها وتُلاعبُك))، يريد فهلا تزوجت جارية، فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه. والقسم الآخر: فإنه لا يظهر فيه قسم الفعل؛ لأنه لا يكون هناك منصوب يدل عليه، وإنما يظهر بالنظر إلى ملاءمة الكلام»[٣].

في الحديث الذي يعرض لمجاعة المسلمين في غزوة تبوك، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هُريرة: ((...فجاء عمر، فقال: يا رسول الله إن فعلت قلَّ الظَّهرُ. ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع اللَّه لهم بالبركة. لعلَّ اللَّه أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله ﷺ: نعم))[٤]، التقدير (نعم أفعل) وفي ظني جاء حذف الفعل، لاقتناع الرسول ﷺ بمشورة عمر رضي الله عنه، أضف أنه عليه الصلاة والسلام كان منهكًا وجائعًا، حيث أصابت قافلة جيوش المسلمين مجاعة ونقص في المؤن والغذاء، والله تعالى أعلم.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص٧٩.

(٢) عمدة القاري، كتاب التوحيد، ٢٠/ ٣٨٠.

(٣) المثل السائر، ٢/ ٨٧-٨٩.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ص٣٦.

عن المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذرٍّ يُحدثُ عن النبي ﷺ أنه قال: ((أتاني جبريلُ عليه السلام فبشرني أنَّهُ من مات من أُمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة، قلتُ: وإنْ زنى وإنْ سرق، قال: وإنْ زنى، وإن سرق))[1]، الشاهد في قوله: (وإن زنى، وإن سرق)، والأصل (وإن زنى وإن سرق دخل الجنة) دخل الجنة. «فهي جملة شرطية محذوفة الجواب تقديره: دخل الجنة»[2]، وسبب الحذف شدَّة التعجب والذهول من البشرى، ولهذا في رواية أخرى كرر الرسول ﷺ السؤال: (وإن زنى، وإن سرق)، فكيف بمن يقوم بتلك المعاصي والآثام ثم يدخل الجنة بعد ذلك، والله تعالى أعلم.

في حديث طويل عن شفاعة الأنبياء يوم القيامة، عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيد النَّاس يوم القيامة... وأنَّهُ قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي...))[3].

في هذا الحديث يصور ﷺ مشهدًا من مشاهد يوم القيامة وإثبات الشفاعة يوم القيامة لرسول ﷺ فعندما يذهب الناس لطلب الشفاعة من الأنبياء يكون جواب أغلبهم بأنه لا يملك من الأمر شيئًا. التقدير: (عليَّ نفسي، ألزم نفسي)، لكن لشدة الفزع ولعظمة الموقف حُذف الفعل، وتقديره: (عليَّ أو ألزم)، والله تعالى أعلم.

٣- حذف المفعول به:

قال ابن الأثير عن حذف المفعول به: «إن اللطائف فيه أكثر وأعجب»[4].

وقال عنه طاهر سليمان حمودة: «يبدو من ظاهر كلام معظم النحاة أن المفعول به يجوز حذفه مطلقًا؛ لأنه فضلة، فيجوز لمن قال: ضربتُ زيدًا، أن يقول: ضربت، ولمن قال: أعطيتُ زيدًا درهما، أن يقول: أعطيت، بل يذهب ابن هشام إلى أنه لا يشترط وجود دليل لحذف الفضلة...وما ذهب إليه النحاة غير دقيق، وقد ساقهم إليه ما يرونه في اللغة من فرق

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار، ص٥٠.
(٢) كنوز رياض الصالحين، ٧/ ٢٤٩.
(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها، ص ٨٦.
(٤) المثل السائر، ٢/ ٩١.

في التراكيب بين العُمد والفضلات، وأنه بعد حذف الفضلات تبقى جملة ذاتَ فائدة»[١].

صور حذف المفعول به في كتاب الإيمان:

عن عبد الله بن عمرو؛ أنَّ رجلا سأل رسول الله ﷺ: ((أيُّ الإسلام خير؟ قال:: تُطعم الطَّعام، وتقرأُ السَّلام على من عرفت ومن لم تعرفْ))[٢]، حيث حذف المفعول الثاني لتطعم؛ ليفيد بذلك العموم، قال العيني: «ومنها ما قيل: إن باب أطعمت يقتضي مفعولين، يقال: أطعمته الطعام، فما المفعول الثاني هنا، و لم حذفه؟ وأجيب: بأن التقدير: أن تطعم الخلق الطعام، وحذف ليدل على التعميم، إشارة إلى أن إطعام الطعام غير مختص بأحد، سواء كان المطعم مسلمًا أو كافرًا أو حيوانًا، ونفس الإطعام أيضًا سواء كان فرضًا أو سنة أو مستحبًا»[٣].

وعن أبي هريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان))[٤]، قال العيني: «وفيه حذف المفاعيل الثلاثة من الأفعال الثلاثة تنبيها على العموم»[٥].

عن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ ((...سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منـــزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منـــزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين و لم تسمع أذن، و لم يخطر على

---

(١) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطبع والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٢٢٣، ٢٢٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضُل الإسلام وأيُّ أموره أفضلُ، ص٣٩.

(٣) عمدة القاري، ١/ ١٩١.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ص٤٤.

(٥) عمدة القاري، ١/ ٣٠١.

قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[١]))[٢].

الشاهد في قوله: (ولم يخطر على قلب بشر) قال النووي: «وفي آخر الكلام حذف اختصر للعلم به، تقديره ولم يخطر على قلب بشر ما أكرمتُهم به، وأعددته لهم»[٣].

إذن التقدير (لم يخطر على قلب بشر ما أكرمتهم به وأعددته لهم)، ونرى أن الاختصار اللفظي في هذه الجملة أتى ليتناسب مع ما ذكره الله عن هذا النعيم، (مالا عين رأت ولم يخطر على قلب بشر)، فالوصف للنعيم كان مبهمًا؛ لما كان نعيم الجنة فوق مدارك الإنسان التي خبرها في دنياه، كي تتشوق النفس لهذا النعيم المقيم؛ ولذا أتى الحذف هنا ليتناسب مع الحديث المبهم عن نعيم الجنة، والله تعالى أعلم.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: ((لما حضرت أبا طالب الوفاةُ. جاءه رسول الله ﷺ فوجد أبا جهل وعبد الله بن أبي أميَّة بن المغيرة... فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك))[٤]، الشاهد في قوله: (لأستغفر لك) حيث حذف المفعول به، والتقدير: (لأستغفرن الله لك)، وحذف المفعول به (لفظ الجلالة الله) للعلم به، حيث لا يتوجه للعبادة والدعاء والاستغفار إلا لله الواحد الأحد سبحانه، ولأن الموقف يتطلب الإيجاز وعدم الإطالة.

الذكر:

صور ذكر المسند إليه في كتاب الإيمان:

عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا أول الناس يشفع

---

(١) السجدة: ١٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، ص٨٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ٣/ ٤١٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النـــزع-وهو الغرغرة- ونسخ جواز الاستغفار للمشركين، والدليل على أنَّ من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم، ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل، ص٣٤-٣٥.

في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا))[١].

وفي رواية أخرى ((أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة وأنا أوَّل من يقرع باب الجنَّة))[٢].

حيث ذكر المسند إليه في الأحاديث السابقة (أنا) لفخر النبي -عليه الصلاة والسلام- بمنـــزلته في الآخرة، حيث تكون الشفاعة له وحده دون غيره من الأنبياء، كذلك تفاخره بأتباعه يوم القيامة، حيث ذكر في أحاديث أخرى أن أمته أكثر الأمم يوم القيامة، وفي فتح الباري: ((تناكحوا تكاثروا؛ فإنِّي أباهي بكم الأمم))[٣].

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب في قول النبيﷺ: ((أنا أوَّل الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا))، ص٨٧.

(٢) السابق، ص٨٧.

(٣) فتح الباري، كتاب النكاح، ٩/ ١٤٠.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير:

التقديم هو تبادل في المواقع، حيث تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى؛ لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به القاعدة النحوية(١).

والتقديم يستلزم تأخيرا، فالمبتدأ الذي يترك مكانه للخبر يحدث بينهما التقديم والتأخير بالضرورة...هذا التغيير في المواقع يصحبه تغير في الأثر النفسي وفي الدلالة(٢).

ويقول عنه الجُرْجَاني: «ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعهُ، ويلطف لديك موقعهُ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عنك أنْ قدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللَّفظ عن مكانٍ إلى مكان»(٣)؛ «لأن المقدم يحتل مكانا ممتازا، فهو أول ما تقع عليه العين، وأول ما تتأثر به، وأول ما تُعْجب به، وأول ما تقع النفس تحت أضوائه، فتنشغل به؛ لأنه يستحق هذا، ولأنه في غير مكانه الذي تعودنا أن نراه فيه، ثم تأتي الألفاظ الأخرى، فتكون الشحنة التي استحوذ عليها اللفظ المقدَّمُ قد قلَّت»(٤).

ولأهمية هذا الأسلوب عُني البلاغيون به عناية فائقة، فرصدوا أنواعه وأقسامه، وتتبعوا أسبابه ومقتضياته، على اختلاف بينهم في طريقة تناول الأسلوب، وغالب الذين جروا على طريقة السكاكي في التأليف تناولوا التقديم والتأخير في أحوال المسند إليه، ثم في أحوال المسند ثم في أحوال الفعل مع متعلقاته، وهو غالب التأليف إلى اليوم(٥).

الأغراض البلاغية للتقديم:

ذكر الإمام عبد القاهر أن العلماء يؤكدون أن الغرض الأساسي في التقديم هو العناية والاهتمام بالمقدّم؛ لأن التقديم يلعب دورًا مهما في تحديد المعنى المراد من العبارة، ثم نصّ على أن صاحب (الكتاب) سِيْبَوَيْهِ بيّن في باب الفاعل والمفعول أن العلماء يقدمون ما هو

---

(١) الحوار في الحديث النبوي تراكيبه صوره، الدكتور عيد محمد شبابيك، دار حراء، -القاهرة، ص١٠٣.

(٢) السابق، ص١٠٣.

(٣) دلائل الإعجاز، ص١٠٦.

(٤) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ص١٣٨.

(٥) رعاية حال المخاطب في الصحيحين، ص٤٠٨.

أهم بالنسبة لهم، وإن كان كلاهما مُهمًا، ثم بيّن أن النحويين يؤكدون ذلك لأنهم يقدمون ما هو مهم بالنسبة للناس، ومثّل على ذلك في مثال حال (الخارجيّ) أي الخارج عن القانون، حيث، يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الأذى، إنهم يريدون قتله، ولا يبالون منْ كان القاتل، ولا يعنيهم منه شيء، قُتل وأراد مريد الإخبار بذلك، فإنه يقدم ذكر (الخارجي) فيقول: قتل الخارجيَّ زيدٌ، ولا يقول قتل زيدٌ الخارجيَّ، لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة، فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم، ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد، وأنهم قد كفوا شرّه وتخلصوا منه(١).

والحديث النبوي الشريف في بنية تراكيبه اللغوية أكثر من التقديم والتأخير، وكان لأغراض ومرامٍ تنثر الدلالة المطروحة من وراء الحديث النبوي، ومن هذه الأغراض التي تمخضت عنها ظاهرة التقديم: التشويق إلى ذكر المؤخر، وتعجيل المسرة، والتحقير، والفخر، والتعظيم، والاختصاص، والتأكيد وتقوية الحكم، ودفع توهم الخطأ، ومراعاة الفواصل، ومراعاة النسق الصوتي، والحصر، والترتيب، وتقديم السبب على المسبب، إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية(٢).

١- التقديم للاختصاص:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا أوَّل النَّاس يشفعُ في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا)).

وفي رواية أخرى: ((أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدَّق نبي من الأنبياء ما صدقتُ، وإن من الأنبياء نبيًّا ما يصدقّه من أمته إلا رجل واحد)).

---

(١) بلاغة التقديم والتأخير عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، الدكتور نصر الدين إبراهيم أحمد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم- جامعة المينا، ص٥٦٣. وانظر: دلائل الإعجاز، ص١٠٨.

(٢) انظر شروح التخليص، ص٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧،. وعلم المعاني بسيوني عبد الفتاح، ص١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

وفي رواية: ((أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أوَّل من يقرع باب الجنَّة))[١].

حيث قدم المسند إليه (أنا)، لاختصاصه ﷺ في الشفاعة يوم القيامة عن غيره من الأنبياء، وكرر المسند إليه (أنا) فخرًا بذلك فقد خصّ بالشفاعة من سائر الأنبياء صلوات الله وتسليمه عليهم.

٢- التقديم للتشويق:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه))[٢].

في هذا الحديث يخبرنا رسول الله عن خطر السب بين أفراد المجتمع المسلم، ولا سيما إذا كانت تلك السباب موجهة للوالدين، فهي كبيرة من الكبائر وجرم عظيم، فابتدأ الخبر بقوله: من الكبائر، واستخدم لفظ كبيرة؛ زيادة في التشويق وجذب الانتباه، فهي أقوى وقعًا في النفس من قوله: (من المحظورات أو المحرمات)، ثم قدم الخبر العجيب (شتم الرجل والديه)؛ مما أحدث لدى الصحابة استيقاظ الذهن، والبدء بالتساؤلات، كيف يحدث ذلك؟!، ونحن مجتمع يعرف جيدًا قدر الوالدين، كيف لا وقد قرن ﷻ عبادته بالإحسان إليهم، فكانت ردة فعلهم الطبيعية بالاستفهام التعجبي والاستبعادي بنفس الوقت، (وهل يشتم الرجل والديه؟!) وبعد ما حصلت الإثارة الذهنية والتيقظ الحسي لدى الصحابة، شرع رسول الله ﷺ بتفصيل ذلك الخبر العجيب وكيف يحدث، فبين أنه يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه وهكذا، وكرر الصيغة في قوله: (ويسب أمه فيسب أمه)، مع إمكانية الإيجاز واختصار ذلك بقوله: (يسب الرجل والديّ الرجل، فيسب والديه)، ولكن الإطناب هنا لشدة التحذير من أمر السباب، وتنفيرهم منه.

عن ابن جريح؛ أنهُ سمع أبا الزبير يقول: ((سمعت جابرًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول:

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب في قول النبيﷺ: ((أنا أوَّل الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا))، ص٨٧.

(٢)صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص٤٩، ص٥٠.

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[١].

في هذا الحديث يخبرنا رسول الله ﷺ ويوضح لنا منهجًا لتعامل الفرد المسلم مع أخيه المسلم، وقد أتى بأسلوب خبري وجيز مشتملٍ على الجناس اللفظي بقوله: (مسلم، سلم، مسلمون)، فهذا التناغم الصوتي، من شأنه ترسيخ تلك القاعدة الهامة، وهي طريقة تعامل الفرد مع بقية أفراد المجتمع المسلم، ونلحظ أنه قدم (اللسان) على (اليد)، لأن أذى اللسان من (غيبة، ونفاق، ونميمة) من شأنها إحداث ضرر وشتات وفرقة بين أفراد المجتمع المسلم، أكثر من الضرر الذي سيلحقه الأذى الجسدي بالضرب ونحوه.

«وقدم المسند إليه (المسلم) لينبه المخاطب ويهيئه فيتطلع إلى معرفة ما يخبر به عنه، فإذا ما جاء الخبر قرَّ في الأذهان، وتمكنت تلك المعاني، فيشتد الحرص على امتثالها»[٢].

ومما يقدم تشويقًا لفظ العدد:

حيث يؤتى به مجملا في بداية الحديث ثم يفصل بعد ذلك.

ومن ذلك ما روي عن أبي صالح عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اثنتان في الناس هُما بهم كفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت))[٣].

بدأ بالعدد (اثنان) وهو من أسلوب التوشيع، والإيضاح بعد الإبهام، والغرض من ذلك التشويق وجذب النفس، وقد ذكر لفظ (كفر) ولم يقل (فيهما إثم، أو فيهما جرم، أو كبيرة)، بل قال: (كفر) زيادة في الترهيب وتعظيم تلك الكبيرتين؛ ربما لأن هاتين العادتين شائعتان في الجاهلية، وقد اعتاد عليهما المجتمع الجاهلي؛ لذا صعّد نبرة التحذير منهما، بأن جعلهما من الكفر.

عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماءٍ بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

(٢) التشويق في الحديث النبوي، ص١٠٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، ص٤٦.

يفِ))[١].

بدأ حديثه -عليه الصلاة والسلام- بقوله: (ثلاث لا يكلمهم الله)، هنا يخبرنا بثلاثة أصناف من الناس، مبيّنًا حالهم يوم القيامة: «والمتأمل لأسلوب رسول الله ﷺ البلاغي في تقويم هذه الأخطار، مقاومة هذه النماذج السيئة في المجتمع المسلم يرى أنه لم يواجه هؤلاء بالعقاب دفعة واحدة، وإنما استخدم أسلوب التدريج تصعيدًا»[٢]، ثم فصّل بعد ذلك من هم تلك الفئات الثلاث، ولهذا الأسلوب أثر لدى السامع والقارئ، فيحقق اليقظة والترقب إلى بقية الخبر.

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أربع من كنَّ فيه كان منافقا خالصا: ومن كانت فيه خلة منهنَّ كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر (غير أن في حديث سفيان) وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق))[٣].

في هذا الحديث يخبرنا رسول الله ﷺ عن أمور أربعة هي من علامات المنافق، وقد ابتدأ بالإجمال بقوله: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا)، وهو نوع من الإطناب (الإيضاح بعد الإبهام)، تشويقًا، وتنبيهًا للنفس وجذب للانتباه، وقد خللها بأسلوب الشرط، (من كن فيه كان)، ومعروف الدور الذي يؤديه الشرط في الجملة من تماسك النص، وتتبع ذهني لدى السامع والقارئ لمعرفة الجزاء الذي ترتب عليه الشرط، وقد استخدم السجع في إيضاح تلك الخصال الأربع. (غدر، فجر) فأعطى إيقاعًا موسيقيًّا، تطرب له الأذن، ومن شأنه ترسيخ تلك الخصال في الذهن.

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات قيل: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، والتولي

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ص٥٤.

(٢) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ص١٦٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ص٤٤.

يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))[١].

في هذا الحديث يحذر رسول الله ﷺ من أمور سبعة عظيمة، بأسلوب الأمر (اجتنبوا) يقول الطيبي: (اجتنبوا) ابعدوا، افتعال من الجنب، وهو أبلغ من (لا تشركوا) نحو قوله تعالى: (ولا تقربوا الزنا)[٢].

وقد بدأ حديثه بأسلوبي إنشائي وجيز (اجتنبوا السبع الموبقات)، ووصفها (بالموبقات) أي المهلكات، زيادة في التشويق والترهيب من تلك الأمور العظيمة، وكانت ردة فعل الصحابة بالاستفهام عن تلك الأمور، فشرع رسول الله في بيان تلك الأمور السبعة، مبتدئًا بالأعظم وهو الإشراك بالله، وفي قوله: (المحصنات الغافلات المؤمنات) أضاف وصف (الغافلات)؛ للدلالة على أنهن بعيدات كل البعد عن مجرد التفكير في فعل تلك المنكرات، وفي قوله: (قذف) استعمل مجازًا؛ لأن معنى القذف كما قال الزمخشري في أساس البلاغة: «قذف الحجرَ بالقذَّافة، وقَذفَ به، وتقاذفوا بالحجارة. ومن المجاز: البحر يقْذِفُ الجواهر، وهو قذف باللّؤلؤ. وقذف المـــُحصنة. وأقيم عليه حَدُّ القذْف»[٣]. واستُخدم هنا؛ للدلالة على شناعة وقبح اتهام المؤمنات بالزنا.

٣- التقديم للوعيد:

من أنواع التقديم، التقديم للوعيد الشديد بالعقاب، أو الوعد الأكيد بالثواب لتقدر النفس قيمة الفعل، فتفر منه هربا، أو تندفع إليه طلبا[٤].

عن أبي وائل، عن حذيفة؛ أنَّه بلغه أنَّ رجلاً ينم الحديث. فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: ((لا يدخل الجنة نمّام))[٥].

وفي رواية أخرى: ((قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة

---

(١) السابق، باب بيان أكبر الكبائر وأكبرها، ص٤٩.

(٢) شرح الطيبي، كتاب الإيمان، ١/ ١٨٧.

(٣) أساس البلاغة، ص٦٥٠.

(٤) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٣٨٨.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النَّميمة، ص٥٣.

قتَّات))[١].

يقول هاني طاهر محمد في رسالته الأمثال النبوية في صحيح البخاري في تعليقه على التقديم في هذا الحديث: «رغم أن الحديث لا يبين السياق الذي ذكر فيه ولا ظروفه ولا ملابساته، بيد أنه يمكن أن نتصورّ أن الرسول ﷺ قد بلغه أن شخصًا ما ينقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد، فكان أن قال فيه: إنه لا يدخل الجنة، وابتدأ الكلام بذلك؛ لأن المخاطبين يعلمون أن الموضوع عن هذا القتات، فما كان ليبدأ بذكره وهو معروف...ولو كان الحديث عامًّا لا مناسبة له، أو لو قاله الرسول ﷺ في خطبة أو ضمن نصائح عامة، لقال: لا يدخل قتات الجنة»[٢].

٤-التقديم للوجوب:

وجب يجبُ وجوبًا وجبةً: لزم. وأوجبه ووجبه، وأوجب لك البيع مواجبة ووجابًا، واستوجبه: استحقه[٣].

ويتمثل هذا الغرض في الأفعال عن طريق معنى الفعل، واحتواء الحديث على أحكام شرعية يوجبها الرسول عن طريق أقواله ﷺ، ومن المعروف أن الأحكام التشريعية لم تنـــزل فقط عن طريق القرآن الكريم المنـــزل على الرسول الكريم ﷺ، بل إن بعض الأحكام جاءت عن طريق الأحاديث النبوية الشريفة، كما أن بعض الأحكام وردت بصورة مختصرة أو جزئية، ثم يأتي شرحها وتفصيلها في الحديث النبوي، وهذا الشيء أوجد الوجوب، وفرض أحكامًا بواسطة تقديم الأفعال التي توجب تنفيذ تلك الأحكام[٤].

عن أبي الزبير عن جابر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها. وحسابهم

---

(٢) الأمثال النبوية في صحيح البخاري دراسة لغويّة دلاليّة، هاني طاهر محمد حسين، جامعة النجاح الوطنية، ص١١٣.

(٣) القاموس المحيط، ١٨٤٨.

(٤) التقديم والتأخير في صحيح البخاري، دراسة بلاغية، رملة رشيد إسماعيل الناصري، كلية التربية للبنات-جامعة تكريت، ٢٠٠٣م، ص. ١٠٧.

على الله. ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾[١]))[٢].

تصدر الحديث الشريف بالفعل (أمرت)، وفيه دلالة على وجوب قتال الكفار على اختلاف أجناسهم؛ لقوله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس) وهذا الوجوب يشمل كل أنواع الكفار، فالأصل قتالهم عند الاستطاعة على ذلك لإعلاء كلمة الله، والله تعالى أعلم[٣].

٥- التقديم للتعجب:

عن عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديدُ بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثرُ السفر. ولا يعرفه منَّا أحد. حتّى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه[٤].

قال الطيبي في تعليقه على هذا الحديث: «فاجأنا وقت طلوع ذلك الرجل، وهو يقصد بذلك، جبريل عليه السلام كونه ملكًا؛ إذ لو كان غريبًا، لكان عليه أثر سفر من غبار وما شابه ذلك، ولو كان مدنيًّا لعرفوه»[٥].

التقديم هنا متمثل في تقديم المفعول به على الفاعل بقوله: (لا يعرفه أحد منا)، حيث قدم الهاء التي وقعت مفعولاً به، ودلت على جبريل على الفاعل (أحد)، وذلك لشدة التعجب من قدومه. والسر في ذلك، أن «الأصل في المفعول ونظائره التأخير من العامل في الوجود الذهني، وأن تقديمهُ عليه ليس فقط لافتًا لانتباه النفس من حيث مجيئه على غير العادة»[٦]، فكذلك كان لمجيء جبريل عليه السلام الذي خالف العادة بهيئته التي تخالف هيئة الرَّجل؛ ولأنه خالف في موقعه في النفس، مما تحس معهُ النفس بأن تقديمه لأمر مهم يوجب

---

(١) الغاشية: ٢٢.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي النبيﷺ، ص٣٤.

(٣) انظر: التقديم والتأخير في صحيح البخاري، ص١٠٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٨.

(٥) شرح الطيبي، كتاب الإيمان، ١/ ٩٤.

(٦) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، ١٩٨٤، ص١٣٢.

توكيد الحكم بالنسبة لهُ أكثر مما وجب للفاعل عند تقديمه على فعله[١].

٦- تقديم صيغة التفضيل:

تقديم صيغة التفضيل للدلالة على عظم العمل أو الثواب والعقاب، وليعرف المخاطب أين تكون منـــزلته من الخبر، وذلك باب واسع كل السعة في البيان الكريم[٢].

عن ابن عباس. قال: مُطر النَّاس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ((أصبح من النَّاس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا قال: فنـــزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾[٣]، حتى بلغ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾[٤]))[٥].

بدأ ﷺحديثه بأسلوب خبري يتسم بالهدوء والثقة، حيث أوضح في بداية الحديث وبجملة مبهمة حال فريقين من الناس، ثم فصّل بعد ذلك سبب مجيئهم بتلك الحالة، ولا يخفى على أحد ما يحدثه أسلوب الإيضاح بعد الإبهام، من تشويقٍ للسامع والقارئ، مما يجعله مستيقظ الذهن، متلهفًا للسياق الذي بعده، وقد تآزر السجع في قوله: (شاكر، كافر)، مع الإبهام الحاصل في الجملة، في إعطاء مزيدٍ من الإثارة الذهنية، والتشوق لمعرفة من هم أصحاب الفريقين. وعندما يأتي التفصيل بعد ذلك، يكون أكثر رسوخًا في الذهن، وتمكنًا في النفس.

ومنه أيضًا ما روي عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أهون أهل النار عذابًا أبو طالب. وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه))[٦].

من المعروف شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب؛ لذا هو أهون أهل النار عذابًا، وفي قوله: (منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه) وصف لذلك العذاب، والجناس في قوله: (منتعل

---

(١) السابق، ص١٣٣.

(٢) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٤٠٤.

(٣) الواقعة: ٧٥.

(٤) الواقعة: ٨٢.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تسمية العبد الآبق كافرًا، ص٤٦.

(٦)صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا، ص٩٠.

بنعلين)، يوّضح هذا شّدة ذلك العذاب، ومن الملاحظ أن في الأحاديث التي تصف نعيم الجنة، أو عذاب النار، يكون حديثه -عليه الصلاة والسلام- غايَة في الدقة، تشويقًا للجنة ونعيمها، وتنفيرًا من النار وعذابها.

٧- التقديم للترتيب:

يكون التقديم فيه للأفضل وللأهم بالنسبة لما يخص الفرد المسلم في أمور حياته.

وفي حديث جبريل عليه السلام قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: ((الإسلام: أن تشهد أنَّ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت. قال: فعجبنا له. يسألهُ ويصدقهُ. قال: فأخبرني عن الإيمان: قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))[١].

وعن سعد بن عبيدة، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: ((بُني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج))[٢].

وعن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: ((سُئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور))[٣].

في الأحاديث السابقة نجد ترتيب العبادات على حسب الأفضل فالأفضل.

وفي الحديث الثالث عندما سُئل عليه الصلاة والسلام: عن أفضل الأعمال ابتدأ بالإيمان بالله تعالى، فالإيمان مقدم على كل شيء، وهو واجب على كل شخص يريد أن يدخل الإسلام ويصبح مسلمًا، وهو أساس كل شيء، فالإيمان يأتي أولاً ومن ثم تأتي الأمور الواجبة الأخرى كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، فلا صلاة بدون إيمان بالله وبوحدانيته ﷻ، فالإنسان بعد أن يؤمن بالله ويسلم يقوم بأداء الأعمال التي فرضها الله، وهي المذكورة آنفًا، وبعد الإيمان يأتي الجهاد في سبيل الله: لإعلاء كلمة الله وهو أفضل لبذله نفسه ... وإنما قدم

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٨.

(٢) السابق، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، ص٣١.

(٣) السابق، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ص٤٨.

الجهاد على الحج للاحتياج إليه أول الإسلام[١].

ومن هذا النمط من التقديم حديث أبي عمرو الشيباني قال: حدثني صاحب هذه الدار (وأشار إلى دار عبد الله) قال: ((سألت رسول الله ﷺ أيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: ثم بر الوالدين، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله))[٢]، حيث قدم الصلاة لكونها الركن الثاني من أركان الإسلام، ثم بر الوالدين فهو اللازم على كل فرد مسلم من الجهاد في سبيل الله، لأن من كان له والدان فهو معذور من الجهاد، والله تعالى أعلم.

ومن هذا النمط أيضا ما روي عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو: ((أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))[٣].

حيث تقدمت الجملة الفعلية: (تطعم الطعام) على الجملة الفعلية: (وتقرأ السلام) والتقديم حسب الأهمية، قيل في تقديم (تطعم الطعام): «معناه تطعم الخلق الطعام ... و لم يقل توكل الطعام؛ لأن لفظ الإطعام يشمل الأكل والشرب، والضيافة والإعطاء وغير ذلك»[٤]، وبعد ذلك جاءت الجملة الفعلية: (وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)، «من المسلمين فلا تخص به أحدًا تكبرًا وتجبرًا، بل عمّ به كل أحد؛ لأن المؤمنين كلهم إخوة...وفي هاتين الخصلتين الجمع بين نوعي المكارم المالية والبدنية: الطعام والسلام»[٥]، فالأهم عندهم الطعام وغيره أهم من السلام.

وهو ما يكشف عن كون: «الإسلام نظرية تربوية غايتها خير الإنسان، لذلك كان الجواب الأول تأكيدًا لهذه الغاية، فخير الإسلام ذلك الخير المادي والمعنوي الذي يتجه إلى الإنسان المطلق، عبَّر النبي ﷺ عن الخير المادي بإطعام الطعام، وعبَّر عن الخير المعنوي بإقراء

---

(١) انظر: إرشاد الساري، ١/ ١٢٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ص٤٩.

(٣) السابق، باب تفاضل الإسلام، وأيُّ أموره أفضل، ص٣٩.

(٤) إرشاد الساري، ١/ ١٣٦.

(٥) السابق، ص. ١٣٦.

السلام، وعبر عن الإنسان المطلق بقوله: (من عرفت ومن لم تعرف)»[١].

٨- تقديم السبب على المسبب:

عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((سباب المسلم فسوق. وقتاله كفر))[٢].

بين (السباب) و(القتال) مناسبة؛ لأن الأول يكون سببا للثاني، حيث تكون الخصومات والمشاحنات بين المتخاصمين سببا لدافع القتل والعياذ بالله.

«والسباب أشد من السب وهو أن يقول الرجل ما فيه وما ليس فيه يريد بذلك عيبهُ، وعندهُ السباب هنا مثل القتل، والفسق في اللغة الخروج، وفي الشرع الخروج عن طاعة الله ورسوله، وهو في عرف الشارح أشد من العصيان»[٣].

«وليس المراد بالكفر هنا حقيقته التي هي الخروج عن الملة، وإنما أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير، معتمدًا على ما تقرر من القواعد على عدم كفره بمثل ذلك، أو أطلقه عليه لشبهه به؛ لأن قتال المسلم من شأن الكافر، أو المراد الكفر اللغوي الذي هو الستر؛ كأنه بقتاله له ستر ما لهُ عليه من حق الإعانة والنصرة، وكف الأذى»[٤].

---

(١) تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية: د. اسعد أحمد علي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٧، ص٧٤.

(٢) السابق، باب بيان قول النبي ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، ص٤٥.

(٣) فتح الباري، كتاب الإيمان١/١٥٠.

(٤) إرشاد الساري، ١/ ٢٠٠.

المبحث الثالث: القَصْر:

القَصْر لغة:

قصرتُه: حبسته، وقصرتُ طرفي: لم أرفعه إلى ما لا ينبغي، وهن قاصرات الطرف: قصرنه على أزواجهن. وقصر السَّتر: أرخاه[١].

وذكر ابن فارس القصر في أصلين: إحداهما: ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر الحبس[٢].

وقد زادت المعاجم اللغوية بعض المعاني للمادة، كالقصرة: ما يبقى في المنخل بعد الانتخال، وقصر الثوب: حوره ودقه، وقصر الطعام: نقص ورخص[٣].

القصر اصطلاحا:

لم يفرد الباحثون للقصر مبحثا أو تعريفا مستقلا، بل كان مرتبطا بمبحث الإيجاز، ففي كتاب الصناعتين ذكر أبو هلال العسكري الإيجاز والقصر بقوله: «فالقصرُ تقليلُ الألفاظ، وتكثيرُ المعاني؛ وهو قولُ الله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[٤]»[٥].

أما عبد القاهر الجُرْجَاني فقد ذكره في كتابه دلائل الإعجاز بتسميتين: الأولى (الاختصاص)[٦]، والثانية (القصر)، ولم يورده إلا في موضع واحد، وذلك في شاهد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٧]، قال: «الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء»[٨].

---

(١) أساس البلاغة، مادة قصر، ص٦٦٥.

(٢)مقاييس اللغة، ٥/ ٩٦.

(٣) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، الدكتور صباح عبيد داراز، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ، ص١٧.

(٤) البقرة: ١٧٩.

(٥) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت–لبنان، ٢٠١٣م، ص١٥٩.

(٦) دلائل الإعجاز، ص٣٣٧.

(٧) فاطر: ٢٨.

(٨) دلائل الإعجاز، ص٣٣٩.

وكذلك ذكر السكاكي في كتابه مفتاح العلوم ذكر مصطلح القصر، وفسر أنواعه وطرقه: (العطف، النفي والاستثناء، إنما، التقديم)[١].

وقسّم القَزْوِيْني في كتابه الإيضاح القصر إلى حقيقي وغير حقيقي[٢].

وقد اشتهر تعريف القصر في أي كتاب بأنه «تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص»، فعندما نقول: زهير شاعر لا كاتب، فإننا نخص زهيرًا بصفة الشعر بحيث لا يتجاوزها إلى صفة الكتابة[٣]، والقيد الذي أضافه البلاغيون للتعريف وهو قولهم: (بطريق مخصوص)، كأنهم أرادوا أن يحددوا مسار البحث في هذا الباب، وأن يجعلوه يدور حول طرق معينة هي المقصودة لهم بالبحث، وهي العطف، والنفي والاستثناء، وإنما، والتقديم[٤].

أقسام القصر:

للقصر أقسام متعددة؛ ذلك لأنه له اعتبارات مختلفة، وحيثيات متنوعة.

أولاً: تقسيم القصر من حيث طرفاه:

يقسم القصر من حيث طرفاه- وهما المقصور والمقصور عليه- إلى قسمين: قصر موصوف على صفة، وقصر صفة على موصوف. والمقصود بالمقصور: هو المختص، أو المحبوس، أو الموقوف على شيء محدد. والمقصور عليه: هو موضوع الاختصاص، أو دائرة الحبس[٥].

والمقصور قد يكون: صفة أو موصوفًا: «والفرق بينهما واضح فإن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة لأن معناه أن هذا الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة؛ لأن معناه أن هذا الموصوف ليس له غير تلك الصفة؛ ولكن تلك الصفة يجوز أن تكون حاصلة لموصوف آخر، وفي الثاني يمتنع تلك المشاركة، لأن معناه أن تلك الصفة ليست إلا لذلك الموصوف، فكيف يصح أن يكون لغيره، لكن يجوز أن يكون لذلك

---

(١) مفتاح العلوم، ص٢٥٧ إلى ص٢٦٨.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، ص٨٠.

(٣) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، ص٢٨٣.

(٤) دلالات التراكيب، ص٤٧.

(٥) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص٢٠٢.

الموصوف صفات»[١].

ثانيا: تقسيم القَصْر باعتبار غرض المتكلم أو باعتبار الحقيقة والإضافة:

القصر الحقيقي:

ما كان غرض المتكلم منه أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره أصلا، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٢].

القصر الإضافي:

أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين، أي بالإضافة إليه، بحيث لا يتجاوزه إلى ذلك المعين... كما في قولنا: زهير شاعر لا كاتب، فالمراد: قصر زهير على صفة الشعر، بحيث لا يتجاوزها إلى صفة معينة محددة، وهي صفة الكتابة...وهذا لا ينافي أن يكون لزهير صفات أخرى كالخطابة مثلا.

وينقسم القَصْر الحقيقي إلى قسمين: حقيقي تحقيقي وحقيقي ادعائي:

فالتحقيقي: ما كان المنفي فيه عامًّا يتناول كل ما عدا المقصور عليه من حيث واقع الحال، ومنه قولنا: (لا يحج مكة إلا المسلمون)، فالواقع يطابق هذا؛ لأن الحج إلى مكة مقصور على المسلمين، أما القصر الحقيقي الادعائي، فهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره، ادعاء ومبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[٣][٤].

ثالثًا: أقسام القَصْر باعتبار حال المخاطب:

تقدم أن القصر الإضافي هو ما يكون المنفي فيه معينًا ومحددًا، فالمقصور يختص بالمقصور عليه لا يتجاوزه إلى ذلك المعين، وعليه فإن هذا التقسيم يختص بالإضافي دون الحقيقي وهو

---

(١) كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين مسعود التفتازاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ص٢٠٥.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص٢٨٧، ص إلى ص٢٨٩.

كما يلي:

(أ) إفراد:

وهو تخصيص أمر بأمر دون آخر، ويخاطب به من يعتقد الشرِكة نحو قولك: محمد الجواد لا علي، لمن اعتقد أنهما يشتركان في صفة الجود.

(ب) قصر القلب:

هو تخصيص أمر بأمر مكان آخر، ويخاطب به من يعتقد العكس، كقولك: جاءني زيد لا علي، مخاطبًا به من يعتقد أن عليًّا هو الذي جاء.

(ج) قصر التعيين:

هو تخصيص أمر بأمر دون آخر، ويخاطب به المتردد بين شيئين، كقولك لمن تردد شاكًّا في النجاح: أعمر نجح أم خالد؟ فيأتي القصر معينًا إسناد النجاح للناجح، حيث يقول: إنما الناجح خالد[1].

طرق القَصْر:

١- النفي والاستثناء:

وهو من أقوى طرق القصر، ففي قصر الموصوف على الصفة، كما في (ما زيد إلا شاعر). ومن قصر الصفة على الموصوف كما في (ما شاعر إلا زيد).

٢- استعمال (إنما):

(إنّما) تفيد الحصر على قول جمهور النحاة واللغويين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾[2].

٣- العطف:

في العطف بـــ(لا) يكون المقصور عليه هو المثبت قبل (لا)، والمعطوف بها المنفي هو المقابل للمقصور عليه، كما في قولك: زيدٌ شاعر لا كاتب.

---

(١) القطوف الدواني، ص ١٤٠، ص١٤١.

(٢) النساء: ١٧١.

٤- التقديم[١]:

وهناك طرق أخرى للقصر، لكني آثرت عدم التطرق لها في هذا المبحث؛ كي لا تتعارض مع مبحث إيجاز القصرِ في الفصل الرابع من هذا البحث، وهي كالتالي:

التعريف بلام الجنس:

وذلك في تعريف أحد طرفي الجملة الاسمية أو الطرفين معا.

توسط ضمير الفصل:

ضمير الفصل هو الضمير المنفصل المرفوع الواقع في موضع لا يُراد به إلا الفصل بين ما هو خبر وما هو تابع، كالصفة والبدل، كقولك: زيدٌ هو القائم. للإشارة إلى أن (القائم) خبر لا صفة[٢].

من مواضع القَصْر في كتاب الإيمان:

١- النفي والاستثناء.

أولا مواضع القصر الحقيقي:

أ- حقيقي تحقيقي:

وهو ما كان المنفي فيه عامًّا يتناول كل ما عدا المقصور عليه من حيث واقع الحال وحقيقة الأمر[٣]، فالمقصور مختص بالمقصور عليه حقيقة ولا يمكن أن يتعد إلى سواه.

عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان))[٤].

في هذا الحديث يوضح عليه الصلاة والسلام دعائم وركائز الإسلام، وتتقدم تلك

---

(١) سأتحدث عنه بإسهاب في مبحث (التقديم والتأخير) من هذا الفصل.

(٢) مورد البلاغة، ص١٨٠، ١٨١. ١٨٢.

(٣) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، ص٣١.

الركائز توحيد الله ﷻ بالشهادتين- أن لا إله إلا الله- وهو قصر حقيقي، وورد ذكره كثيرا في القرآن الكريم والحديث النبوي، وهو من نوع قصر الصفة على الموصوف: «أي أن الصفة لا تتجاوز هذا الموصوف إلى غيره، وقد يكون لهذا الموصوف صفات أخرى، ففي الآية الكريمة: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١]، قصرنا صفة الألوهية على الله تعالى، فلا تكون لغيره، ولله صفات أخرى غير الألوهية»[٢].

«ولا جرم أن قصر الألوهية استخدم في البيان الشريف فيما شأنه ألاّ يجهل وينكر؛ لأنه متعلق بالقضية العقيدية الكبرى، ويتقدمها شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله وهي الشهادة المعلومة المعروفة، وهي الملتزم بتفيذها كل مسلم، إلاّ أن القصر ينـــزل منـــزلة المجهول والمستنكر لدى أعداء الله تعالى، فالكفرة ينكرون ويكذبون ما جاء به الرسل، وما بعثوا به لهداية البشر وإنقاذهم من مهاوي الضلال»[٣].

في حديث هبوط جبريل عليه السلام للرسول ﷺ وحديثه عن أشراط الساعة عن عمرو ابن جرير عن أبي هريرة قال: ((فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلمهنِّ إِلاَّ اللهُ ثم تلا ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[٤]، قالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ. فقال رسول الله ﷺ: رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ، فَأَخذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. فَقَال رسول الله ﷺ: هَذَا جبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ))[٥]، الشاهد في قوله: (في خمس لا يعلمهن إلا الله) حيث قصر علم مفاتيح الغيب على الله وحده ﷻ، ولقد جاء القصر في طريقة (النفي والاستثناء) وهو من نوع قصر الصفة على الموصوف، والله تعالى أعلم.

---

(١) آل عمران: ٦٢.

(٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ٢٧٦.

(٣) أساليب القصر في صحيح مسلم ودلالاتها البلاغية، نعم هاشم خالد الجماس، كلية التربية جامعة الموصل، ٢٠٠٧م، ص٢٨.

(٤) لقمان: ٣٤.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٩.

وعن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ أنه قال: ((الحياء لا يأتي إلا بخير، فقال بشير بن كعب: إنه مكتوب في الحكمة، أن منه وَقَارًا، ومنه سَكِينَةً، فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صُحُفِكَ))[١].

«إذا كان الحياء تغيرا نفسيا، وخلقا باطنيا. يحول بين المرء والقبائح أو يمنعه من عمل ما يعاب به ويذم. أو ينتقد عليه ويعنف- كان لا شك خلقا محمودا. لا ينتج إلا خيرا»[٢].

جاءت هذه العبارة الموجزة بأسلوب القصر الحقيقي: «ولم يقل مثلاً: الحياء يأتي بالخير، بل جاء بالقصر في هذه العبارة؛ لكي يربط بين الحياء والخير، ربطًا لا انفكاك له، حيث صار الخير والحياء بهذا القصر كوجهة لعملة واحدةٍ»[٣]، وهذا القصر من قصر الصفة على الموصوف.

عن أنس، عن النبي ﷺ قال: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أَحَبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار))[٤].

في هذا الحديث يتحدث عليه الصلاة والسلام عن أمور ثلاثة من وجدت فيه فقد ذاق حلاوة الإيمان، «ومعنى حلاوة الإيمان الاستلذاذ بالطاعات، وتحمل المشقات في رضا الله ﷻ، ورسوله ﷺ»[٥]، والشاهد في قوله: (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) في الشرط الأول من تحقق حلاوة الإيمان للمسلم: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، أي تكون محبتهما في قلبه في المرتبة الأولى لا يضاهيها أي نوع من الحب والتعلق، «فالمرء إذا تأمل بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن الرسول هو الذي يبين مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه: فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، ص٢٨.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م، ص١٩٤-١٩٥.

(٣) أساليب القصر في أحاديث الصحيحين، عامر عبد الله الثبيتي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ، ص٣٢٩، ٣٣٠.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان خصالٍ مَن اتصّف بهن وجد حلاوة الإيمان، ص٣٩.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢١١.

من أجله»[١]، فمن هذا الشرط تنطلق علاقة المسلم بأفراد مجتمعه، فلا يحب فردًا لمصلحة دنيوية أو لجلب منفعة من وراء هذا الحب، بل لصلاحه ولتقاه والتزامه بأمر الله تعالى. والقصر هنا حقيقي، ونوعه قصر الصفة على الموصوف، حيث قصر (محبة الناس) على الموصوف (المحبة في الله) والله تعالى أعلم.

وعن ربعّي عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: ((يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون، حتى تُزْلَفَ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة، إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك))[٢].

الشاهد في قوله: (وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم) ففي هذا الحديث الشريف يصور لنا مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، فعندما تُزلف الجنة للمؤمنين، يذهبون أولا لآدم عليه السلام طالبين منه استفتاح دخولهم للجنة، فلقد تاقت نفوسهم لدخولها، فأتى جوابه عليه السلام بالاستفهام التعجبي: (وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم)؛ إذْ أنا سبب خروجكم منها وهبوطكم للأرض، فكيف تطلبون مني الآن أن استفتحها لكم؟!. والقصر هنا حقيقي تحقيقي، وهو من نوع قصر الصفة على الموصوف.

وقصة خروج آدم عليه السلام من الجنة وردت في سبعة مواطن في القرآن الكريم: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، طه، ص. وحاصل هذه القصة القرآنية أنه سبحانه أمر عليه السلام بأن يسكن وزوجه الجنة، وأن يأكلا منها حيث شاءا، إلا شجرة معينة، بيد أن الشيطان لم يتركهما، وسوس لهما بالأكل من تلك الشجرة: «فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نهى الله عنها، أُهبط إلى أرض الشقاء والتعب والنصب، والكدر والسعي والنكد والابتلاء والاختبار والامتحان...»[٣].

وعن عبد الله بن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قَالَ: ((لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ، فقالوا: فلان شهيد. فلان شهيد. حتى مروا على رجل فقالوا: فلان

---

(١) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ١/ ٨٤.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب أعلى أهل الجنة منـــزلة فيها، ص٨٧.

(٣) قصص الأنبياء، الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط٥، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٠.

شهيد، فقال رسول الله ﷺ: كلا؛ إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة. ثم قال رسول الله ﷺ: يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، قال: فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون))[١]، جاء هذا الحديث في سياق تحريم الغلول، والغلول هو الخيانة «قال أبو عبيد: هو الخيانة في الغنيمة خاصة، وقال غيره: هي الخيانة في كل شيء، ويقال: منه غل يغل بضم العين»[٢].

وبداية الحوار بين رسول الله ﷺ والصحابة كان في غزوة خيبر، حيث أقبل بعض الصحابة يخبرون رسول الله ﷺ ببعض الصحابة الذين سقطوا في أرض المعركة، وحينما مرّوا على نفر من الصحابة، أنكر عليهم ﷺ ما يعتقدونه، وذلك بأسلوب الزجر (كلام) ثم وضح لهم سبب الزجر بأسلوب الخبر الطلبي: (إنِّي رأيته، فما غلّه من الغنائم كان سببًا لدخوله النار. الشاهد في قوله: (لا يدخل الجنة إلا المؤمنون). أي لا يدخل الجنة إلا المؤمنون بالله الصادقون، المخلصون لله الذين لا يغلون في الغنائم، وقد جاء التحذير من الغلول، وأن صاحبه لا يدخل الجنة بأسلوب القصر تحذيرًا وترهيبًا من الغل في الغنائم، والقصر هنا قصر للصفة (لا يدخل الجنة) على الموصوف (المؤمنون)، والله تعالى أعلم.

ب- حقيقي مبالغة وادعاء:

وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره، ادعاء ومبالغة وليس على سبيل الواقع[٣].

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين))[٤].

في هذا الحديث قصر الرسول عليه الصلاة والسلام الإيمان على محبته وعدم تفضيل حب الوالد والولد على محبته عليه الصلاة والسلام، وذلك بأسلوب الإطناب ذكرِ العام بعد

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ص٥٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٩٨.

(٣) انظر: علم المعاني بسيوني عبد الفتاح، ص٢٨٩.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحب هذه المحبة، ص٤٠.

الخاص، فخص الوالد والولد لما لهم في القلب من محبة، ثم ذكر بعدهم: (الناس أجمعين)، فلن يكون المرء مؤمنًا حق الإيمان حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه ممن تربطه بهم روابط القرابة والنسب، أو روابط الصداقة والمصلحة، «وقوله لا يؤمن: أي إيمانًا كاملاً، وذكر الولد والوالد؛ لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال، بل ربما يكونان أعز عليه من نفسه»[(١)].

«ومعنى الحديث: أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين؛ لأن به -عليه الصلاة والسلام- استنقذنا من النار، وهُدينا من الضلال»[(٢)].

والقصر هنا حقيقي على سبيل المبالغة والإدعاء، فمعروف أن أركان الإيمان ستة في الإسلام، ولو أخذ بمعناه حقيقة لأصبح الإيمان فقط يكون في حب الرسول عليه -الصلاة والسلام- دون القيام بواجبات وأركان الإيمان المعروفة، والقصر هنا قصر الصفة على (الإيمان) على الموصوف (حتى أكون أحب إليه... أي زيادة محبة الرسول وتغلبها على أي محبة أخرى.

وعن عدي بن ثابت؛ قال: سمعت البراء يحدث عن النبي ﷺ أنَّه قال في الأنصار: ((لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله))[(٣)].

في هذا الحديث يتحدث رسول الله ﷺ عن الأنصار بأسلوب خبري موجز وبلمسات بديعية غاية في الروعة كالطباق في قوله: (مؤمن، منافق) و(يحبهم، يبغضهم) والجناس في قوله: (أحبهم أحبه... أبغضهم أبغضه الله)؛ لترسيخ تلك القاعدة في نفوس المسلمين، وخوفًا من أن ينسى الناس فضلهم من بعده، والشاهد في قوله: (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق)، حيث قصر الإيمان على محبتهم والنفاق على بغضهم، وفيه ترغيب منه عليه -الصلاة والسلام- ودعوة إلى محبة الأنصار والحذر من بغضهم وكراهيتهم؛ وذلك لما

---

(١) فتح الباري، كتاب الإيمان، ١/ ٨١-٨٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢١٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، ص٤٧.

قاموا به من مناصرة له –عليه الصلاة والسلام–، وتفضيل الأنصار وحبهم من قبل الرسول ﷺ قد ذكره في أكثر من حديث، وهذه دلالة على عظم مكانتهم رضوان الله عليهم عند رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

ثانيا: القصر الإضافي:

والمقصود به أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين، أي بالإضافة إليه... كما في قولنا زهير شاعر لا كاتب[١].

عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: ((أما ترضون أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار، إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض))[٢].

في هذا الحديث الشريف يسوق لنا رسول الله ﷺ بشرى عن حال المسلمين يوم القيامة، لكنه أراد التمهيد لتلك البشارة، فالأمر المـُبشّر عنهُ حدث عظيم، فابتدأ حديثه معهم ﷺ بأسلوب الاستفهام تشويقًا لهم وجذبًا لأسماعهم لتلك البشارة العظيمة، أمَا ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟، ثم أعاد الاستفهام مستخدمًا الثلث: (أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟)، وبعدما تهيأت نفوسهم ساق لهم الخبر مؤكدًا: (إنِّي لأرجو أن تكونوا)، ثم تمم لهم الخبر في قوله: (ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود)، حيث وضّح لهم بطريقة المثل تميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم في الآخرة، وقد جاء القصر على هيئة تشبيه تمثيلي: «دقيق ولطيف كشف التمثيل فيه بطريقة محسوسة عن قلة المسلمين إضافةً إلى ظهورهم وتميزهم وسط تلك الأمم، فهم كرام، والكرام قليل، شعرة مغايرة لبقية الشعر اتفقت مع غيرها في الشكل الخارجي واختلفت في اللون والمضمون، بلاغة عالية وتصوير رائع كشف المعنى وأبان المقصود»[٣].

والقصر هنا قصر للموصوف (المسلمون) على الصفة (كشعرة بيضاء في ثور أسود).

---

(١) انظر: علم المعاني بسيوني عبد الفتاح، ص. ٢٨٦.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، ص٩٢.

(٣) التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية، أحمد عيضة الثقفي، ٢٠٠٢م، ص٢٧٨.

وعن عبد الله بن مسعود؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حَوَارِيُّونَ وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خَرْدَلٍ))[١].

في هذا الحديث يخبرنا ﷺ بأمر مهم وهي ضرورة الالتزام بسنته، وما نزل عليه من تشريعات سماوية متمثلة في القرآن الكريم والأحاديث القدسية، وعبّر بالمضارع (يأخذون، يقتدون) إشارة إلى الاستمرار بذلك الشاهد في قوله: «ثم يخبرنا أنه ستأتي بعد تلك الفئة الصالحة (الحواريون والأصحاب)، أناس لن تلتزم بسنته، وستحيد عن الطريق السليم، ووضح لنا ضرورة نصحهم بطرق مرتبة حسب الاستطاعة، أما شاهد القصر في الحديث فقد جاء في بداية الحديث بقوله: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب). بدأ الحديث بأسلوب القصر وهذا الأسلوب يوضح المعنى المراد ويزيده جلاء في النفس: فكل الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله قبل محمد ﷺ كان لهم من أمتهم حواريون وأصحاب، وهؤلاء الحواريون والأصحاب يأخذون بسنة النبي أو الرسول ويقتدون بأمره، وهذا القصر يفيد اختصاص الأنبياء بتلك الصفة»[٢].

والقصر هنا قصر الموصوف: (الأنبياء) على الصفة: (إلا وكان له من أمته حواريون وأصحاب).

وعاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار المزني في مرضه الذي مات فيه، قال معقل: إ نِّي محدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لو علمت أن لي حياة ما حدثتك، إنَّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ص٤١.

(٢) كنوز رياض الصالحين، حمد ناصر عبد الله العمار، دار كنوز، المملكة العربية السعودية- الرياض، ٢٠٠٩م، ٤/ ١٧،٢٠.

الله عليه الجنة))[١].

في هذا الحديث يحذرنا رسول الله ﷺ وبعبارة وجيزة زاخرة بالتراكيب البديعية والأسلوبية من غش الإمام لرعيته، والتهاون في أداء واجباته تجاههم، يقول النووي في شرحه لمحتوى هذا الحديث هو: «التحريم من غشِّ المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئًا من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم»[٢]، ولأن الخبر الذي ألقاه رسول الله على صحابته يشتمل على التحذير من أمر عظيم يترتب عليه الحرمان من الجنة، وبالتالي دخول النار؛ صاغه –عليه الصلاة والسلام– بأسلوب وجيز ذي سمات بديعية كالجناس اللفظي في قوله: (يسترعيه، رعية)، فهذا التناغم الصوتي، والإيقاع المتزن من شأنه أن يرسخ تلك المعاني العظيمة ويثبتها في نفوسهم، وكذلك اشتمل على التكرار الأسلوبي في قوله: (يموت يوم يموت) مستعملاً فيه المضارع؛ للدلالة على أن ذلك الراعي أو الإمام مستمرٌّ على ما هو عليه من غشه للرعية حتى حين وفاته، كذلك استخدام اسم الفاعل (غاش) لدلالة على حدوث ذلك منه وثباته على القيام بغش رعيته، وكذلك أتى هذا التحريم والترهيب في أسلوب القصر (النفي والاستثناء) «والاستثناء لقصر الراعي الغاش على تحريم الجنة مما يعني ضمنا أنه من أهل النار، وقوله: (ما من عبد أسلوب نفي مستغرق للجنس عن طريق وقوع النكرة (عبد) في سياق النفي، وسبقها بحرف الجر (من)، والتعبير بالعبد للتذكير بالأصل حتى لا يغريه المنصب فيظن نفسه أفضل منهم، فيتكبر على رعايتهم»[٣]، فتآزر الفنون البلاغية (الجناس، التكرار الأسلوبي، القصر) قد أدت دورها في ترسيخ تلك المعاني العظيمة في نفوس المسلمين، والقصر هنا قصر للموصوف (العبد الحاكم أو الأمير الغاش لرعيته) على الصفة (حرمت عليه الجنة).

٢– العطف:

يكون العطف بإحدى الأدوات الآتية (لكن، بل، لا)[٤].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ص٦٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٣٢٦.

(٣) كنوز رياض الصالحين، ٩/ ٢٧٤.

(٤) انظر: القطوف الدواني في علم المعاني، ص١٣١.

أولاً: مواضع القصر الحقيقي:

عن أبي هريرة، قال: ((لمـــا نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾[1]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها! قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟! بل قولوا: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)، قَالُوا: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[2]، فلمـــا فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾[3]، قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾[4]: قال: نعم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾[5] قال: نعم: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾[6]، قال: نعم))[7].

يتحدث النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث عن وجوب الانقياد والطاعة لأوامر الله ﷻ، وأنه ﷻ لم يكلف عبيده إلا بما يطيقونه ويستطيعون القيام به.

---

(١) البقرة: ٢٨٤.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

(٥) البقرة: ٢٨٦.

(٦) البقرة: ٢٨٦.

(٧) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أنه ﷻ لم يكلف إلا ما يطاق، ص٥٩.

الشاهد في قوله: (بل قولوا: سمعنا وأطعنا)، لما نزلت الآية: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾[1]، ذهب نفر من الصحابة إلى رسول الله ﷺ يشتكون له بأنهم لا يطيقون الأعمال من (صلاة، وصدقة، وصيام...)، فكان جوابه لهم عليه – الصلاة والسلام– بالأسلوب الاستفهامي الإنكاري مخوِّفًا لهم من قطيعة العصيان وامتناع قبول الأوامر: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قلبكم) ثم أمرهم –عليه الصلاة والسلام– بالانقياد التام المطلق لأوامر الله ﷻ دون جدال أو تذمر في قوله: (بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)[2]؛ لأن صفات المؤمن الحق هي الامتثال لأوامر الله ﷻ، دون جدال أو عصيان، كما فعل اليهود والنصارى، والقصر هنا قصر للصفة على الموصوف، حيث قصر صفة السمع والطاعة على المؤمنين.

ثانيا: مواضع القصر الإضافي:

عن أنس ابن مالك؛ أنه قال: ((لمـــا نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[3] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ. فسأل النبي –عليه الصلاة والسلام– سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمروا! ما شأن ثابت، اشتكى؟ قال سعد: أنه لجاري، وما علمت لهُ بشكوى، قال: فأتاهُ سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآيةُ ولقد علمتُ أنيَّ من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النَّار؛ فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: بل هو من أهل الجنة))[4].

حينما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: «تجنب ثابت بن قيس مجالس رسول الله ﷺ على الرغم من شدة حبه له، وفرط تعلقه به –ولزم بيته حتى لا يكاد يبرحه إلا لأداء

---

(١) البقرة: لآية ٢٨٤.

(٢) كنوز رياض الصالحين، ٣/ ٤٨٥.

(٣) الحجرات: ٢١.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، ص٥٧.

المكتوبة، فافتقده النبي صلوات الله وسلامه عليه وقال: (من يأتيني بخبره؟)، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، وذهب إليه فوجده في منـــزله محزونًا منكسًا رأسهُ فقال: ما شأنك يا أبا محمد؟، قال شر، قال: وما ذاك؟!. قال: إنك تعرف أنَّي رجل جهيرُ الصوت، وأن صوتي كثيرًا ما يعلو على صوت رسول الله ﷺ، وقد نزل من القرآن ما تعلمُ، وما أحسبني إلا قد حبط عملي، وأنني من أهل النار، فرجع الرجلُ إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وأخبره بما رأى وما سمع فقال: (اذهب إليه وقُل له: لست من أهل النَّار؛ ولكنك من أهل الجنة»[1]، فالشاهد في قوله: (بل هو من أهل الجنة) أتى بالبشارة عليه – الصلاة والسلام– بدخول ثابت بن قيس للجنة بأسلوب وجيز مستخدمًا أسلوب القصر عن طريق العطف مستخدمًا (بل)؛ ليزيل ما حل بالصحابي الجليل من جزع وحزن خوفًا من أن يكون من أهل النار؛ لكونه جهور الصوت وقد يرتفع صوته على صوت رسول الله ﷺ، فالمقام هنا يقتضي ذلك الإيجاز والقصر، ونلحظ أن جواب رسول الله ﷺ لم يقل هو ليس من تلك الفئة، بل ذكر الجنة؛ زيادة في بعث الطمأنينة في قلب ثابت، فحينما يقول له: (أنت في الجنة) يقطع تلك الشكوك والأوهام التي عاش معها ثابت لفترة طويلة، وهو من نوع قصر الموصوف: (ثابت بن قيس) على الصفة: (كونه من أهل الجنة) وهذا النوع من قصر القلب، «كما هو ظاهر؛ إذ إن المخاطب كان يعتقد أنَّه من أصحاب الجحيم، فقلب له النبي ﷺ المعنى وجعله من أصحاب دار النّعيم»[2].

٣– القصر بـــ(إنما):

على الرغم بأن دلالة (إنما) للقصر دلالة وضعية؛ إلا أن البلاغيين تحدثوا عنه كنوع من أنواع طرق القصر، وذلك لتضمنها معنى (ما وإلا)[3].

أولا: مواضع القصر الحقيقي:

عن عمرو بن العاص قال: ((سمعت رسول الله ﷺ جهارًا غير سرٍّ، يقول: ألا إن آل

(١) صور من حياة الصحابة، لعبد الرحمن رأفت الباشا، دار النفائس، بيروت –لبنان، ١٩٩٢م، ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٢) أساليب القصر في أحاديث الصحيحين، ص٥٧٦.

(٣) انظر: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، ص٣١٧-٣١٨.

أبي (يعني فلانا) ليسوا لي بأولياء، إنَّما وليِّي الله وصالح المؤمنين))[١].

يخبرنا عمرو بن العاص عن حديث يحتمل على أمرٍ عظيم؛ لذا ذكر الجملة الاعتراضية- جهارًا غير سرٍّ- ثم بدأ حديثه -عليه الصلاة والسلام- بألا الاستفتاحية زيادة في التشويق وجذب الانتباه لما سيقال بعدها، ثم وضح -عليه الصلاة والسلام- «أولياءه الذين لهم حق الولاء، ومن ليسوا بأوليائه فوجب البراء منهم، والمعنى الاصطلاحي للولاء، هو النصرة والمحبة، والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا، والبراء هو: البعد والخلاص، والعداوة بعد الإعذار والإنذار، وقال ابن تَيْمِيَّة: وأصل الولاية المحبة والتقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد، فإذًا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه»[٢].

وشاهد القصر في قوله: (إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين)، حيث يقصر -عليه الصلاة والسلام- ولاءه لله وصالح المؤمنين، وبذلك يخرج مَن سواهم عن ولايته، «وقوله: (صالح المؤمنين) إضافة بيان وتشريف تعطي خصوصية لأولياء الرسول، فليس مطلق الإيمان، ولكن إيمان مرتبط بصلاح، طائفة مصلحة صالحة، يصلح بصلاحها المجتمع كله»[٣]، والقصر هنا قصر للصفة: (وليِّي) على الموصوف: (الله وصالح المؤمنين).

ثانيا: مواضع القصر الإضافي:

عن أسامة بن زيد، وهذا حديث ابن أبي شيبة. قال: ((بعثنا رسول الله ﷺ في سريةٍ، فصبحنَّا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته؛ فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قُلت: يا رسول الله! إنَّما قالها خوفًا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبهِ حتى تعلم أقالها أم لا، فما يزال يكررها عليَّ حتى تمنيت أنِّي أسلمت يومئذٍ))[٤].

ورد هذا الحديث تحت باب (تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله)، فبعدما سرد أسامة بن زيد ما حصل معه أثناء هجومهم المباغت لبني الحرقات من جهينة، فكان رده –

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، ص٩١.

(٢) كنوز رياض الصالحين، ٥/ ٥٦٧.

(٣) السابق، ٥/ ٥٦٥.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ص٥١.

عليه الصلاة والسلام – (استفهامًا إنكاريًّا) أي كيف تقتله بعدما نطق بالشهادة، فلما رأى أسامة علامات الغضب والدهشة على محيّا رسول الله ﷺ استشعر بعظيم ما قام به فحاول إقناع رسول الله –عليه الصلاة والسلام– بأن الرجل ما قال ذلك إلا خوفًا من القتل، و لم تكن الشهادة بنية صادقة، وقد أتى بأداة القصر والحصر (إنما) محاولا إقناع رسول الله – عليه الصلاة والسلام– لسبب قتله للرجل، فما كان رده –عليه الصلاة والسلام– إلا أن قال: (أفلا شققت عن قلبه...) أراد أسامة ﷺ تبرير فعلته؛ لكنه –عليه الصلاة والسلام– أعاد إنكاره، قال النووي الفاعل في قوله: «(أقالها) هو القلب، ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى ما فيه، فأنكر عليه ترك العمل بما ظهر من اللسان»[1]، والقصر هنا قصر للموصوف: (الرجل) على الصفة: (النطق بالشهادة خوفًا من السلاح).

(١) فتح الباري، كتاب الديات، ١٢/ ٢٤٣.

الفصل الرابع

بناء الجمل

ويشتمل على المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: الإيجاز والإطناب.

المبحث الثاني: الوصل والفصل.

المبحث الأول: الإيجاز والإطناب:

الإيجاز:

الإيجاز لغة:

أُوجِز الكلامُ: قلَّ، وكلامَه: قللهُ، وهو ميجاز، والعطية: قللها[١]. فالإيجاز أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به، وإلا كان إخلالاً يفسد الكلام[٢].

قال عنه الجاحظ: «هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف»[٣].

وقال عنه ابن قتيبة في أدب الكاتب: «ولو كان الإيجازُ محمودًا في كل الأحوال لجرَّده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارةً للإيجاز، وكرر تارة للإفهام»[٤].

وقال عنه أبو هلال العسكري في الصناعتين: «والقولُ القصد أنَّ الإيجاز والإطناب يحتاجُ إليهما في جميع الكلام وكلَّ نوع منه؛ ولكل واحدٍ منهما موضع؛ فالحاجةُ إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ»[٥].

ومع هذا «فإنه من يقرأ تراث العرب البلاغي يلحظ الاحتفاء بالإيجاز ظاهرًا عند البلغاء والبلاغيين على حد سواء، فالجميع يفضلون الإيجاز، والبليغ عندهم من أصاب الغاية بقليل من اللفظ»[٦].

قال ابن جني: «قيل لأبي عمرو: أكانت العرب تطيل؟ فقال: نعم لتبلغ. قيل: أفكانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها. واعلم أن العرب -مع ما ذكرنا- إلى الإيجاز أميل. وعن

---

(١) القاموس المحيط، ص١٨٥٠.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتور أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م، ١/ ٣٤٤.

(٣) البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ٢/ ١٧.

(٤) أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص١٩.

(٥) كتاب الصناعتين، ص١٧١.

(٦) مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، الدكتور حامد صالح خلف الربيعي، جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ، ص٢٢٥.

الإكثار أبعد. ألا ترى أنها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملالها، ودالة على أنها إنما تجشمتها لما عناها هناك وأوهمها، فجعلوا ما في ذلك على العلم بقوة الكلفة فيه، دليلاً على إحكام الأمر فيما هم عليه...ثم لنعد فنقول: إنهم إذا كانوا في حال إكثارهم وتوكيدهم مستوحشين منه، مصانعين عنه اعلم أنهم إلى الإيجاز أميل، وبه أغنى، وفيه أرغب، ألا ترى إلى ما في القرآن وفصيح الكلام من كثرة الحذوف، كحذف المضاف، وحذف الموصوف، والاكتفاء بالقليل من الكثير، كالواحد من الجماعة، وكالتلويح من التصريح. فهذا ونحوه- مما يطول إيراده وشرحه- مما يزيل الشك عنك في رغبتهم فيما خف وأوجز، عما طال وأمل، وأنهم متى اضطروا إلى الإطالة لداعي حاجة، أبانوا عن ثقلها عليهم، واعتدوا بما كلفوه من ذلك أنفسهم، وجعلوه كالمنبهة على فرط عنايتهم، وتمكن الموضع عندهم، وأنه ليس كغيره مما ليست له حرمته، ولا النفس معنية به. نعم، ولو لم يكن في الإطالة في بعض الأحوال إلا الخروج إليها عما قد ألف ومل من الإيجاز لكان مقنعًا»[(١)].

وفي العصر الحديث تحدث العلامة الفاضل الدكتور محمد عبد الله دراز- رحمه الله تعالى – في كتابه القيم (النبأ العظيم) عن الإيجاز فقال: «هو المقدار الذي يؤدى به المعنى بأكمله بأصله وحليته على حسب ما يدعو إليه المقام من إجمال وتفصيل بغير إجحاف ولا إسراف، ويعتبر أن كل من نقص عن هذا القدر أو زاد حائدًا عن الجادة بقدر ما نقص أو زاد.

فالكلام الطويل إن حوى كل جزء فيه فائدة تمس الحاجة إليها ولا يسهل أداء تلك الفائدة بأقل منه كان هو عين الإيجاز المطلوب، وإن أمكن أداء الأغراض فيه كاملة بحذف شيء أو بإبداله بعبارة أخصر منه كان حشوًا أو تطويلاً معيبًا...والكلام القصير إن وفى بالمقاصد الأصلية والتكميلية المناسبة لمقتضى الحال كان هو التوسط المطلوب، وإلا كان بترًا أو تقصيرًا معيبًا»[(٢)].

الإيجاز في الحديث النبوي:

يعد الإيجاز من أبرز خصائص الحديث النبوي، حيث أوتي –عليه الصلاة والسلام-

(١) الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١/ ٨٣-٨٧.

(٢) النبأ العظيم، الدكتور محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة –قطر، ٢٠٠٧م، ص١٤٣.

الكلم الجوامع للمعاني، فبلغ في ذلك الكمال في البيان البشري، إذ قل كلامه، وخرج قصدًا في ألفاظه، محيطًا بمعانيه.

«والإيجاز قوة في التعبير، وامتلاك لناصية اللغة، وهو أصلح للحفظ والراية والتمثيل، ولابد في الإيجاز المعتبر من الوضوح التام، فإن لم يكن الكلام وافيًا بالغرض دالاً على المراد فهو الإخلال، وهو عيب في الكلام كالتطويل.

ولا يؤتى الإيجازَ إلا من رُزق حدة في الذهن، وإرهافًا في الإحساس البياني، ومعرفة تامة بدلالة المفردات، وإدراكًا واعيًا لأحوال المخاطبين. وقد اجتمع ذلك كله في الرسول ﷺ على أكمل وجه»[١].

عن أبي يونس مولى أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال: ((نُصرتُ بالرعب على العدو. وأوتيت جوامع الكلم، وبينما أنا نائم أتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت يديَّ))[٢].

وهناك روايات كثيرة عنه ﷺ تدعو إلى الإيجاز في القول، من ذلك قوله لجرير بن عبد الله البجلي: «يا جرير، إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف»[٣].

قال أبو هلال العسكري بعد أن أورد روائع من كلامه ﷺ: «فمعاني هذا الكلام أكثرُ من ألفاظه، وإذا أردت أن تعرف صحَّة ذلك فحلها وابنها بناءً آخر؛ فإنَّك تجدها تجيءُ في أضعاف هذه الألفاظ»[٤].

قال الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: «ومن كمال تلك النفس العظيمة، وغلبة فكره –عليه الصلاة والسلام– على لسانه قل كلامه وخرج قصدًا في ألفاظه، محيطًا بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها: فلا

---

(١) الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه، ص٩١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ص١٦٥.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي، تحقيق الدكتور يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة: ٦٥ شارع النـــزهة–مصر الجديدة–، ٢٠١٠م، ص٥٦. ولم يرد هذا الحديث في الصحيحين.

(٤) الصناعتين، ص١٦١.

ترى من الكلام ألفاظا ولكن حركات نفسية من ألفاظٍ، ولهذا كثرت الكلمات التي انفرد بها دون العرب، وكثرت جوامع كلمه، كما ستعرفه، وخلص أسلوبه، فلم يقصر في شيء، ولم يبالغ في شيء، واتسق له من هذا الأمر على كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراده مريد لعجز عنه، ولو هو استطاع بعضه لما تم في كل كلامه، لأن مجرى الأسلوب على الطبع، والطبع غالب مهما تشدد المرء وارتاض، ومهما تثبت وبالغ في التحفظ.

هذا إلى أن اجتماع الكلام وقلة ألفاظه مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه، وأن يكون ذلك عادة وخلقًا يجري عليه الكلام في معنًى معنى، وفي بابٍ باب، شيء لم يعرف في هذه اللغة لغيره ﷺ؛ لأنه في ظاهر العادة يستهلك الكلام ويستولي عليه بالكلف، ولا يكون أكثر ما يكون إلا باستكراه وتعمل، كما يشهد به العيان والأثر، فكان تيسير ذلك للنبي ﷺ واستجابته على ما يريد وعلى النحو الذي خرج به نوعًا من الخصائص التي انفرد بها دون الفصحاء والبلغاء، وذهب بمحاسنها في العرب جميعًا»[(١)].

أقسام الإيجار:

يقسم جمهور البلاغيين الإيجاز إلى: إيجاز قصر وهو ما لم يكن بحذف، وإيجاز حذف وهو ما كان بحذف شيء من الكلام[(٢)].

١-إيجاز القِصَر:

إيجاز القصر هو الدلالة على المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، أي: تضمين العبارات القليلة القصيرة معانِيَ كثيرة غزيرة دون أن يكون في تراكيبها لفظ محذوف[(٣)].

ولقد شاع هذا النوع من الإيجاز في حديثه ﷺ وإذا تُحدث عن الإيجاز في الحديث النبوي فإنما يقصد به إيجاز القصرِ.

قال عنه الدكتور محمد أبو موسى: «حينما نتأمل إيجاز القصر نجد له طبيعة خاصة تجعله

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، راجعته واعتنت به الأستاذة: نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر والطباعة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٣٣.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية، ص٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦١.

(٣) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، ص٤٩٢.

متميزًا، فالكلام الذي يصاغ من أول أمره على الإيجاز أو يدخل في بنية تركيبه، ولم يعرض له حذف، أدق مسلكًا من إيجاز الحذف؛ لأن الحذف يعني أن العبارة جرت على المعنى، وامتدت بامتداده، ثم سقط جزء منها، وأقيم عليه الدليل، أما إيجاز القصر فإنه تطويع للمعنى الكثير، وإلباسه بنية لفظية قليلة، وهذا جهد صعب؛ لأنه يعني ضغطَ المعنى ضغطًا حاذقًا، لا يضيّع منه شيئًا، ثم مدّ اللفظ القصير عليه وبسطه حتى يستولي على كل دقيقة في حاشية المعنى؛ ولهذا احتاج هذا الأسلوب إلى فطنة ووعي، وسليقة ودربة تعرف كيف تصطنع اللمح والإيحاء، واللفظ فيه يدل على معنى، ويومئ بثانٍ وثالث»[(١)].

من مواضع إيجاز القصر في كتاب الإيمان:

في حديث جبريل عليه السلام... قال: فأخبرني عن الإحسان. قال:: ((أن تعبد الله كأنَّك تراهُ، فإنْ لم تكن تراهُ فإنه يراك))[(٢)].

فبذلك التعريف الموجز للإحسان شمل عدة معانٍ؛ مراقبة الله في السر والعلن، والإخلاص في العبادة لله تعالى، والبعد عن الرياء، يستشعر بمراقبة الله له؛ وأنه ﷻ يرقبه في سكناته وحركاته. قال ابن الأثير: «(تعبد الله كأنك تراه) من جوامع الكلم؛ لأنه ينوب مناب كلام كثير، كأنه قال: تعبد الله مخلصًا في نيتك، واقفًا عند أدب الطاعة من الخضوع والخشوع، آخذًا أُهْبَة الحذر، وأشباه ذلك؛ لأن العبد إذا خدم مولاه ناظرًا إليه استقصى في آداب الخدمة بكل ما يجد إليه السبيل، وما ينتهي إليه الطَّوْق»[(٣)].

عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: ((قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: قل: آمنت بالله ثم استقم))[(٤)].

«يتسم هذا الحديث بالإيجاز الشديد، إلا أنه مع ذلك يشْتمل على قواعد في العقائد

---

(١) الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د-محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، القاهرة-شارع الجمهورية عابدين، ١٩٩٧م، ص٩٢-٩٣.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدليل على التبرّي ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٨.

(٣) المثل السائر، ٢/ ١١٠.

(٤) السابق، باب جامع أوصاف الإسلام، ص٣٩.

والعبادات والمعاملات، ويبدأ الحديث هنا بأسلوب الحوار وتلك الصيغة هي الغالبة في أحاديثه – عليه الصلاة والسلام- وبداية الحوار جاءت بأسلوب النداء لرسول الله ﷺ لجذب انتباه الرسول ﷺ، وأنه سيستفسر عن أمر عظيم، وفي قول: (قل) الفعل ليس على حقيقته الأمر، وإنما أتى به لغرض النصح والإرشاد. وفي قوله-عليه الصلاة والسلام-: استقم «لفظ جامع للإتيان بجميع الأوامر، والانتهاء عن جميع المناهي؛ لأنه لو ترك أمرًا لم يكن مستقيما على الطريق المستقيم، بل عدل عنه حتى يرجع إليه»[١].

قال محيي الدين عن القاضي عياض المغربي أنه قال: «هذا من جوامع كلمه -عليه الصلاة والسلام- وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[٢]، أي وحدوا الله تعالى وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن توحيدهم»[٣]. وقال السنوسي في شرحه إكمال الإكمال: «فهو من جوامع كلمه –عليه الصلاة والسلام-؛ لأنه أجمل فيه ما فصله في ثلاث وعشرين سنة أو عشرين على الخلاف كم بقي بعد البعثة»[٤]، «ولقد أشار هذا الحديث إلى ركني الحياة السامية العقيدة السليمة، والسلوك المستقيم، فالإيمان يمثل العقيدة الصالحة، والاستقامة على ما يقتضيه هذا الإيمان تمثل السلوك الذي يثبت إيمان صاحبه وصدقه في ذلك»[٥].

وعن عطاء بن يزيد، عن تميم الدَّاريِّ؛ أنَّ النبي ﷺ قال: ((الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم))[٦].

بدأ حديثه –عليه الصلاة والسلام- بأسلوب وجيز مستعملا القصر بالتعريف (الدين النصيحة)، وهذا القصر ليس على حقيقته، وإنما أُريد منه إظهار أهمية النصيحة، وكأنها

---

(١) شرح الطيبي ، ١/ ١٣٤.

(٢) فصِّلَت: ٣٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي أبو الفضل، ، تحقيق: يحي إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٨م، ١/ ٢٧٥.

(٤) صحيح مسلم مع شرحه إكمال المعلم للأبي وشرحه مكمل إكمال الإكمال للسنوسي، السنوسي-الأبي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١/ ١٣٤.

(٥) الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه، ص٩٤.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ص٤٣.

أصبحت الدين كله!. «قال القاضي: قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة يُعبَّر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له»[١]، وهي بنفس الوقت عبارة مبهمة، كان غرضه منها -عليه الصلاة والسلام- تحريك أذهان صحابته وتشويقهم، كيف يحدث ذلك؟ ولمن تكون إذن؟؛ لذا أتى تعقيبهم بالاستفهام لمن يا رسول الله؟

فما أجمل إيجازه وبلاغته -عليه الصلاة والسلام- فبكلمة واحدة (الدين النصيحة) عبر عن عدة معانٍ، فمعناه لله ولرسوله؛ طاعة الله ورسوله والاجتناب عما نهى الله عنه، والنصيحة للقرآن التصديق والعمل بما جاء به، ولِولاة الأمر المقصود طاعتهم وتقديم المشورة لهم، ولعامة المسلمين نصحهم ومحبة الخير لهم.

وعن ابن جريح؛ أنَّه سمع أبا الزبير يقول: سمعت جابرًا يقول: ((سمعت النبي ﷺ يقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[٢].

«أي الكامل الإسلام والجامع لخصاله من لم يؤذ مسلمًا بقولٍ ولا فعلٍ، إذْ أكثر الأفعالِ بالأيدي، فأضيفت عامتها إليها، وهذا من جامع كلامه»[٣]. فبعبارة وجيزة وضع عليه -الصلاة والسلام- قاعدة لتعامل الأفراد فيما بينهم.

فالحديث السابق يعد من جوامع الكلم، حيث يبين -عليه الصلاة والسلام- معنى المسلم الحقيقي موجزا معناه بقوله: -من سلم المسلمون من لسانه ويده-، فهو الذي يكف لسانه عن الإساءة لغيره من سباب ونميمة، ونفاق وغيبة، وكلام وبذيء، ففي زماننا نجد أن المسلم يحافظ على صلاته في وقتها، وقد تجده يؤدي حق الله في ماله فيدفع الزكاة المفروضة، وقد تجده من حجاج بيت الله الحرام، ولكن مع هذا الخير كله قد تجده لا يحكم لسانه ولا يملك زمامه، فينفلت منه لسانه فيقع في أعراض الناس فلا يستطيع أن يملك لسانه عن السب والشتم واللعن، ولا يملكه عن شهادة الزور وقول الزور، وقد لا يكف لسانه عن همز الناس ولمزهم، فمثل هذا النوع من الناس قد فقد صفة المسلم الحقيقي. والله تعالى أعلم.

وهناك نوع آخر من المسلمين يحكم لسانه ويقل به الكلام، ولكنه يؤذى المسلمين بيده،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٠٦.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ص٣٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٢٧٦-٢٧٧.

فيضرب بيده أبدان المسلمين، أو يعتدي على أموالهم فيسرقها، أو يسلبهم حقوقهم أو يظلمهم فهذا أيضًا ينافي الإسلام، والله تعالى أعلم.

وعن قتادة عن أنس بن مالك؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))[١].

في هذا الحديث يضع رسول الله ﷺ قاعدة إسلامية راسخة في كيفية تعامل أمته -عليه الصلاة والسلام- معه، فلا يكتفون بطاعته والعمل على ما جاء به، بل حبه -عليه الصلاة والسلام- وتفضيله بذلك عن غيره. ويبدأ أسلوبه بالنفي (لا يؤمن) وهو نفي شيء عظيم ألا وهو(الإيمان)، فصيغة النفي تُثير التساؤل وتُحدث اليقظة وإثارة الذهن. وفي قوله: (حتى) هنا تفيد الغاية، فينتفي الإيمان عن الشخص مهما فعل من عبادات وطاعات ما لم يقدّم حب رسول الله ﷺ عن سواه من البشر.

«قال ابن بطال: قال أبو الزناد: هذا من جوامع الكلم الذي أوتيَه، -عليه الصلاة والسلام- إذ أقسام المحبة ثلاثة: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة رحمة وإشفاق كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة الناس بعضهم بعضًا، فجمع النبي ﷺ ذلك كله»[٢].

وعن أنس بن مالك؛ عن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه (أو قال جاره) ما يحب لنفسه))[٣].

إن هذا الحديث الشريف بعباراته الجامعة الموجزة، وشمول معناه، وعمق أثره لمن جوامع الكلم، ومن الحكمة النبوية الصادقة، إذ يبين فيه الرسول ﷺ دعامة رئيسة من دعائم الإيمان التي يجب أن يطبقها الإنسان في واقع حياته العملية، وهو الحرص على الأخوة الإنسانية الحانية وتأكيدها.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد، والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، ص٤٠.

(٢) عمدة القاري، ١/ ١٩٨.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ص٤٠.

«إذًا يجب على الإنسان المؤمن الذي يتصف بالإيمان الحقيقي أن يحب لأخيه الإنسان ما يحب لنفسه من خير الدين والدنيا، وشرف الأولى والآخرة، ويشاركه في ذلك، ويدعو إليه، كما يبغض -في الوقت ذاته- لأخيه، ما يبغض لنفسه من الشر، وينهاه عنه.

وبذلك يثمر الإيمان الحقيقي محبة الآخرين، ومحبة الخير لهم، وكره الشر لهم، ومن ثم ينتقل الإنسان بإيمانه القوي من دائرة الخصوصية والأثرة إلى دائرة العموم والإيثار؛ فيحيا في مجتمعه حياة ملؤها المحبة والتعاون مع الناس كافة، وذلك هو الرقي الخلقي، والسلوك الحضاري، والتطبيق العملي للإيمان الذي يدعو إليه ديننا الحنيف عبر القرون والأزمان، ومثَّل الضمير أهمية بالغة في تماسك النص وانسجامه، ويتمثل الضمير الغائب المستتر في الفعل المكرر مرتين: (يحب)، والغائب المتصل في (أخيه) و(نفسه)، حيث يتميز الضمير الغائب بالغياب عن الدائرة الخطابية، والقدرة على إسناد أشياء معينة في تحقيق نصية النص، ببناء شبكة العلاقات التي تربط بين أجزاء النص ربطًا محكمًا يتحد فيه البناء»[(١)].

٢- إيجاز الحذف:

تحدثت عن الحذف في الفصل الثالث وتناولت تعريفه وأغراضه البلاغية؛ لذا سأشرع هنا في البدء بالحديث عن أركان الجملة الحديثية المحذوفة لغرض الإيجاز (كالصفة، والموصوف، والحال، والحرف).

أولا: حذف الحرف:

قال ابن جني في الخصائص: «أخبرنا أبو علي-رحمة الله- قال: قال أبو بكر: حُذف الحروف ليس بالقياس. قال: وذلك أنَّ الحروف إنَّما دخلت من الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفُها لكنت مختصرًا لها أيضًا، واختصارُ المختصر إجحافُ به»[(٢)].

«يبدو أن هذا القياس العقلي لا يتفق مع واقع اللغة التي ورد فيها حذف للحروف في مواضع كثيرة، واللغة لا تخضع في ظواهرها لمنطق العقل»[(٣)]. وشاهد ذلك كثرة حذف

(١) البلاغة في السنة النبوية، دراسة تحليلية في الحديث النبوي، الدكتورة عزة محمد جدّوع، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية- الرياض، ٢٠١٣م، ص٥٤.

(٢) الخصائص، ٢/ ٢٦٦.

(٣) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص٢٦٥.

الحروف في القرآن الكريم والسنة النبوية.

١- حذف حرف النداء:

حذف حرف النداء مع لفظ الله -رب- عند مناجاة الله ﷻ من ذلك ما جاء في حديث جابر: ((أنَّ الطفيل بن عمرو الدوسي...فقال رسول الله ﷺ: اللهم وليديه فأغفر))[١].

وفي حديث طويل عن ليلة المعراج عن قتادة عن أنس ابن مالك: ((... فأتيت على موسى عليه السلام فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بالأخ الصَّالح والنَّبي الصَّالح، فلمَّا جاوزته بكى، فُنودي: ما يبكيك؟ قال: ربّ! هذا غلام بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنة أكثر ممّا يدخلُ من أمَّتي))[٢].

وعن سعيد بن منصور عن حماد بن زيد عن معبد بن هلال العنزي: ((... ثم أخرّ له ساجدًا، فيقال لي: يا محمدُ ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: ربَّ أمَّتي، أمتَّي))[٣].

وعن سعيد بن المسيب أنَّ أبا هريرة حدثه قال: ((يدخل من أمتَّي زمرة هم سبعون ألفا... فقام عكاشة بن محصن الأسدي فقال: يا رسول الله ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اجعله منهم))[٤].

وعن أبي هريرة وأبي مالك عن ربعيٍّ عن حذيفة: عن رسول الله ﷺ: ((ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم))[٥].

يقول الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن: «وكثر ذلك في نداء الربّ سبحانه؛ وحكمة ذلك دلالتهُ على التعظيم والتنـــزيه؛ لأن النداء يتشرّب معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيد، فحذفت (يا) من نداء الرب؛ ليزول معنى الأمر، ويتمحّض التعظيم

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، ص٥٦.

(٢) السابق، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ص٧٣.

(٣) السابق، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص٨٥.

(٤) السابق، باب الدليل على دخول طوائف المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ص٩١.

(٥) السابق، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص٨٧.

والإجلال»[١].

«وفي العجائب للكرماني: كثر حذف (ياء) في القرآن من الربّ تنـــزيهًا وتعظيمًا، لأن في النداء طرفًا من الأمر»[٢].

«وقد أسهم حذف حرف النداء في تقريب الصلة بين المنادي والمنَادى، أو بين العبد وربَّه، وذلك ما نلمحه كذلك في كثير من آي القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾[٤].

وهذه النداءات جميعًا وغيرها كثيرة في القرآن قد حذف منه حرف النداء، وربما كان ذلك لأن الله –سبحانه– يريد أن يعتاد عباده مناجاته ونداءه بغير واسطة، وما أجمل أن يعتاد العبد مناجاة ربِّه، كما أن في ندائه –سبحانه– بغير واسطة دعوةً لأن يكون ذلك تنـــزيهًا وتعظيمًا؛ لأن في النداء طرفًا من الأمر: «هذا إلى جانب رداء الإيجاز والاختصار– ذلك الرداء القشيب الذي خلعه ذلك الحذف على تلك الآيات، فبدت معجزة موجزة»[٥].

٢– حذف أداة الاستفهام:

عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ قال: ((جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنَّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان))[٦].

الشاهد في قوله: (وقد وجدتموه؟) والتقدير: (أوجدتموه) حذفت همزة الاستفهام تعجبًا من أنهم وجدوا ذلك وقد أوردت هذا الحديث في مبحث الاستفهام في الاستفهام للتعجب.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٣/ ١٣٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة–المنصورة، ٢٠٠٦م، ٣/ ١٥٥.

(٣) البقرة: ١٢٦.

(٤) مريم: ١٠.

(٥) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغية)، مختار عطية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ص٢٧٦، ٢٧٧.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة وما يقوله من وجدها، ص٦١.

وعن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ عن سيدنا موسى عليه السلام ((سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منـــزلة؟ ... قال: ربِّ! فأعلاهم منـــزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي. وختمتُ عليها. فلن تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقهُ في كتاب الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[١]))[٢].

الشاهد في قوله: (فأعلاهم منـــزلة؟). والتقدير من (أعلاهم منـــزلة). والحذف هنا من شدة الدهشة والفرح، وهول ما سمع عن نعيم أدنى أهل الجنة منـــزلة؛ فإذا كان منـــزلة أدنى رجل في الجنة عشرات أضعاف ما يملكه ملك من ملوك الدنيا! فما سيكون منـــزلة ونعيم أعلى منـــزلة في الجنة.

ثانيًا: حذف المفعول المطلق:

عن قتادة عن أنس بن مالك؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين))[٣].

الشاهد في قوله: (لا يؤمن) أي (إيمانًا كاملاً)[٤]، فليس المقصود نفي الإيمان؛ لكنه لن يصل لأعلى مراتبه إلا إذا قدم حب رسول الله ﷺ على الناس أجمعين.

وعن أنس بن مالك؛ عن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه (أو قلت جاره) ما يحب لنفسه))[٥]، والمعنى: «لا يؤمن الإيمان الكامل، لأن أصل الإيمان لا يزول بزوال ذلك، أو التقدير: لا يكمل إيمان أحدكم»[٦].

---

(١) السجدة: ١٧.

(٢) السابق، باب أدنى أهل الجنة منـــزلة فيها، ص٨٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد، والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، ص٤٠.

(٤) عمدة القاري، ١/ ١٩٨.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ص٤٠.

(٦) عمدة القاري، ١/ ١٩٦.

وعن ابن الحر عن أبي ذرٍّ، عن النبي ﷺ قال: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئًا إلا منَّه، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره))[١].

بدأ حديثه -عليه الصلاة والسلام- بأسلوب التوشيع، وهو الإيضاح بعد الإبهام، فعبارة: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة) من شأنها أن تُحدث يقظة وترقّبًا إلى معرفة بقية الخبر المرعب، وفيه ذكر الظرف (يوم القيامة) زيادة في الترهيب. وبعد أن تهيأت النفس واستشرفت لمعرفة بقية الخبر، فصّل عليه- الصلاة والسلام- من هم تلك الثلاثة.

قال النووي: «معنى لا يكلمهم أي لا يكلمهم تكليمَ أهل الخيرات، بإظهار الرضا، بل بكلام أهل السخط والغضب، وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم، ويسرهم»[٢]، فالتقدير لا يكلمهم بكلام الخير والرضا.

ثالثًا: حذف المضاف:

قال عنه ابن جني: «ذلك كثيرٌ واسع»[٣].

عن مسروق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس منَّا من ضرب الخدود، أو شقَّ الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية))[٤].

بدأ حديثه –عليه الصلاة والسلام- بأسلوب النفي، ليس منا، أي ليسوا من أهل الإسلام، وبالتالي دخولهم في الكفر، ثم وضح بعد صفات هؤلاء الخارجين عن الإسلام، ونلحظ أنه –عليه الصلاة والسلام- في معالجته للظواهر الجاهلية (كشق الجيوب، والنياحة على الميت، وضرب الخدود، والتبنّي) يستخدم أسلوب النفي عن الإسلام، أو يطلق لفظ الكفر صريح؛ لأن المجتمع حديث عهد بالإسلام، وهناك من أسلم، ومازال يمارس طقوس جاهلية؛ لذا صعد –عليه الصلاة والسلام- لهجة التحذير والترهيب من تلك العادات حتى أدخلها في دائرة الكفر؛ كي يرتدع عنها المجتمع.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ص٥٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٨٨.

(٣) الخصائص، ٢/ ٣٤٦.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية، ص٥٣.

قال ابن حجر العَسْقَلانِيّ: «قوله: (ليس منا) أي من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك»[١].

٤- حذف المضاف إليه:

قال عنه ابن هشام: «يكثر في ياء المتكلم مضافًا إليها المنادى نحو (ربِّ اغفر لي)[٢].

عن قيس عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارًا غير سرٍّ، يقول: ((ألا إنَّ آل أبي (يعني فلانًا) ليسوا لي بأولياء، إنَّما ولِيِّي الله وصالح المؤمنين))[٣].

يتكلم الرسول ﷺ عن أمر في غاية الأهمية في الإسلام، وهي قضية الولاء والبراء؛ لذا ابتدأ الحديث (بألا) الاستفتاحية، ثم وضّح بأسلوب القصر بـــ(إنما) من هم أولياؤه –عليه الصلاة والسلام–.

«قال ابن التين: حذفت التسمية لئلا يتأذى بذلك المسلمون من أبنائهم»[٤].

٥- حذف الموصوف:

عن عاصم عن أبيه؛ قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان))[٥].

لقد اختلف العلماء في تقدير الموصوف المحذوف، فقيل: إن المراد القواعد، ويكون التقدير على قواعد خمس[٦]؛ إذ استبعد شرّاح الحديث أن يكون تقدير الموصوف بـــ(أركان)؛ والسبب في ذلك، أن قوله: (خمس) قد خلت من التاء، ولو أريد الأركان؛

---

(١) فتح الباري، كتاب الجنائز، ٣/ ٢٠٩.

(٢) مغني اللبيب، ٢/ ٧١٦.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين، ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، ص٩١.

(٤) فتح الباري، كتاب الأدب، ١٠/ ٥١٥.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، ص٣١.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥ ه – ١٩٩٤ م، ص٢٧١.

لالتحقت به[١].

أما الطيبي، فقد ذهب إلى قوله: (خمس) لا يخلو من أن تكون قواعد البيت، أي أساسه أو أن تكون أعمدة الخباء جمع عمود، وليس الأول؛ لكون القواعد على أربع فيتعين الثاني[٢].

«وحذفُ الموصوفِ من الحديث مجال التأمل وتأويل ما يناسب ذلك الحذف، ليتماشى مع تطورات اللغة على مرّ العصور، وكي يكون ذلك الحذف أشد تعلقًا في ذهن المخاطب، ذكر بعد الصفة: (خمس) ما يفُسر الموصوف المحذوف»[٣]، ...فأصبحت الصفة كالعلم الذي يدل عليه وإن اختلفت تقديرًا[٤].

أما حذف الصفة، فقيل: لا يحسن حذفها؛ «لأن الغرض من الصفة إمّا التخصيص، وإما الثناء والمدح، وكلاهما من مقامات الإطناب والإسهاب، والحذف من باب الإيجاز والاختصار»[٥].

وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ في حديثه للنساء: ((يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار؛ فإنِّي رأيتكنَّ أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن، جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تُكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكنَّ))[٦].

في هذا الحديث يتوجه –عليه الصلاة والسلام – للنساء بالخطاب، وقد تصدر خطابه،

---

(١) السابق، ص٢٧١.

(٢) شرح الطيبي، ١/ ١١١.

(٣) الإيجاز والإطناب في بناء الجملة الحديثية، د. هناء محمود شهاب، محمد عاصم نجم النعيمي، مجلة التربية والتعليم، المجلد ١٥، العدد ٣، سنة ٢٠٠٨، ص٢٠٢.

(٤) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت –لبنان، ١٩٨٢م، ص٩٤.

(٥) شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ٢٠٠١م، ٢/ ٢٥٣.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان نُقصان الإيمان بنقص الطَّاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق، ص٤٧.

بأسلوب النداء، لشد انتباههن إلى أن الخبر الذي سيلقيه عليهن غاية في الأهمية، ثم تلا النداء بأسلوب الأمر: (تصدقن)، والغرض منه توجيههن وإرشادهن للصدقة والاستغفار، ثم يفسّر سبب توجيههن للصدقة والاستغفار؛ بأسلوب خبري مؤكد، على الرغم من أنه خبرٌ غيبي، يلقى للخالي الذهن، لكن سبقه بمؤكد، زيادة في الترهيب، وهذا الأسلوب من شأنه أنْ يلقي الرعب في قلوب النساء؛ لاختصاصهم بالذكر دون الرجال، ويثير التساؤلات لديهن، لما نحن يا رسول الله؟!؛ لذا أتى الاستفهام التعجبي من إحداهن: (ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟!)، وفي قوله: (تكثرن، تكفرن) أتى بصيغة المضارع؛ للدلالة على كثرة حدوث ذلك منهن، والاستمرار فيه، «وقد جاءت جملة: (يكفرن) مبهمة دون تحديد لمضمون الكفر، وهذا ما أشاع جوًّا من التهويل والتفظيع لهذه الجريمة»[(١)].

قال الطيبي: «(من ناقصات) صفة موصوف محذوف، أي ما رأيت أحدًا من ناقصات العقل»[(٢)].

٦- حذف الصفة:

حذف الصفة قليل نادرٌ في كلام العرب، والدليل قول ابن الأثير: «ولا يكاد يقع في الكلام إلا نادرًا؛ لمكان استبهامه... وقد تأملتُ حذفها فوجدته لا يسوغ إلا في صفة تقدمها ما يدلُّ عليها، أو تأخر عنها، أو فهم ذلك من شيء خارج عنها»[(٣)].

حدثنا إسماعيل قال: أخبرني العلاء، عن أبيه عن أبي هريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ: ((بادروا بالأعمال فتنًا كقطع اللَّيل المظلم، يصبحُ الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا))[(٤)].

بدأ حديثه- عليه الصلاة والسلام- بأسلوب الأمر المباشر: (بادروا)، والأمر هنا للوجوب، ثم وضّح لهم سبب ذلك الأمر، بأنه ستأتي على الأمة الإسلامية فتنٌ عظيمة

---

(١) عون الباري لحل أدلة البخاري، صديق حسن علي الحسيني القنوجي البخاري أبو الطيب، دار الرشد، حلب- سوريا، ١٩٨٤، ١/ ١٢٩.

(٢) شرح الطيبي، ١/ ١٤٢.

(٣) المثل السائر، ٢/ ٩٦.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ص٥٧.

ومتنوعة، وجعل تلك الفتن مبهمة وكثيرة، ثم وضّح بالتشبيه حال تلك الفتن: (كقطع الليل المظلم)، ثم وضّح وبأسلوب بديعي مشتملٍ على المقابلة في قوله: (يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا)، ما تفعله تلك الفتن بالإنسان المؤمن، فبين ليلة وضحاها يتحول المؤمن إلى كافر، فالمبادرة بالأعمال ستقي من تلك الفتن بإذن الله، «وقد حذفت الصفة من الأعمال: (بادروا بالأعمال) والمقصود به الأعمال الصالحة»[١]، ونجد هنا أن حذف الصفة متناسب مع فعل الأمر: (بادروا) الذي يوحي بالعجلة بالتوبة قبل أن تغشاهم تلك الفتن، التي وصفها بقوله: (كقطع الليل المظلم)، «كناية عن شدتها، وهول الخوف منها، وإبهام الأمر فيها، وضعف الوصول إلى الحق، وسرعة الوقوع في الباطل، ووصف الليل بالمظلم للتأكيد»[٢].

٧- حذف التمييز:

قال عنه ابن هشام: «نحو(كَمْ صُمْتَ) أي كم يومًا»[٣].

عن أبي قلابة، عن أنس؛ عن النبي ﷺ قال: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذهُ الله منه كما يكره أن يقذف في النَّار))[٤].

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع، قال الطيبي: (ثلاث من كن فيه) ثلاث مبتدأ، والجملة الشرطية خبره، وجاز ذلك؛ لأن التقدير (ثلاث خصال)[٥]، وغرض الحذف هنا هو التفخيم والتعظيم لتلك الخصال الثلاث التي يكمن بهن حلاوة الإيمان، والله تعالى أعلم.

وكذلك في قوله ﷺ في حديث عمرو بن جرير عن أبي هريرة: ((في خمس لا يعلمهن إلا الله))[٦]، (أي خمسة أشياء أو أمور) والحذف هنا للتعظيم والتفخيم، والله تعالى أعلم.

---

(١) فتح المنعم، ١/ ٣٨٧.

(٢) السابق، ٣٨٧.

(٣) مغني اللبيب، ٢/ ٧٢٩.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان خصالٍ مَن اتَّصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ص٣٩.

(٥) شرح الطيبي، ١/ ١١٩.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٩.

٨- حذف الحال:

قال عنه ابن هشام: «أكثر ما يرد ذلك إذا كان قولاً أغْنى عنه المقولُ نحو: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾[١]»[٢].

عن عبد الله بن كعب عن أبي أمامة؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة))[٣].

في هذا الحديث يُحذر رسول الله ﷺ من التعدي على أموال المسلمين، وقد صدّر الحديث بأسلوب الشرط: (من اقتطع)؛ ليجعل النفس متشوقة ومستشرفة لمعرفة جزاء ذلك الشرط.

قال النووي: «ففيه الجوابان المتقدمان المتكرران في نظائره، أحدهما: أنه محمول على المستحل لذلك إذا مات على ذلك، فإنه يكفر ويخلد في النار»[٤]، والحال المحذوفة هنا هي حال المقتطع لحق المسلم حيث يكون (مستحلا له) فقد وجبت له النار وحرمت عليه الجنة.

٩- حذف الجملة:

قال عنه ابن هشام: يقع ذلك في عدة مواضع، بعد حرف الجواب، وبعد نعم وبئس، وبعد حروف النداء، وبعد إن الشرطية، وفي قولهم: «افْعَلْ هذا إمَّا لا»[٥].

عن أبي سفيان، عن جابر؛ قال: أتى النبي ﷺ النعمان بن قوقل. قال: يا رسول الله! أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرَّمت الحرام، وأحللت الحلال، أأدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: (نعم)[٦].

في هذا الحديث يستفهم النعمان بن قوقل رسول الله ﷺ عن أمور إذا التزم بها ضمن دخول الجنة.

---

(١) الرعد: ٢٣.

(٢) مغني اللبيب، ٢/ ٧٢٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ص٦٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٣٢٣.

(٥) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٢/ ٧٤٦-٧٤٧.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأنَّ من تمسك بما أمر به دخل الجنة، ص٣٠.

حذف الجملة في قوله ﷺ: (نعم)، «المحذوف هنا هو جملة فعلية، تقديرها: تدخل الجنة، فالحذف كان لأجل توصيل الإجابة وبأسرع ما يمكن؛ لأن السائل جاء متلهفًا لدخول الجنة، وحتى لا يتعسر عليه ذلك أو يستثقل عليه طول الإجابة، جاء الرد بلفظ واحد؛ ليترك ما يكمل البشارة النبوية بحذف الجملة، متعلقة في ذهنه، وبإمكان العبد أن يعمل بأعمال الحديث فقط، وينال البشارة النبوية بدخول الجنة»[١].

الإطناب:

الإطناب لغة:

أطنب في الكلام: بالغ فيه، والإطنابُ: المبالغة في مدح أو ذم، والإكثارُ فيه[٢].

الإطناب اصطلاحًا:

هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة[٣]، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد، والإطناب مقابل الإيجاز؛ لأن الإيجاز دلالة اللفظ على معناه من غير نقصان فيخلّ، ولا زيادة فيمّل. وأما التطويل والإطناب فهما متساويان في تأدية المعنى خلا أن الإطناب مختص بفائدة جديدة، ولأجلها كان ممتازًا عن التطويل[٤].

فالإطناب يتخذ طرقًا ومسارات عديدة؛ لأجل الوصول إلى عرض المعنى بصور مختلفة، فكل طريقة، إنما يتوارى خلفها مقصدية ذهنية تضيف إلى المعنى الأول بُعدًا جديدًا وترسخُ من فاعلية المعنى الأول بالدلالة الأولى[٥].

وذكر البلاغيون عدة صور للإطناب، منها الإيضاح بعد الإبهام، وذكر الخاص بعد العام، وعكسه، والتكرير، والإيغال، والتذييل، والتكميل والاحتراس، والتتميم، والاعتراض،

---

(١) الإيجاز والإطناب في بناء الجملة الحديثية، ٢٠٤.

(٢) لسان العرب، ٥/ ٦٤٨.

(٣) المثل السائر، ٢/ ١٢٠.

(٤) معجم البلاغة العربية، ص٣٨٤.

(٥) الإطناب في القرآن الكريم أنماطه ودلالته، وفاء فيصل إسكندر، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. أحمد فتحي رمضان، جامعة الموصل، ٢٠٠٣م، ص١٠٠.

وغيرها[١].

١- الإيضاح بعد الإبهام:

ذكر البلاغيون أغراضًا للإيضاح بعد الإبهام، ومن ذلك ما ذكره القَزْوِيْني: «ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم، أو لتكمل اللذة بالعلم به، فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه»[٢].

عن عبد الله بن عتبة عن زيد بن خالد الجهني؛ قال: ((صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثرَ السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب))[٣].

لقد كان العرب يعيشون في الصحراء، يستضيئون في ليلهم بقمرها ويسترشدون في أسفارهم وأحوالهم بنجومها، وثبت لهم من تجاربهم وملاحظاتهم أن المطر كثيرًا ما يغيثهم إذا غاب نجم كذا وطلع نجم كذا، وارتبط في نفوسهم نزول المطر بمطالع بعض النجوم، وجاء الإسلام فلفت نظرهم مرارًا إلى أنه جل شأنه هو الذي يسير الرياح[٤]؛ الإبهام في قوله ﷺ: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)، ثم فسر ووضح عليه –الصلاة والسلام– ما المقصود بقوله: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)، والغرض هنا شد الانتباه والتشويق؛ لأن تلك

---

(١) شروح التلخيص، ٣/ ١٠٩-٢٥١.

(٢) الإيضاح، ص١٢٥-١٢٦.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مُطرنا بالنوء، ص٤٦.

(٤) فتح المنعم، ١/ ٢٤٢-٢٤٣.

العادة كانت متفشية في المجتمع الجاهلي، فأراد التحذير منها بطريق التشويق والإيضاح بعد الإبهام، كذلك نجد تآزر البديع مع الإيضاح بعد الإبهام؛ لترسيخ تلك القاعدة في نفوس المسلمين؛ لذا أتى بالطباق في قوله: (مؤمن، كافر)، والمقابلة في قوله: (مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب)، ففيها ثناء على الموحدين المقرين بفضل الله على عباده، والتوبيخ للذين يصرفون أفعال الله إلى الكواكب والأنواء، وساهم الطباق والمقابلة في الكشف عن الفارق الكبير بل التضاد بين الفريقين.

وعن أبي رجاءٍ العُطَارِديّ، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله ﷻ عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنًة كاملةً، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئةً واحدةً))[١].

«في هذا الحديث يبين –عليه الصلاة والسلام– المنهج الربّاني القائم على الرحمة والرأفة منه تبارك وتعالى في التعامل مع عباده، فمجُرد الهمِّ بالحسنة وهو عمل قلبي تكتب له حسنة، وحتى إن همّ بسيئة ولم يعملها كُتب له أجر، وقد بدأ –عليه الصلاة والسلام– الجملة بمؤكد: إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم فصل بعد ذلك في ثلاث جمل متوالية–متماثلة في الصياغة، ولكنها جاءت في قالب: الشرط والجزاء، وهذه الصيغة اللغوية تتواءم مع منطلق الثواب والعقاب؛ الثواب هو ثمرة الحسنات، والعقاب ثمرة السيئات، وما أعظم كرم الله ﷻ، وما أجلّ رحمته حين يُثيب على النية، والهم بالحسنات»[٢].

وعن أبي صالح عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اثنتان في النَّاس هما بهم كفر؛ الطعن في النَّسب، والنِّياحة على الميت))[٣].

بدأ حديثه –عليه الصلاة والسلام– بالعدد (اثنتان) تشويقا للخبر الذي سيلقيه على

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، ص٦٠-٦١.

(٢) كنوز رياض الصالحين، ١/ ١٩١-١٩٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم كفر على الطعن في النسب والنِّياحة، ص٤٦.

مسامع صحابته الكرام، لشد انتباههم للأمر الذي سيتحدث عنه؛ وذلك لفظاعته، وأنه داخل في حُكم الكفر، ثم وضّح –عليه الصلاة والسلام– هذين الأمرين اللذين يتوجب على الفرد المسلم البعد عنهما (الطعن في النسب، والنِّياحة على الميت).

٢– عطف العام على الخاص أو العكس:

عن الأعمش عن أبي سفيان قال: سمعت جابرًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إنَّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة))[١].

بدأ الحديث بأسلوب خبري مؤكد في قوله: (إن بين الرجل...) والشرك والكفر من عطف العام على الخاص؛ فالشرك: أن يعبد مع الله غيره من صنم أو نحوه، والكفر: فعل ذلك وغيره من المكفرات[٢]،قال المناوي: «(وبين الشرك) بالله (والكفر) عطف عام على خاص؛ إذ الشرك نوع من الكفر، وكرر بين تأكيدًا»[٣].

والجمع بين الكفر والشرك من مراعاة النظير، وهو الجمع بين الشيء ونظيره، وقد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله، والكفر أعم، وعطف الكفر على الشرك من عطف المفردات لوجود الجامعة بينهما وهي التماثل مع قصد التشريك في الحكم[٤].

وعن عطاء بن يزيد، عن تميم الدَّاري، أنَّ النبي ﷺ قال: ((الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم))[٥].

فالمتمعن في الحديث، يجد أن طريقة ذكر العام بعد الخاص، قد ورد ذكرها مرتين، الأولى: في قوله: (ولأئمة المسلمين)، والثانية في قوله: (وعامتهم)، فلو رجعنا إلى كتب اللغة، لوجدنا أن المرادبـــ(الأئمة): جمع إمام وهو: «كل من اقتدي به، وقدّم في الأمور،

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ص٤٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن إبراهيم البكري الصديقي المكي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م، ٣/ ٤٨٥.

(٣) فيض القدير، ٣/ ٢٧٣.

(٤) بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ص٢٥٧.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ٤٣.

والنبي ﷺ: إمام الأئمة، والخليفة إمام الرَّعية، والقرآن إمام المسلمين»[١].

فكان من الممكن أن يقتصر على قوله: (أئمة المسلمين)؛ لأنه لفظه يشمل القرآن والرسول ﷺ ولكنه خصَّ الأئمة بالذكر، وهذا من بلاغة هذه الطريقة؛ لأنها تذكر اللفظ مرتين، مرَّة ظاهرًا مستقلاً بلفظ خاص له، ومرَّة: مضمرًا مندرجًا تحت لفظ يفيد العموم، ولعلنا نتساءل: لِمَ أورد اللام في قوله: (لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين)، بينما امتنع عن ذكرها في قوله: (وعامتهم)؟ فالإجابة عن ذلك: أنه لو ذكر اللام؛ لشعر أن هناك انفصالاً ما بين قوله: (أئمة المسلمين) وقوله: (عامتهم).

ونحن نعلم أن (أئمة المسلمين) هم من جملة عامة المسلمين، فذكر قوله: (عامتهم)؛ لتعم النصيحة على جميع المسلمين، بعد تخصيص الأئمة بالذكر تشريفًا لهم ورفعًا لمنـــزلتهم وتعظيمهم عند رسول الله[٢].

وقد علق الدكتور غالب الشاويش على تكرار حرف (اللام) في قوله: (لله ولرسوله ولأئمة المسلمين) وعدم دخولها في لفظة (وعامتهم) بقوله: «إن دخول حرف (اللام) على هذه الأسماء، أفاد معنى الاختصاص والاستقلال، ويُفهم من هذا القول، أن لفظ الجلالة، له استقلالٌ واختصاصٌ بالنّصيحة، وكذلك الكتاب، والرسول ﷺ، وأئمة المسلمين، لهم استقلالٌ واختصاصٌ بالنّصيحة. وأمّا العوام، فلا استقلال ولا اختصاص لهم بالنّصيحة، حيث أرشد إلى ذلك عدم دخول حرف (اللام) عليهم، فهم تبع للأئمة، يأخذون منهم أحكامهم الشرعية، فيما ينفعهم بأمور دنياهم وآخرتهم»[٣].

٣- التكرار:

هو أسلوب تعبيري يصوِّر انفعال النفس بمثيرٍ ما، واللفظ المكرّر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنّما يكرِّر ما يثير اهتمامًا عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أنْ ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو منْ هم في حكم المخاطبين

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ١/ ٢٨.

(٢) أحاديث الأربعين النووية دراسة بلاغية في ضوء علمي المعاني والبيان، محمد عاصم نجم سيد حمّو النعيمي، إشراف: هناء محمود شهاب، كلية التربية –جامعة الموصل، ٢٠٠٦م، ص١١٨.

(٣) البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، ص١٣٧.

ممّن يصل القول إليهم على بعد الزمان والديار[١].

ويتوظف الفن الإطنابي في النص النبوي الشريف من خلال التحليل البلاغي؛ بغية استخلاص الأهداف البلاغية التي تتغاير بتغاير السياق اللغوي الذي لابد من مطابقته لمقتضى حال المخاطب[٢]، والتوكيد من أهم عوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات، وإقرارها في قلوبهم إقرارًا ينتهي إلى الإيمان بها، وقيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن ذلك، فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخًا تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة، وللتكرار تأثير في عقول المستنيرين، وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى، والسبب في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية، التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار، وانتهى بتصديق المكرر[٣].

ويأتي التكرار على قسمين: لفظي ومعنوي، قال ابن جني: «واعلم أنَّ العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين: أحدهما: تكرير الأوَّل بلفظه، نحو قولك: (قام زيد قام). والثاني تكرير الأوَّل بمعناه: وهو على ضربين: أحدهما: للإحاطة والعموم، والآخر: للتثبيت والتمكين...»[٤].

وأسلوب التكرار ورد كثيرًا في أحاديثه –عليه الصلاة والسلام– عن ثمامة بن عبد الله عن أنس عن النبي ﷺ: ((أنه كان إذا تكلم بكلمةٍ أعادها ثلاثًا؛ حتَّى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا))[٥].

---

(١) التكرير بين المثير والتأثير، الدكتور: عز الدين علي السيد، عالم الكتب، ط٢، بيروت –لبنان، ١٩٨٦م، ص١٣٦.

(٢) من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف، نعم هاشم الجمّاس، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٧، العدد ٣، ٢٠١٠م، ص١٩٢.

(٣) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١١٢.

(٤) الخصائص، ٣/ ١٠١-١٠٣.

(٥) صحيح البخاري بحاشية السندي، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفيّ، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، ١/ ٣١.

ومن صور التكرار في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[١].

بدأ الحديث بأسلوب الشرط، والذي من شأنه أن يُحدث تشويقًا واستشرافًا لدى السامع؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط تشوقت للجواب، حيث كرر عليه –الصلاة والسلام– الجملة الشرطية: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)، وقد أعاد ذلك «إيذانًا باستقلال جوابه في ترتبه على الشرط ترتب المسبب على السبب، (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر)، اليوم الآخر هو يوم القيامة؛ وقيل له ذلك لأنه لا يوم بعده، وذكر في الجمل الثلاث؛ لأنه حين المجازاة، فذِكرُه باعث على الإكثار من عمل البر، زاجر عن الكف عن ذلك، وكأن التارك لشيء من هذه الخصال غير مؤمن بما ذكر فيه»[٢]. وقال ابن حجر العَسْقَلانِيّ: «وخصه بالله واليوم الآخر إشارة إلى المبدأ والمعاد، أي من آمن بالله الذي خلقه وآمن بأنه سيجازيه بعمله فليفعل الخصال المذكورات»[٣]. ويلاحظ أن الأفعال الثلاثة (فليكرم– فليقل– فليسكت) أفعال مضارعة دخلت عليها لام الأمر، دلالة على وجوب المسارعة والاستمرار على تلك الخصال الثلاثة.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثا) الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور (أو قول الزور) وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت))[٤].

في هذا الحديث يخبر –عليه الصلاة والسلام– أصحابه بثلاث من كبائر الذنوب، وقد بدأ بسؤال غرضه التشويق وجذب انتباه السامعين، وعندما أتى –عليه الصلاة والسلام– إلى

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلاَّ خيرًا وكون ذلك كله من الإيمان، ص٤٠.

(٢) دليل الفالحين، ٣/ ١٥٩.

(٣) فتح الباري، ١٠/ ٥٤٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص٤٩.

الكبيرة الثالثة، وهي شهادة الزور كررها (ثلاثا)، بل مازال يكررها حتى قال الصحابة: ليته سكت، والتكرار هنا طريق من طرق الأداء يهدف النبي من ورائه إلى بيان تحريم قول الزور، «وهو في أصله تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من سمعه أو رآه أنه بخلاف ما هو به، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق»[١].

وفي مقاييس اللغة لابن فارس: «الزور: الزاي والواو والراء، أصل واحد، يدل على الميل والعدول، من ذلك الزور: الكذب؛ لأنه مائل عن طريق الحق»[٢]، «وما أخطر شهادة الزور على المجتمع! فبها تضيع الحقوق، ويظلم الناس، وتنتشر العداوة والبغضاء، ويظهر الفساد، وتضيع الأمانات... ولأجل ذلك كله اعتمد النبي على طريقين من طرق الأداء، الأول تغيير الجلسة؛ لأنه كان متكئًا فجلس، الثاني: التكرار، وهذان فيهما من التأكيد ما فِيهما»[٣]، وأيضًا اهتمامه ﷺ بشهادة الزور يحتمل أن يكون لأنها أسهل وقوعًا على الناس، والتهاون بها أكثر، ومفسدتها أيسر وقوعًا، لأن الشرك ينبو عنه المسلم، والعقوق ينبو عنه الطبع، وأما قول الزور فإن الحوامل عليه كثيرة فحسن الاهتمام به[٤].

وعن ابن بريدة أنَّ يحيى بن يعمر حدثه أنَّ أبا الأسود الديليَّ حدثه؛ أنَّ أبا ذرٍّ حدثه قال: أتيت النبي ﷺ... فقال: ((ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلاَّ دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق ثلاثا، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر، قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإنْ رغم أنف أبي ذرَّ))[٥].

في هذا الحديث يخبرنا عليه -الصلاة والسلام- بأنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، هذا الخبر أثار دهشة الصحابي واستغرابه (أبي ذر)، فبادره بالاستفهام الإنكاري (وإن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٣٦.

(٣) الخصائص البلاغية للبيان النبوي، محمد أبو العلاء الحمزاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٧م، ص٧٧.

(٤) فتح الباري، ١٠/ ٥٠٥.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار، ص٥٠-٥١.

زنى وإن سرق؟)، قال ابن مالك: لابد من تقدير أداة الاستفهام، والتقدير: أوإن زنى دخل الجنة؟ وقدر غيره: أيدخل الجنة وإن زنى؟، وحذف جواب الشرط مبالغة للعلم به وتتميما لمعنى الإنكار[١]، فأجابه النبي ﷺ بقوله: (وإن زنى وإن سرق) تأكيدًا لهذا الخبر، ثم أعادها ثلاثا، واختتم حديثه بقوله: (على رغم أنف أبي ذر) «وإنما قاله له ﷺ ذلك لاستبعاده العفو عن الزاني والسارق المنتهك للحرمة، واستعظامه ذلك، وتصور أبي ذر بصورة الكاره الممانع، وإن لم يكن ممانعًا وكان ذلك من أبي ذر لشدة نفرته من معصية الله تعالى وأهلها...»[٢].

وفي وفد بني عبد القيس عن قالدة أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدريِّ: ((... فقلت: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: في أسقية الأدم التي يلاث على أفواها، قالوا: يا رسول الله! إنَّ أرضنا كثيرة الجرذان، لا تبقى بها أسقية الأدم، قال: وإنْ أكلتها الجرذان، وإنْ أكلتها الجرذان، وإنْ أكلتها الجرذان))[٣].

«وفَد بنو عبد القيس إلى رسول الله ﷺ ليأخذوا منه تعاليم الدين الجديد، فأمرهم بـــأربع، ثم نهاهم أربعة أنواع من الأشربة (الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقيَّر)، وسمح لهم بالشرب من الأدم»[٤].

فذكروا لرسول الله ﷺ أن أرضهم كثيرة الجرذان قد تؤذي الأدم، «واعتذروا بذلك لعلمهم أن شريعة الإسلام مبنية على التخفيف، فظنوا أنهم قد يرخص لهم للضرورة، وكرر: (وإن أكلتها الجرذان) ثلاث مرات للتأكيد، وفطم نفوسهم عن الطمع في الرخصة، وجواب الشرط محذوف تقديره: فلا يباح الانتباذ في غيرها؛ ولم يرخص لهم ﷺ لأنه لا يعسر الاحتراز منها»[٥].

---

(١) فتح المنعم، ١/ ٣٠٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٧٤.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، ص٣٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ١/ ١٥٦.

(٥) فتح المنعم، ١/ ٦٦.

٤- التذييل:

هو تعقيب جملة بجملة أخرى مشتملة على معناها لتأكيد منطوق الأولى أو مفهومها، وجملة التذييل على نوعين: نوع لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق، وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله(١).

عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة: ((أنَّ رسول الله ﷺ مر على صُبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعهُ بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابتهُ السماءُ يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني))(٢).

في هذا الحديث يبين -عليه الصلاة والسلام- موقف الإسلام من الغش والتدليس في المعاملات بين المسلمين، إذ هو بالسوق مر على صاحب صبرة، والصبرة الكومة المجموعة من الطعام، سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض(٣).

ويوظف الضرب الإطنابي في الجملة المذيل لها الماثلة في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس) التي أومأ فيها نبي الخلق ﷺ إلى مخادعة البائع الناس واحتياله عليهم ببيعهم البر المغشوش، وهكذا يبلغ المسوغ البلاغي للمطلب من كلام النبوة الكامن في تحذير البائع الغاش وتوبيخه، وإنذاره ليرتدع ويمتنع عن الإقبال على البيع المحرم، ولينتهي عن التزييف في السلعة المباعة، وتعقب جملة التذييل الجملة المذيل لها لتؤكد مضمونها بعد أن اشتملت عليه، وتتمثل في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (من غش فليس مني)، الذي يعلن فيه نبي الأحكام والمعاملات -عليه الصلاة والسلام- براءته من الغاش والمقصود به (البائع) ومن كل غاش. ومن هذا المنطلق خرجت جملة التذييل النبوي مخرج المثل؛ لتكون عبرة لكل من تسول نفسه التحايل ومخالفة الشريعة الربانية(٤).

والفعل الماضي (غش) مختص أيضًا بالحاضر والمستقبل، ومعنى هذا أن مدلولها الزمني غير

---

(١) من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرف، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م، ٢/ ٢٤٢.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: من غشنا فليس منا، ص٥٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، مج١، ٢/ ٢٨٣.

(٤) من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف، ص١٩٨، ١٩٩.

مقصود، فهي مطلقة من المضي مخالفة لظاهر الوضع، وسر العدول عن التعبير بفعل الحاضر أو المستقبل التأكيد على حصول الجزاء المترتب على الفعل في مقام الترهيب أو الترغيب، تصويرًا له بصورة الواقع ليجتنب أو ليلتزم(١).

وبذلك يؤكد التعبير النبوي المذيل معاني التحذير والترهيب والتنفير من التجارة المخسرة، كي ينأى من تسول له نفسه بالغش عن الترذل بالبيع الكاسد، ولتقوية مضمون البراءة من المخادعين، فقد نفى نبي الله-عليه الصلاة والسلام- اعتناق الغاش الإسلام، ونفي ارتباطه بالشرع والشريعة إذا ما امتنع عن كبح شهواته ورغباته المحرمة، وتوعده -عليه الصلاة والسلام- بالمال المخسر لا المربح في دار الفناء والبقاء(٢).

وعن أبي رجاءٍ العُطَارِديّ، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات. ثم بين ذلك، فمن هم بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله ﷻ عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئةً واحدةً))(٣)، وفي رواية أخرى لهذا الحديث زاد: ((ومحاها الله، ولا يهلك على الله إلا هالك))(٤).

ولجملة التذييل النبوية وظيفة نفسية تبدي آثارها في نفس المتلقي، فبناها مدعمة بالحجة مقرونة بالبرهان وهي تحث المتلقي على الإفادة من سابق الأحداث والاعتبار بسالف التجارب، والتأمل بواقع الدلائل، وهذا ما يجعل النفس تواقة إلى الإفادة من فحواها على مرّ الأزمنة، ثم إنها تحمل النفس على العظة والاستجابة، وإنها مسوقة للسيطرة على النوازع الداخلية، وجعلها تستجيب لمرامي النبوة مع التأكيد على هذا التجاوب(٥).

وعن ابن عباس: أنَّ معاذًا قال: بعثني رسول الله ﷺ. قال: ((إنَّك تأتي قوما من أهل

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٣٥٢.

(٢) من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف، ص١٩٩.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، ص٦٠-٦١.

(٤) السابق، ص٦١.

(٥) من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف، ص١٩٨.

الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))[١].

فالجملة الأخيرة: (ليس بينها وبين الله حجاب) الجملة تذييل لتعليل اتقاء دعوة المظلوم، وليس المراد أن لله حجابا يحجبه عن شيء، ولكن المقصود أن دعوة المظلوم مقبولة مجابة، فالكلام على سبيل التمثيل بتشبيه هيئة دعاء المظلوم وعدم وجود صارف له، أو مانع من قبوله، بهيئة من يقصد دار السلطان متظلما فتفتح له الأبواب، ويرفع أمامه كل حاجب[٢].

٥- التتميم:

وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة كمفعول، أو حال، أو تمييز، أو جار ومجرور؛ لفائدة ونكتة تستدعي ذلك[٣].

من مواضع ذلك في كتاب الإيمان، عن أبي عبيدة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور))[٤].

قال الطيبي: «((ولا ينبغي له أن ينام) جملة معترضة واردة على التتميم صونًا للكلام عن المكروه؛ فإن قوله: (لا ينام) لا ينفي جواز النوم، كما قال الأشرف، فعقب به لدفع ذلك التجوز، ومعنى: (لا ينبغي) لا يصح، ولا يستقم النوم؛ لأنه مناف لحال رب العالمين»[٥].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ص٣٣.

(٢) فتح المنعم، ١/ ٧٢.

(٣) البلاغة (علم المعاني)، ص٢١٣.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ص٧٧.

(٥) شرح الطيبي، ١/ ٢٣٩-٢٤٠.

لمبحث الثاني: الفصل والوصل:

الفصل والوصل عند البلاغيين:

هذا الباب أي الفصل والوصل من أدق أبواب علم البلاغة لا يوافق فيه إلى الصواب إلا من وهب حدة ذكاء، وحسن ذوق وإلا من كان ذا بصيرة بمداخل الكلام ومناحي القول، وهو فن رفيع من فنون البلاغة عظيم الخطر، دقيق المسلك يحتاج إلى طبع سليم وفهم صحيح؛ ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل، وذلك للتنبيه على كمال العناية به لأهميته في بلاغة الكلام، وللدلالة على أن أحدا لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنون البلاغة، وإليك بعض الآراء في الفصل والوصل[١].

روى أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين بعض الآراء في الفصل والوصل:

- قيل للفارسي: ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل.
- والمأمون يرى أن البليغ يجب أن يكون بصيرا بمقاطع الكلام، ومواضع وصوله وفصوله، فإن علم البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام.
- ويرى أبو العباس السفاح: أن من حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل[٢].
- ويجعل أبو هلال العسكري مواضع للوصل ومواضع للفصل. فيوجب الوصل إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض، وذلك كما يقول الاصطلاح الحديث للبلاغيين، عند اشتراك الجملتين في الحكم الإعرابي، واتفاقهما خبرا وإنشاء وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل ويوجب الفصل بين كل معنى منقض، وعند الخروج من معنى إلى آخر ومثل ذلك إذا مدحت رجلا وهجوت آخر، وعند استئناف القول وهو ما يعرف بكمال الانقطاع، وعند استكمال القول آلته واستتمام معناه[٣].

وقال عنه عبد القاهر الجُرْجَاني: «من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنًّا من المعرفة في ذوق الكلام، هم بها أفراد»، وقال: «وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة، فقد جاء عن

---

(١) انظر: البلاغة (علم المعاني)، أحمد النادي شعلة، ص١٤٨.

(٢) الصناعتين، ص٤٠٦.

(٣) السابق، ص٤٠٨.

بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل؛ ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة»[١].

كما بيّن-أيضًا- دقة هذا المبحث، وصعوبته على سائر علوم البلاغة في قوله: «واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه أنه خفي وغامض، ودقيق وصعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى، وأدق وأصعب»[٢].

وعند علماء البلاغة المحدثين قال عنه المراغي: «العلم بمواضع العطف أو الاستئناف، والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها»[٣].

ومن هذا التعريف يتضح الهدف من هذا الموضوع، والغاية التي يسعى إليها، وقد أشار الدكتور محمد أبو موسى إلى هذا الهدف قائلاً: «يستهدف المبحث في هذا الباب المناسبات بين المعاني، وتحديد صلات بعضها ببعض، وكيف ساغ أن تلتقي هذه بتلك؟ ولم عُطفتْ؟ ولم فُصلت؟ وما نوع الصلات؟ وما درجتها؟ إلى آخر هذا المبحث الذي يتدبر أعطاف الجملة والجمل؛ ليرى ما بينها وما بين أعطاف جيرانها من علاقات»[٤].

الفصل:

من مواضع الفصل في كتاب الإيمان:

١- كمال الاتصال:

بأن تكون الجملة الثانية متصلة بالجملة الأولى اتصالاً كاملاً، وذلك حين تكون الجملة الثانية توكيدًا للأولى، أو بدلاً منها، أو عطف بيان لها، فلشدة ما بينهما من اتصال تُرك العاطف بينهما، إشارة إلى ما بين الجملتين من الارتباط، ومن هنا سُمي هذا الضرب: كمال الاتصال[٥].

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٢٢٢.

(٢) السابق، ص٢٢٢.

(٣) علوم البلاغة، ص١٣٨.

(٤) دلالات التراكيب، ص٢٦٧.

(٥) انظر: دلائل الإعجاز، ص٢٢٥، شروح التخليص: ٣/ ٦، دلالات التراكيب: ص٢٦٨.

عن قيس يروي عن أبي مسعود، قال: ((أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن، فقال: ألا إنَّ الإيمان ها هنا. وإنَّ القسوة وغلظ القلوب في الفدادين، عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان. في ربيعة ومضر))[١].

في هذا الحديث نجد أنه قد تم الفصل بين الجمل التالية: (وإنَّ القسوة وغلظ القلوب في الفدادين. عند أصول أذناب الإبل. حيث يطلع قرنا الشيطان. في ربيعة ومضر)، ففي الجملتين: (عند أصول أذناب الإبل. حيث يطلع قرنا الشيطان) توضيح وبيان (للفدادين) وهو جمع فداد أي شديد الصوت، والمعنى: أن القسوة وغلظ القلوب في المكثرين من الإبل، الذين تعلو أصواتهم خلفها عند سوقهم لها[٢].

ثم وضح وبين مكان هؤلاء المتحدث عنهم وعبر عنه بالكناية في قوله: (حيث يطلع قرنا الشيطان)، وهي كناية عن المشرق؛ لأن أهل المشرق كانوا يعبدون الشمس، وعبادة الشمس من الشيطان[٣]، وفي الجملة الأخيرة صرح بهؤلاء المتحدث عنهم: (في ربيعة ومضر)، وهي بدل: (للفدادين)، والغرض من هذا التدرج في الإفصاح عن المتحدث عنهم هو التشويق، وترسيخ المعاني، وجذب الانتباه، وهو الغالب في أسلوبه عليه –الصلاة والسلام–.

وعن أبي يونس عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: ((والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصرانيٌّ ثم يموت و لم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)).

بدأ الحديث بأسلوب القسم الذي من شأنه أن يحدث تشويقًا ورهبة لدى السامع من أمر هذا المقسم عليه، «وطبيعة تكوين هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف»[٤]، وفي قوله: (لا يسمع بي) التفت من الغيبة إلى التكلم؛ «تنـــزلا من مقام الجمع إلى مقام التفرقة والاشتغال بدعوة الخلق، ومن مخدع الكمال إلى منصة التكميل»[٥]، وفي

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ص٤١.

(٢) فتح المنعم، ١/ ١٩٧.

(٣) السابق، ص١٩٧.

(٤) كنوز رياض الصالحين، ٦/ ٢٤٨.

(٥) شرح الطيبي، ١/ ١٢٣.

قوله: (يموت) أي استمراره على دينه حتى حين وفاته على الرغم من أنه قد سمع بالدين الإسلامي، ونجد الفصل قد حدث بين الجملتين: (أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني)؛ وذلك لأن (يهودي) إما بيان، أو بدل من (أحد)[١].

ويكثر في جملة الحديث النبوي عطف البيان والبدل، حيث تكون الجملة الثانية بيانًا للأولى أو بدلاً منها، والغرض من ذلك كما أشرت مسبقًا هو جذب الانتباه والتشويق، ومن شواهد ذلك أيضًا عن عبد الله بن عمر، عن أبيه؛ قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: ((بني الإسلام على خمس: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان))[٢].

«بدأ الحديث بأسلوب خبري، وقد بنى الفعل للمجهول في قوله: (بني) وحذف الفاعل هنا لتعينه ووضوحه، وفي قوله: (بني الإسلام) استعارة تمثيلية، حيث شبه ثبات الإسلام واستقامته على هذه الأركان الخمسة ببناء الخباء على الأعمدة الخمسة[٣]، وفُصل بين الجملتين: (بني الإسلام على خمس)، والجملة التالية لها: (شهادة أن لا إله إلا الله...)؛ لكون الثانية بدلاً من الأولى، قال العيني: (شهادة) مجرور لأنه بدل من قوله: خمس، بدل الكل من الكل»[٤].

وعن أبي صالح عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب، والنياحة على الميت))[٥].

في هذا الحديث يتضح الفصل بين الجملتين: (اثنتان في الناس هما بهم كفر)؛ لأن الجملة (هما بهم) في معنى التأكيد للجملة الأولى[٦]، وكذلك يتضح أن الجملة التالية: (الطعن في النسب) بيان لـــ(اثنتان)، حيث أتت الجملتان: (الطعن في النسب، والنياحة على الميت) بيانًا

---

(١) شرح الطيبي، ١/ ١٢٤.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، ص٣١.

(٣) انظر: شرح الطيبي، كتاب الإيمان، ١/ ١١٢.

(٤) عمدة القاري، ١/ ١٦٦.

(٥) السابق، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، ص٤٦.

(٦) فتح المنعم، ١/ ٢٣٨.

لتلك الاثنتين اللتين يكون بهما كفر، والله تعالى أعلم.

وعن قتادة أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: لأشج عبد القيس: ((إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة))[١].

بدأ الحديث بأسلوب خبري مؤكد بـــ(إنَّ)، وقدم الجار والمجرور (فيك)، لإفادة الاختصاص، أي اختصاصك بتلك الخصلتين، (خصلتين) أسلوب توشيع، أو الإيضاح بعد الإبهام، وكثيرًا ما يرد ذلك في أسلوبه -عليه الصلاة والسلام-؛ لأنه يحدث اليقظة والاستشراف لدى السامع لمعرفة بقية الخبر، وأضاف: (يحبهما الله) زيادة في التشويق، فالكل يطمح لرضا الله والفوز به.

والفصل بين الجملتين: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)؛ لكون الثانية عطف بيان لكلمة (خصلتين)، حيث شرح ووضح في الجملة الثانية المقصود بالخصلتين، أو قد تكون الجملة الثانية بدلاً من كلمة (خصلتين).

وعن خرشة بن الحر، عن أبي ذرٍّ، عن النبي ﷺ قال: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئا إلا منَّة، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره))[٢].

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع (ثلاثة) تشويقًا واستشرافا، حتى إذا فصل المعنى بعد ذلك يكون أبلغ في النفس وأرسخ في الذهن، وأضاف الظرف (يوم القيامة) زيادة في الترهيب، فيوم القيامة الكل ينتظر عطف الله ورحمته، ثم فصل بعد ذلك، وفي قوله: (منان) صيغة مبالغة، دلالة على حدوث ذلك منه واستمراره عليه، وفي قوله: (المسبل إزاره) كناية صفة الكبر والغرور والتعالي على الناس.

وفُصل بين الجملتين: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة) والجملة الثانية: (المنان الذي لا يعطي...)؛ لكون الثانية بدلاً من كلمة (ثلاثة)، أو عطف بيان لها.

وعن أبي قلابة، عن أنس؛ عن النبي ﷺ قال: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺوشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يبلغه، ص٣٣.

(٢) السابق، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنِّ بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، ص٥٤.

كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار))[١].

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع في قوله: (ثلاث)، والملاحظ في أحاديثه -عليه الصلاة والسلام- أنه يغلب عليها الأساليب التالية: (التوشيع، أسلوب الشرط، الإيضاح بعد الإبهام، الاستفهام بغرض التشويق)؛ لما لتلك الأساليب من القدرة على جذب أسماع الصحابة؛ حتى إذا فصل ووضح بعد ذلك يكون أبلغ في النفس وأرسخ في الذهن، كذلك يستخدم رسول الله ﷺ التشبيه والاستعارة، لتقريب المعنى، يقول الطيبي: «وحلاوة الإيمان استعارة، شبهت شدة رغبة المؤمنين في إيمانهم بشيء ذي حلاوة، وأثبت له لازم ذلك الشيء»[٢].

وقد فصل بين جملة: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) و(من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ...)؛ لأنها بدل أو عطف بيان لكلمة (ثلاث).

٢- شبه كمال الاتصال:

ويظهر من تسميته أنه ليس كالأول، فالاتصال بين الجمل في الضرب الأول اتصال كامل، أما هنا فليست الجملة الثانية عين الأولى، وإنما أبانت عن معنى أثارته الأولى، وهذه هي اللحمة التي بين الجملتين[٣]، قال الخطيب: «وأما كونها بمنـــزلة المتصلة بها فلكونها جوابًا عن سؤال اقتضته الأولى، فتنـــزل منـــزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال»[٤].

من شواهد ذلك في كتاب الإيمان، عن أبي عبيدة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل

(١) السابق، باب بيان خصال، من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ص٣٩.

(٢) شرح الطيبي ١/ ١٢٠.

(٣) دلالات التراكيب، ص٣٠٥.

(٤) الإيضاح، ص١٠٣.

عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور))[١].

بدأ الحديث عن الله ﷻ بأسلوب خبري مؤكد: (إن الله)، ثم أتى بالجملة الاعتراضية – ولا ينبغي له أن ينام– أريد بها تتميم المعنى، يقول الطيبي: «(ولا ينبغي له أن ينام) جملة معترضة واردة على التتميم صونًا للكلام عن المكروه»[٢]، وفي قوله: (يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليلة) أتى بالأفعال المضارعة للدلالة على سرعة عروج الأعمال إلى الله تعالى، واستمرار ذلك، كما أتى بالمقابلة: (عمل الليل – عمل النهار)، لتؤكد سرعة واستمرار عرض الأعمال على الله تعالى.

كذلك نجد أنه –عليه الصلاة والسلام– قد فصل الجملة الأخيرة: (حجابه النور) عن الجملة السابقة لها، قال الطيبي: «وهذا استئناف جواب عمن قال: لم لا نشاهد الله؟ فقال هو محتجب بنور عزته، وأشعة عظمته، وذلك الحجاب هو الذي تدهش دونه العقول، وتذهب الأبصار، وتتحير البصائر، فحجابه خلاف الحجب المعهودة فكيف يشاهد؟ (لو كشفه) بتذكير الضمير، هذه الرواية وفي بعض النسخ كشفها هو تحريف من النساخ، استئناف جواب لمن قال: لم لا يكشف الحجب»[٣].

وعن علقمة عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًة، قال: إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس))[٤].

يتحدث الرسول ﷺ في هذا الحديث عن الكبر وعقوبته، وهي الحرمان من دخول الجنة، وقد بدأ بأسلوب النفي، ترهيبا وتشويقا للسامع إلى هذا الأمر الخطير الذي يترتب عليه الحرمان من الجنة.

وقد تم الفصل بين الجملتين: (إنَّ الله جميل يحب الجمال)، والجملة التالية لها: الكبر بطر

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ص٧٧.

(٢) شرح الطيبي، ١/ ٢٣٩.

(٣) شرح الطيبي، ١/ ٢٣٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص٥٠.

الحق، وغمط الناس؛ لأن الثانية وقعت إجابة عن سؤال مقدر نتج عن الأولى، فكأنه لما سمع قول الرسول ﷺ: (إنَّ الله جميل يحب الجمال) سأل: فما الكبر إذن؟ فجاء قوله -عليه الصلاة والسلام-: (الكبر بطر الحق، وغمط الناس)، وهذا النوع من الفصل يعطي النص حيوية، ويوثق الصلة بين المتكلم والمخاطب، ويشعر بالتواصل بينهما(١).

وعن مسروق عن عائشة قالت: قلت: ((يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين))(٢).

في هذا الحديث نجد أنه قد تم الفصل بين الجملتين: (لا ينفعه) والجملة التالية لها: (إنه لم يقل يوما...)؛ لأن الجملة الثانية كأنها جواب لسؤال مقدر يفهم من الجملة الأولى، وهو لماذا لا تنفعه تلك الأعمال الخيرة التي يقوم بها، فكان الجواب: (إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

وقد ذكر د. صباح دراز السرَّ في توافر هذا الأسلوب، وكثرة وروده في الأساليب البليغة، فقال: «الجملة الأولى دائمًا تكون مكتنـــزة فيها بعض من الظلال والغموض الخفيف، إنها ليست واضحة جدًّا بحيث يمكن الوقوف عليها، والسكوت عنها، بل تفيض فيضًا من الاستفسارات والاستفهامات، تثار حتمًا في نفس المتلقي، تجذبه وتشركه في الصياغة، ويكتفي الأسلوب بما تثيره فلا يظهره مصرَّحًا به، بل يظل مكنونًا في الأسلوب والضمير في منطقة الظل، ثم تأتي الجملة الثانية تجيب عن السؤال، وتطفئ أشواق النفس، إذ تروي ظمأها، وتشبع هذا التطلع العاطفي للمجهول، فيـــتأكد المعنى من الناحية العقلية، وتحقق المتعة النفسية، وإشباع حاسة الفن والجمال»(٣).

٣- كمال الانقطاع:

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام وانقطاع كامل، ويرجع ذلك إلى اختلافهما إنشاء

---

(١) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ص١٥٨.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ من مات على الكفر لا ينفعه عمل، ص٩١.

(٣) أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١١٥.

وخبرًا، لفظًا ومعنى، أو معنى فقط، أو إلى فقدان المناسبة بينهما[١].

ويلاحظ أن هذا النوع من الفصل شائع في الجملة الحديثية، فكثيرًا ما تأتي الجملة الإنشائية أولاً ثم تعقبها جملة خبرية، أو يبدأ الحديث في جملة خبرية يعقبه أسلوب إنشائي من (أمر، واستفهام، ونهي، ونداء...).

عن العلا عن أبيه، عن أبي هريرة؛ ((أنَّ رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشَّ فليس مني))[٢].

يتناول الحديث الشريف أسلوب المعاملات المادية بين أفراد المجتمع المسلم، في قوله: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟) استفهام غرضه الإنكار على صاحب الطعام على ما قام به من غش وتدليس على المسلمين في البضاعة الفاسدة.

وقد فُصل بين الجملتين الأخيرتين لكون الأولى: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟) جملة إنشائية فيها استفهام إنكاري، بينما الجملة الثانية: (من غشَّ فليس مني) جملة خبرية ابتدائية.

وعن موسى بن طلحة قال: حدثني أبو أيوب؛ ((أنَّ أعرابيًّا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو زمامها، ثم قال: يا رسول الله أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار، قال: فكف النبي ﷺ، ثم نظر في أصحابه ثم قال: لقد وفق أو لقد هُدي، قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد. فقال النبي ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة))[٣].

يصور لنا هذا الحديث الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ والأعرابي، فهذا الرجل حريص على معرفة الأشياء التي تقربه للجنة، وتبعده من النار، حيث إنه قد تم الفصل بين الجملتين الأخيرتين (وتصل الرحم، دعِ الناقة)؛ لفقدان المناسبة بينهما.

---

(١) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، ص٤٥٦.

(٢) صحيح مسلم كتاب باب قول النبيﷺ: من غشنا فليس منا، ص٥٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، ص٣٠.

الوصل:

من مواضع الوصل المشهورة: التوسط بين الكمالين والمراد بالكمالين: كمال الاتصال وكمال الانقطاع، وقد عرفوه بقولهم: أن تتفق الجملتان خبرا أو إنشاءً، أو لفظًا ومعنى، أو معنى فقط(١).

وحروف العطف عشرة: الواو، والفاء، وثم، وأو، ولا، وبل، ولكن، وحتى وأما، وأمّا، وأمْ. وفي الأربعة الأخيرة خلاف، وكذلك في الزيادة عليها(٢).

وسأتناول في هذا المبحث الحروف التالية: (الواو، والفاء، وثم، وأو) مستثنية بذلك أدوات القصر (لا، بل، لكن)؛ لأنه سبق الحديث عنها في مبحث القصر في الفصل الثالث من هذا البحث.

ولكل من هذه الحروف معنى يختص به، ويكون جمال البلاغة في وضع كل حرف في المقام الذي يناسبه، قال عنه عبد القاهر الجُرْجَاني: «وينظر في الجمل التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف -فيما حقه الوصل- موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم، وموضع أو، وموضع لكن من موضع بل»(٣).

وقد وردت حروف الوصل في الحديث النبوي متلائمة مع سياق الحديث وبنائه.

١- الوصل بـــ(أو):

الأصل في دلالة (أو) أن تفيد التسوية بين الشيئين أو الأشياء، قال سبيويه: في العطف بـــ(أو) وفي قولك: مررت برجل أو امرأة: فـــ(أو) أشركت بينهما في الجر، وأثبتت المرور لأحدهما دون الآخر، وسوت بينهما في الدعوى(٤).

وقد تأتي (أو) في معانٍ يقتضيها مقام الكلام، كالتخيير والإباحة، والشك والإبهام،

---

(١) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح، ص٤٧٦.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، المصري، المكتبة العصرية-صيدا بيروت، ١٩٩٦م، ٣/ ٣١٥.

(٣) دلائل الإعجاز، ص٨٢-٩٠.

(٤) كتاب سيبويه، ١/ ٤٣٨.

والتقسيم، لكنها لا تخرج مع هذه المعاني عن دلالتها الأصلية في التسوية[١].

عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت))[٢].

بدأ الحديث بأسلوب الشرط، ثم كرر جملة الشرط في كل تلك الخصال «لاستقلال كل خصلة من الخصال المذكورة في التأثير على إيمان العبد، وتقييد الفعل المكرر: (يؤمن) بالجار والمجرور: (بالله) وعطف اليوم الآخر إلى الجزاء المقابل للفعل الحسن بالحسنى، والفعل السيئ بالسوء، مما يدفع بالعبد بالحسنى، ويعلى من قيمة هذه الخصال الطيبة»[٣].

فليقل خيرًا أو ليسكت حيث استخدمت الأداة (أو) للوصل بين (خيرًا وليسكت) وفي رأيي أنه قصد بـــ(أو) هنا التخيير، إما أن يتكلم بكلام حسن مباح، أو ليصمت مخافة أن يجره الحديث إلى أمور محرمة، كالنميمة والغيبة وغيرها، قال الإمام الشافعي: «إذا أراد أن يتكلم فليفكر، فإن ظهر له أنه لا ضرر تكلم، وإن ظهر له فيه ضرر أو شك فيه أمسك»[٤].

وعن مسروق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس منَّا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية))[٥].

في هذا الحديث ينهى النبي ﷺ عن طقوس وعادات كانت تقام في الجاهلية؛ لإظهار مشاعر الحزن على الميت، وهي ضرب الخدود وشق الجيوب، والمراد بشقها: إكمال فتحتها إلى الآخر، أو زيادتها على وجه الهلع والتسخط[٦]. وقد بدأ الحديث بالنفي.

وقد استخدم –عليه الصلاة والسلام– أداة العطف (أو) بين شق الجيوب وضرب الخدود؛ لتساوي بين الفعلين، فالنائحة على الميت في الجاهلية تقوم بلطم الخدود، أو تشق

---

(١) مغني اللبيب، ١/ ٧٤-٧٦.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصَّمت، إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، ص٤٠.

(٣) كنوز رياض الصالحين، ٣/ ٤٦٢.

(٤) فتح المنعم، ١/ ١٧٩.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية، ص ٥٣.

(٦) فتح المنعم، ١/ ٣٣٤.

الجيب، وقد تقوم بالفعلين معًا.

٢-الوصل بـــ(ثُمَّ):

ثم حرفُ عطفٍ يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والـــمُهْلة، وفي كل منها خلاف[١].

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن سفيان بن عبد الله الثقفي؛ قال: قلت: ((يا رسول الله:! قلي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحدًا بعدك (وفي حديث أبي أسامة: غيرك) قال: قل آمنت بالله ثم استقم))[٢].

(ثم) في هذا الحديث تدل على التراخي والثبات، فأول ما يطلب من العبد حين دخوله الإسلام نطق الشهادة، والإيمان بالله ﷻ إلهاً فردًا ليس له شريك، ثم يتبع ذلك الإيمانَ القيام والمداومة بالتكاليف المتوجبة على المسلم القيام بها، من (صلاة، وصيام، وزكاة...والابتعاد عن المحظورات من زنا وسرقة)...إلى غيرها.

قال الطيبي في شرحه: «(ثم استقم) فيسلم على هذا معنى الاستقامة للثبات، والاستدامة على القول ومقتضياته... وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[٣]، أي وحدوا الله تعالى وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا على توحيدهم، والتزموا طاعته ﷻ إلى أن يتوفوا على ذلك»[٤].

والعطف بـــ(ثم) «يعطي دلالة التأني واليقين، والتأمل...فالاستقامة أفق سلوكي تتضوّأ في أفلاكه كل مدارك الحياة؛ وسلامةُ المعتقدِ مع صدق اللسان، مع صلاح العمل يحتاج إلى مجاهدة ومكابدة»[٥].

ومثل ذلك حديثُ أنَّ أبا الأسود الديليَّ حدثه، أبو ذرٍّ، قال: ((أتيتُ النبي ﷺ وهو نائم، عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه، فقال: ما

---

(١) مغني اللبيب، ١/ ١٣٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ص٣٩.

(٣) فصِّلَت: ٣٠.

(٤) شرح الطيبي، ١/ ١٣٤.

(٥) كنوز رياض الصالحين، ١٨/ ١٠٩.

من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة))[١].

في عبارة وجيزة شملت على القصر بالنفي والاستثناء يخبرنا فيها رسول الله ﷺ ببشارة عظيمة، فمن كان موحدًا بالله سيدخل الجنة حتمًا، وفي قوله: (مات) دلالة على ثبات العبد على القول بالشهادة حين وفاته، وفي قوله: (ذلك) أشار إلى الإيمان بالله بإشارة البعيد (ذلك) تعظيمًا للنطق بها وعلى ما سيترتب عليها، واستخدم حرف العطف (ثم) للعطف بين الجملتين، وتأتي دلالة (ثم) هنا على الثبات على الإيمان حتى يلقى الله، قال الطيبي في شرحه: «(ثم مات على ذلك إشارة إلى الثبات على الإيمان حتى يموت؛ احترازًا عمن ارتد ومات عليه، فحينئذ لا ينفع إيمانه السابق»[٢].

وأيضًا مثله حديث أبي يونس عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: ((والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النَّار))[٣].

(ثم) في هذا الحديث تدل على عدة معانٍ:

١- الثبات: (ثم يموت) أي يموت وهو ثابت على كفره، ولم يؤمن بما أرسلت به.

٢- التراخي: قال الطيبي: «ثم موضوع للتراخي، دال على أن الإيمان بما أرسل به نبينا محمد (عليه الصلاة والسلام) مهما صدر من الكافر وحصل منه فإنه ينفعه، ويمحى عنه ما سلف في كفره، وإن تراخي ذلك الإيمان عن أول سماعه لمبعثه، وتقدير الاستثناء: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ثم لم يؤمن بالذي أرسلت فيكون له حال من الأحوال إلا كان من أصحاب النار»[٤].

٣- الاستبعاد: قال الطيبي: «كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار، ص٥٠-٥١.

(٢) شرح الطيبي، ١/ ١٥٧.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ص٦٦.

(٤) شرح الطيبي، ١/ ١٢٥.

عَنْهَا﴾[١]، يعني ليس أحد أظلم ممن بينت له آيات الله الظاهرة والباطنة، ودلائله القاهرة، فعرفها ثم أنكرها، أي بعيد ذلك عن العاقل، كما نقول: وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها»[٢].

ومن معاني (ثم) الترتيب ومن شواهد ذلك:

عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله، قال: ((سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، قال: قلت له: إنَّ ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال: ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال: ثم أن تزاني حليلة جارك))[٣].

بدأ الحوار في هذا الحديث بأسلوب الاستفهام (أيّ) وهو على حقيقته، ثم أضاف (الذنب أعظم) تشويقًا وترهيبا له، وذلك بوصفه على وزن أفعل التفضيل (أعظم) فالذنوب كثيرة منها الكبيرة والصغيرة، وسؤاله هنا عن أعظم تلك الذنوب.

أي إن من الذنوب ما يكون فعله عظيما، فذكر له عليه -الصلاة والسلام- ثلاثة أمور عظيمة وهي الإشراك بالله، ثم تليه بالرتبة قتل النفس، وأشدها قتل الابن من قبل والديه مخافة الفقر، وقد كانت تلك العادة منتشرة في الجاهلية، ثم جريمة الزنا وأشد جُرم وإثم حينما يكون الزنا في نساء جاره.

قال الطيبي: «فإن قلت: ما معنى (ثم)؟ فإن تراخي الزمان لا يتصور فيه، وكذا التراخي في المرتبة لوجوب كون المعطوف بها أعلى رتبة من المعطوف عليه، وها هنا بالعكس. قلت: معناه التراخي في الإخبار، كأنه قال: أخبرني عن أوجب ما يهمني السؤال عنه من الذنوب، ثم الأوجب فالأوجب»[٤].

---

(١) الكهف: ٥٧.

(٢) السابق، ص١٢٥.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ص٤٨.

(٤) شرح الطيبي، ١/ ١٨٥.

٣- الوصل بـــ(الفاء):

«تأتي للعطف وتكون على ثلاثة أوجه: الترتيب، التعقيب، السببية»[١].

عن ابن عباس: أنَّ معاذًا قال: بعثني رسول الله ﷺ. قال: ((إنَّك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))[٢].

بعث الرسول ﷺ معاذًا لأرض اليمن، لينشر الدين الجديد بينهم، وقد زوده ﷺ بوصية تحدد له الخطوات الواجب اتباعها في مهمته السامية الصعبة، فأمره أولا بأن يدعوهم للإسلام والإيمان بالله إلهًا واحدًا لا شريك له، وأن يؤمنوا بأن محمدًا رسول مرسل من الله، وقد عطف بين الجمل بـــ(الفاء)، وهي هنا بمثابة حرف العطف (ثم) حيث تفيد الفاء هنا شيئًا من التراخي؛ لأنه سيدعوهم إلى دين جديد وهو في ديارهم أيضًا، فلابد أن يتريث قليلاً في إخبارهم بواجبات الدين الجديد، فأولاً عليه أن يدعوهم لنطق الشهادة إيذانًا لهم بدخول الدين الجديد، فبعد أن يؤمنوا ويستقر الإيمان في قلوبهم ويثبت فيه، ويتهيؤوا بعد ذلك لتلقي تعاليم الدين الجديد من واجبات عليهم القيام بها من صلاة وصدقة.

«والطباق بين (الأغنياء والفقراء) يوضح العلاقة التبادلية التي أوجدها الإسلام بتعاليمه بين طبقات المجتمع لتحقق التكافل بين الناس والمحبة، وقوله: (فإياك وكرائم أموالهم) أسلوب تحذير يقوم على الإيجاز الخاطف الذي يقذف الخوف من المحذر منه في نفس السامع، وكرائم الأموال كناية عن أفضل الأموال لديهم»[٣].

وفي قوله: (واتق دعوة المظلوم) قال ابن حجر: «فيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم، والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ الكرائم الإشارة إلى أن أخذها ظلم، وقال بعضهم: عطف (واتق) على عامل إياك المحذوف وجوبًا، فالتقدير اتق نفسك أن تتعرض

---

(١) مغنى اللبيب، ١/ ١٨٣-١٨٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ص٣٣.

(٣) كنوز رياض الصالحين، ١٣/ ٤٣٦.

للكرائم. وأشار بالعطف إلى أن أخذ الكرائم ظلمًا، ولكنه عمم إشارة إلى التحرز مطلقًا»[١].

وفي قوله: (ليس بينها وبين الله حجاب) أتت كلمة حجاب نكرة، «فالمقام هنا مقام تحذير من الظلم، لأن المخاطب سيكون واليًا، وهذا مقام لا يسلم أمثاله فيه من الظلم؛ ولذا حذره النبي ﷺ منه غاية التحذير بأساليب عدة، ومن ذلك تنكير (حجاب)، أي مانع حقير فكيف بالعظيم؟!»[٢].

ومن معاني (الفاء) السببية، عن سعيد بن المسيب أنَّ أبا هريرة أخبره أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أُمِرْت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله))[٣].

بدأ الحديث بالفعل المبني للمجهول (أمرت)، لأن الفاعل معلوم؛ إذ لا يأمر رسول الله ﷺ سوى الله ﷻ، كذلك فيها توكيد بأن تلك الأوامر سماوية من عند الله، وفي قوله: (حتى يشهدوا) يوضح الغاية من قتل الناس، فليس قتالهم لأمر دنيوي، لكن من أجل نشر الإسلام، فالنطق بالشهادة سبب لعصمة أنفسهم وأموالهم، وفي قوله: (فمن قال: لا إله إلا الله...) يتضح فيه أنهم حينما ينطقون بالشهادة فإنها تكون سببًا لوقف قتالهم، وعصمة دمائهم، وأموالهم.

ومن ذلك حديث سعد بن أبي وقاص عن الرسول ﷺ قال: ((من ادَّعى أبًا في الإسلام غير أبيه، يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام))[٤].

في هذا الحديث يحذر –عليه الصلاة والسلام– الانتساب لغير الأب الشرعي، ولقد كانت عادة التبني موجودة في الجاهلية، فلا ينسب الولد إلى أبيه الحقيقي، وإنما ينسب إلى

---

(١) فتح الباري، ٣/ ٤٥٣.

(٢) رعاية حال المخاطب، ص٣١٠.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، ص٣٤.

(٤) السابق، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، ص٤٥.

الذي تبناه، وابتدأ الحديث بالجملة الشرطية (من ادَّعى أبًا في الإسلام غير أبيه)، استشرافًا للسامع إلى تتبع بقية الخبر، وفصل بينها وبين الجملة التالية لها (يعلم أنه غير أبيه) (احتراس)؛ ليخرج من ذلك الحكم من كان جاهلاً بنسب أبيه، لأن الجاهل بذلك لا يشمله ذلك التحذير والعقاب، وبما أن تلك العادة منتشرة في الجاهلية فقد يكون هناك من ينتسب لغير أبيه دون علم منه، لذلك أتى -عليه الصلاة والسلام- بالجملة توضيحًا وبيانًا لمن هم المقصدون بالخطاب، ثم أتى بجواب الشرط: (فالجنة عليه حرام)، فالادعاء لغير الأب الحقيقي يكون سببًا لتحريم الجنة عليه، والله تعالى أعلم.

ومن معاني (الفاء) أنها قد تأتي للتلطف والإيناس، من ذلك رواية الطفيل بن عمرو حينما قص على الرسول -عليه الصلاة والسلام- رؤياه لصاحبه الذي قتل نفسه فقال له -عليه الصلاة والسلام-: (اللهم وليديه فاغفر). عطف بين الجملتين بحرف (الفاء) مع إمكانية ترك العطف بقوله: (اللهم وليديه اغفر)، مواساة للطفيل وإيناسًا، له، والله تعالى أعلم.

٤- الوصل بـــ(الواو):

تفيد (الواو) مطلق الجمع والتشريك، وهي تشترك مع حرفي العطف (ثم) و(الفاء) في الجمع، إلا أنها تفيده بإطلاق؛ من غير تقييده بزمان، أو بسبق أحد المعطوفين على الآخر، أما (ثم) فمقيدة بالتراخي، وأما (الفاء) فمقيده بالتعقيب، وهما بذلك يفيدان الترتيب، وليس ذلك أصلي في (الواو) للدلالة على أحد الشيئين أو الأشياء كما في (أو)[١].

والملاحظ أن الوصل بـــ(الواو) الأكثر شيوعًا في الحديث النبوي.

عن عمرو بن ميمون عن معاذ بن جبل؛ قال: كنت ردف رسول الله ﷺ... فقال: ((يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟))[٢].

بدأ الحديث بأسلوب النداء مع الاستفهام، ويكثر هذا النوع في أحاديثه -عليه الصلاة والسلام- وقد تحدث الزمخشري عن كثرة ورود هذا الأسلوب في القرآن الكريم، يقول: «لقد كثر النداء على هذه الطريقة في كتاب الله ما لم يكثر في غيره؛ وذلك لاستقلال هذا

---

(١) مغني اللبيب، ٢/ ٤٠٨-٤١٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ص٣٦.

النداء بأوجه من التأكيد، وأسباب المبالغة؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، غير ذلك مما أنطق به كتابه من أمور عظيمة، وخطوب جسام، ومحال عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن يُنادوا بالآكد الأبلغ»[١].

وجاءت الجملة الثانية، وهي قوله ﷺ: (وماحق العباد على الله)؟ موصولة بالجملة التي قبلها وهي قولهﷺ: (يا معاذ هل تدري حق الله على عباده؟)، وذلك لاتفاقهما في الإنشائية، فهما جملتان استفهاميتان، كذلك يوجد رابط آخر بينهما، فالجملة الأولى تتحدث عن حق الله تعالى، وهو ما يستحقه سبحانه من عباده مما جعله حتمًا عليهم، وهو ما أمرهم به[٢].

وأما الجملة الثانية فهي تتحدث عن حق العباد على الله، وهو ما وعدهم الله به من الثواب، وما أعده لهم من الجزاء الحسن حين يعبدونه ولا يشركون به شيئًا، وهو كالحق عليه في تحققه وتأكده، وهو من مزيد تفضله عليهم، وكريم إحسانه[٣].

ومن مواضع الوصل بالواو؛ وذلك إذا كان حذف الواو يوهم خلاف المقصود كما في قوله ﷺ: ((أتاني جبريل عليه السلام، فبشَّرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق))[٤].

تحدث المناوي عن معنى الاستفهام وفائدة التكرار كمدخل للحديث عن الوصل فيقول: «قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: نعم. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: نعم. كرر الاستفهام استثباتا واستيثاقا واستعظاما لشأن الدخول مع مباشرة الكبائر أو تعجبا منه»[٥].

ثم يوضح بعد ذلك أهمية دخول الواو هنا والتي فصلت بين الخبر (قلت) والجملة

---

(١) الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٢هـ، ١/ ٢٢٦.

(٢) فتح الباري، ١١/ ٤١٢.

(٣) نفسه.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل الجنة، ص٥٠.

(٥) فيض القدير، ١/ ١٢٤.

الإنشائية بعده: (إن زنى وإن سرق): «وبما تقرر آنفا علم أن جواب إنْ محذوف لدلالة الواو عليه، لأنها ترد الكلام على أوله، ولو سقطت الواو لكان الزنا والسرقة شرطا في دخول الجنة، فالمعنى وإن زنى وإن سرق لم يمنعه ذلك من دخولها»[١].

وعن مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله))[٢].

حيث استخدمت أداة العطف (الواو) بين الجملتين: (من قال: لا إله إلا الله)، والجملة التالية: (كفر بما يعبد من دون الله)؛ لقصد التشريك في الحكم، فالجملة الثانية: (وكفر بما يعبد من دون الله) متضمنة لمقتضى ومعنى الأولى، وهو التوحيد بالله وحده وصرف العبادة له.

وفي قوله: (حرم ماله ودمه، وحسابه على الله): «كناية عن عدم القتل، والتعبير بالكناية يصور مشهد الدماء، وتطاير الأشلاء، فيسارع إلى حفظها بالإسلام، وقولهم: (وحسابهم على الله) تتميم بلاغي أفاد نكتة بلاغية، وهي أنه لا يعلم ما في القلوب، وأنه يعصمهم بظاهر الأعمال»[٣].

---

(١) السابق، ١/ ١٢٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، ص٣٤.

(٣) كنوز رياض الصالحين، ٦/ ٣٣٤.

الفصل الخامس

خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

ويشتمل على المباحث التالية:

مدخل.

المبحث الأول: الالتفات.

المبحث الثاني: وضع المضمر موضع المظهر والعكس.

المبحث الثالث: وضع الماضي موضع المستقبل وعكسه.

المبحث الرابع: صور أخرى لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر:

أولاً: أسلوب الحكيم.

ثانيًا: التعبير بالسبب عن المسبب توسعًا.

ثالثًا: التعبير بلفظ المسبب عن السبب.

رابعا: التغليب.

خامسا: إيثار لفظ على آخر.

مدخل:

الأصل في الكلام أن يكون موافقًا لمقتضى الحال، لكنه قد يأتي على خلاف الأصل لأغراض بلاغية، وهو بذلك الخروج يأتي مراعاة لمقتضى البلاغة؛ لأن البلاغة مراعاة الكلام لمقتضى الحال.

وقد ذكر البلاغيون صورًا عدة لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر منها: تنـــزيل خالي الذهن منـــزلة السائل والمتردد أو المنكر، وعكسه، ووضع المضمر موضع المظهر، وعكسه، والالتفات، والأسلوب الحكيم، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، وعن الماضي بلفظ المضارع، والتغليب وغيرها من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر[1].

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ص ١٩٧-، ٢٠٥ شروح التلخيص: ١/ ٤٤٨-٤٩٣.

المبحث الأول: الالتفات:

من موضوعات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر: الالتفات، وعرفه جمهور البلاغة بقولهم: التعبير عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم، والخطاب، والغيبة)، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها(١).

والمعنى اللغوي للالتفات أنه من مادة (لَفَتَ)، ففي لسان العرب: «لفت: وجهه عن القوم: صَرَفَهُ، والْتَفَتَ التفاتًا، والتَّلَفُّتُ أَكثرُ منه»(٢).

لكن في الحقبة الأولى من تاريخ البلاغة العربية لم يظهر هذا المسمى وعُولجت مظاهره تحت مسميات عدة. يقول الدكتور حسن الطبل في كتابه (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية): «عولجت صور الالتفات في الحقبة المبكرة تحت مصطلح المجاز حينا، ودون مصطلح محدد يجمعها حين آخر، حتى كان أول التقاء لها بمصطلح الالتفات على يد الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز في (كتاب البديع)»(٣).

وقال عنه السكاكي: التعبير بضمير موضع ضمير آخر ابتداء يعد من الالتفات، فالالتفات عنده أعم(٤).

وقال القَزْوِيْني: «المشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، وهذا أخص من تفسير السكاكي؛ لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها، فكل التفاف عندهم التفات عنده من غير عكس»(٥).

والالتفات على رأي الجمهور له ست صور: (التفات من التكلم إلى الخطاب، ومن التكلم إلى الغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب،

---

(١) شروح التلخيص، ١/ ٤٦٥.

(٢) لسان العرب، مادة لفت، ٨/ ١٠٠.

(٣) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٦.

(٤) مفتاح العلوم، ص١٩٩.

(٥) الإيضاح، ص٥٢.

ومن الغيبة إلى التكلم)[١].

وقد عد ابن الأثير الالتفات من شجاعة العربية: «لأن الشجاعة هي الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه، وكذلك الالتفات في الكلام»[٢]، وقال الدكتور محمد أبو موسى: «الشجاعة هنا إقدام على أنماط من التعبير مخالفة لما يقتضيه الأصل؛ لأنها تعبير بأسلوب الخطاب في سياق الكلام وشفافية الدلالة، وهذا إن تأملته ضربٌ من الشجاعة واقتحام سبيل غير السبيل المألوف»[٣].

ومن صور التراكيب التي يؤدي فيها الالتفات دورًا ملحوظًا في بلاغة الأسلوب وغنى الدلالة قوله: ﷺ في حديثه عن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله))[٤].

في هذا الحديث يبدأ النبي –عليه الصلاة والسلام– حديث المتكلم عن النفس، ثم يلتفت إلى اسمه الظاهر العلم، ليقرر ما قرر الله في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[٥]، وليدفع أدنى شك عن الاسم الذي وجبت له الشهادة لله الحق بالانفراد بالألوهية، وإذا تهيأ السامع بهذه النقلة إلى تلقي الأسماء بنسق الغيبة نراه ﷺ فاجأنا بالعودة إلى التكلم التفاتا في (عصموا مني) يرشد إلى إحساسه بالتبعة، وتقيظه لما كلفه من إراقة الدماء الكافرة، ومصادرة الأموال الفاجرة، ما لم تجد من الإسلام شافعا[٦].

ومن طرق الالتفات الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، فعن عراك بن مالك؛ أنه سمع أبا

---

(١) شروح التلخيص، ١/ ٤٦٧-٤٧١.

(٢) المثل السائر، ٢/ ١٨١.

(٣) خصائص التراكيب، ص ٢٥١.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، ص ٣٣.

(٥) الفتح: ٢٩.

(٦) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٣٤٩.

هريرة يقول: إنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كُفْر))[١].

في هذا الحديث يخاطب –عليه الصلاة والسلام– أصحابه، ناهيهم عن الانتساب لغير آبائهم، وهي من عادات الجاهلية التي يميل ويرغب بها كثيرًا من أفراد المجتمع الجاهلي، ثم يوضح لهم عقوبة ذلك مستخدمًا ضمير الغيبة بقوله: (فمن رغب)، ليكون ذلك النهي شاملاً لجميع الأمة، وليس مقصورًا على صحابته، بعدما ذكر ضمير المخاطب في قوله: (عن آبائكم). وقد استخدم –عليه الصلاة والسلام–لفظة (الكفر) ولم يقل أذنب أو ارتكب محرمًا؛ «لأن العادات العربية المتأصلة المتركزة لم يكن من السهل اقتلاعها دون تخويف ووعيد»[٢]. ومن الملاحظ أن رسول الله في أي حديث يتضمن حكم شرعيًّا يبدأ الحوار مع صحابته مستخدمًا ضمير (المخاطب)، فهو يحاور ويخاطب صحابته قبل إبداء الحكم الشرعي في المسألة المتحدث عنها؛ لترسيخ تلك الشرائع في نفوسهم.

ومنه أيضًا حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، ((أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابتهُ السماء يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني))[٣].

حيث خاطب البائع أولاً موجها له استفهامًا إنكاريًّا: (ما هذا يا صاحب الطعام؟)، والظاهر أن آثار البلل كانت واضحة على الغلة، فأراد رسول الله ﷺ التأكد من أن هناك بللاً بالفعل حتى لا يبني حكمه –عليه الصلاة والسلام– على مجرد الاعتقاد، ثم وضّح له حكم الغش وموقفه –عليه الصلاة والسلام– منه مستخدمًا ضمير الغيبة بقوله: (من غش فليس مني)، بحذف المفعول، ليفيد التعميم، وليكون حكم الغش وعواقبه عامة لجميع أفراد الأمة.

ومنه أيضًا حديث جبريل عليه السلام في رواية عمرو بن جرير عن أبي هريرة عندما جاء جبريل للرسول ﷺ يسأله عن الإيمان، فلما فرغ منه قال رسول ﷺ: ((هذا جبريل جاء

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، ص٤٥.

(٢) فتح المنعم، ١/ ٢٣١.

(٣) السابق، باب قول النبيﷺ : من غشنا فليس منا، ص٥٢.

ليعلم النَّاس دينهم))[١].

فقد التفت النبي ﷺ من الخطاب إلى ضمير الغيبة في قوله: (جاء ليعلم الناس دينهم)، ولم يقل: (يعلمكم) فتشريعات الإسلام ليست خاصة بصحابة رسول الله، بل هي عامة لجميع الأمة وحتى قيام الساعة.

وفي حديث جبريل أيضًا وبرواية أخرى عن أبي زرعة، عن أبي هريرة... في حديث جبريل عليه السلام، قال: يا رسول الله متى الساعةُ؟ قال: ((ما المسؤولُ عنها بأعلم من السَّائِل، وسأحدثك عن أشراطها...))[٢].

«مقتضى الظاهر أن يقول: لست بأعلم منك، ولكنه التفت من الخطاب للغيبة تعريضًا للسامعين عن طريق اللفظ المشعر بالتعميم أي كل مسؤول، وكل سائل فهو كذلك»[٣]، ثم عاد رسول الله ﷺ إلى أسلوب الخطاب عندما تحدث عن أشراط الساعة وعلامتها.

ومن طرق الالتفات الانتقال من الخطاب إلى التكلم، في حديث موسى بن طلحة عن أبي هريرة قال: لمـــَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[٤]، دعا رسول الله ﷺ قريشًا، فاجتمعوا، فعمَّ وخص، فقال: ((يا بني كعب بن لؤيٍّ! أنقذوا أنفسكم من النَّار. يا بني مُرَّة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النَّار. يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النَّار. يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النَّار. يا بني عبد المطَّلب! أنقذوا أنفسكم من النَّار. يا فاطمةُ أنقذي نفسك من النَّار. فإنِّي لا أملك لكم من الله شيئًا. غير أنَّ لكُم رَحِمًا سأُبُلُّها بِبَلالَها))[٥].

في هذا الحديث يخاطب –عليه الصلاة والسلام– قريشًا؛ ولأهمية الخبر الذي سيلقيه على أسماعهم، ابتدأه بأسلوب النداء، مستخدمًا أداة نداء البعيد (يا)، زيادة في شَدّ الانتباه؛

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدَّليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٩.

(٢) السابق، ص٢٩.

(٣) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، ص٨١.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

(٥) السابق، باب بيان أنَّ من مات على الكفر فهو في النَّار، ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين، ص ٨٩.

لأهمية ما سيلقيه عليهم، وقام بنداء كل عشيرة على حدة، زيادة في تشويقهم وجذب انتباههم، ثم أعقبه بأسلوب الأمر: (أنقذوا) و لم يقل تجنبوا، أو اتقوا، أو ابتعدوا، بل استخدم كلمة: (أنقذوا)؛ ليدل على أنَّ الخطب عظيم، والأمر جدُّ خطير، ثم بعد ذلك أتى بالخبر: (إنِّي لا أملك لكم من الله شيئًا)، فكل ما سبق كان خطابًا لبني قريش، ثم التفت للتكلم في قوله: (إنِّي لا أملك)، فما أنا إلا رسول وبشر مثلكم، لا أملك نفعًا ولا ضرًّا لكم.

المبحث الثاني: وضع المضمر موضع المظهر والعكس:

من التفنن في القول، والدقة في التعبير، ووضوح المعنى وجلائه، استخدام المظهر في موضع المضمر وعكسه، وقد يلجأ الأديب إلى ذلك إذا رآه أوقع وأنسب للمعنى، أو لتمكين المعنى عند المخاطب، أو لدفع توهمٍ ما، وغير ذلك من النكات البلاغية التي يقتضيها المقام(١)، ومن هذا النوع من التراكيب قوله ﷺ:

فيما ورد عن أبي رافع عن عبد الله بن مسعود؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلاَّ كان له من أمَّته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخْلُف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خردل))(٢).

في هذا الحديث يتحدث النبي ﷺ عن أمر مستقبلي، وهو حال أمته بعد قرون من الزمن، حيث يضعف الإيمان في نفوس أتباعه، ويقل التمسك بما جاء به والانتهاء عما نهى عنه، فكلما ابتعدت المدة الزمنية قل التمسك بالدين، ويصف حال بعضهم بقوله: (يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون)، حيث يفعلون المنكرات ويتركون الواجبات، ثم شدد على ضرورة نصح هؤلاء وإنكار ما هم عليه، ثم ذكر مراتب ذلك النصح. والشاهد في قوله: (ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف)، حيث ابتدأ بضمير الشأن أو القصة، وأول الكلام إنما يكون للاسم الظاهر، «والْعَلَم الذي انتصب كالدليل على هذا الاهتمام هو وضع ضمير الشأن أول الكلام المعبِّرِ عن هذه المعاني، وأول الكلام إنما يكون للاسم الظاهر لهذا الاعتبار»(٣).

---

(١) الحوار في الحديث النبوي، صوره وتراكيبه، ص١١٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ص٤١.

(٣) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٣٨٣.

المبحث الثالث: وضع الماضي موضع المستقبل وعكسه:

الأصل في الفعل كما سيأتي أن يكون لتقييد الحدث بأحد الأزمنة الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل) عند اقتضاء الغرض بذلك، على أخصر وجه. فيعبر عن الماضي بصيغة الفعل الماضي، وعن الحاضر بالمضارع، وعن المستقبل بالمضارع والأمر(١).

إلا أنه قد يخرج الكلام على خلاف الأصل عند البلاغيين فيعبر عن المستقبل بلفظ الماضي، ويعبر عن الماضي بلفظ المضارع لغرض بلاغي(٢).

أ- إطلاق زمن الماضي ليشمل الحاضر والمستقبل:

يكثر هذا النوع من الاستعمالات في الحديث الشريف عقب أداة العموم شرطا أو غير شرط، إشعارًا بأنه من الأمور التي تتحقق في الوجود كثيرًا، فكلما وجدت كان حكمها هو المذكور من بعد(٣).

وصور ذلك في كتاب الإيمان كثيرة جدًّا، فعن أبي برادة عن موسى، عن النبي ﷺ قال: ((من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا))(٤).

وعن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ: ((من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرُم مالهُ ودمهُ وحسابهُ على اللهِ))(٥).

«هذه الأفعال التي ذكرت بصيغة الماضي لا يختص الجزء المذكور بعدها بما وقع منها قبل إخباره ﷺ بها، فالحكم منسحب على الحاضر والمستقبل، ومعنى هذا أن مدلولها الزمني غير مقصود، فهي مطلقة من المضي مخالفة لظاهر الوضع، وسر العدول عن التعبير بفعل الحاضر أو المستقبل هو تأكد حصول الجزاء المترتب على الفعل في مقام الترهيب أو

---

(١) رعاية حال المخاطب في الصحيحين، ص٥٤٢.

(٢) المثل السائر، ٢/ ١٩٤. شروح التلخيص، ١/ ٤٨٤-٤٨٥.

(٣) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٣٥١.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: من غشنا فليس منا، ص٥٢.

(٥) السابق باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، ص٣٤.

الترغيب، تصويرًا له صورة الواقع ليجتنب أو يلتزم»[١].

وفي القرآن الكريم تحدث الله ﷻ عن أحوال يوم القيامة بصيغة الماضي، قال الدكتور محمد أبو موسى: «والقرآن الكريم يعرض كثيرًا من مشاهد القيامة في صورة الماضي، وكأنها أحداث قد وقعت، وذلك ليؤكد كينونتها، وأن زمن الدنيا في حساب الحق كأنه زمن قد انتهى، ليواجه بهذا الأسلوب الحاسم دواعي الانصراف عن أمر القيامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٢]»[٣].

ب- الطلب بصيغة الماضي:

عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: ((أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إذا صليت الْمَكْتُوبَاتِ، وصمت رَمَضَانَ، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، و لم أزد على ذلك شيئا؛ أأدخل الجنة؟ قال: نعم))[٤].

في بداية عهد الإسلام كانت أكثر الأسئلة الموجهة إلى رسول اللهﷺ عن الأعمال التي تدخل الجنة أي الاكتفاء بالواجبات الملزمة للجنة، إذْ إن طبيعة مجتمعهم الصحراوي لم يعتادوا به الالتزام والتقيد بنمط رفيع في أسلوب معاملاتهم اليومية.

«(أرأيت) بمعنى أخبرني، وهذه الدلالة عن طريق مجازين:

الأول: الاستفهام الذي هو في الأصل طلب الفهم، أُريد منه مطلق الطلب عن طريق المجاز المرسل بعلاقة الإطلاق بعد التقييد.

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٣٥٢.

(٢) الزمر: ٦٩-٧٢.

(٣) خصائص التراكيب، ص٣٠٢.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، ص٣٠.

الثاني: فن الرؤية علمية أو بصرية، أريد منها ما يتسبب عنها من إخبار، عن طريق المجاز المرسل بعلاقة السببية والمسبب، فآل الأمر إلى طلب الإخبار المدلول عليه بكلمة أخبرني»[١].

ج- استعمال المضارع خبرًا للدلالة على الطلب:

عن موسى بن طلحة، عن أبي أيوب الأنصاري قال: ((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل أعمله يُدْنِينِي من الجنة ويباعدني من النار؟ قال: تعبد الله ﷻ لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصل ذا رحمك، قال: فأدبر الرجل، فقال النبي ﷺ: إن أَمْسَكَهُنَّ دخل الجنة))[٢].

في هذا الحديث يصور لنا الحوار الذي دار بين رسول الله صلى عليه وسلم ورجل أعرابي، يسأله عن أمر مهم في الدين، والذي يترتب عليه مصيره في الآخرة، فالرجل شديد الحرص على هذا الأمر الذي سيدخله الجنة، وهذا يتضح في بنية سؤاله، حيث نجد المفردات التالية (دلني، يدنيني، يباعدني)، فهذا يكشف عن شدة حرصه والتزامه، فهو شديد الطمع في الجنة والخوف من النار، وكذلك تكراره في الصيغة: (عمل، أعمله)، فكانت إجابة رسول الله ﷺ بأن ذكر له شيئًا من أركان الإسلام، بالإضافة إلى شريعة (صلة الرحم)؛ لكنه أتى بتلك الأوامر على صيغة مضارع، كي لا يستثقلها السائل.

قال الدكتور كمال عز الدين في تعليقه على حديث مشابه لما ذكرتُ: «فالأفعال المضارعة الخمسة: (تعبد ــ تقيم ــ تؤتي ــ تصوم ــ تحج) في معنى الأمر، ولعل من ألطف اللطف في سر العدول عن صيغة الطلب إلى صيغة الخبر أن كمال ذوقه الشريف عليه السلام، وحدة فطنته طابقت بهذا الوجه الخبري قول صاحبه (أخبرني)، ولو دله بصيغة الطلب لكان مجيبا عما سأل، ولكن شتان ما بين الجوابين من الدلالة على الحاسة البيانية المرهفة»[٣].

---

(١) فتح المنعم، ١/ ٥١.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن تمسك بما أمر به دخل الجنة، ص٣٠.

(٣) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٣٥٩.

المبحث الرابع: صور أخرى لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر:

أولاً: أسلوب الحكيم:

من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر (الأسلوب الحكيم) وهو: تلقي المخاطب بغير ما يترقب، أو السائل بغير ما يتطلب[١]، وسماه بعض البلاغيين (المغالطة)[٢].

وقد تضمن التعريف قسمين لهذا الأسلوب:

أ- تلقي المخاطب بغير ما يترقب «بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد»[٣].

ب- تلقي السائل بغير ما يطلب «بتنـــزيل سؤاله منـــزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له»[٤].

وقال السكاكي في حديثه عن الأسلوب الحكيم: «وإن هذا الأسلوب لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور»[٥].

صور الأسلوب الحكيم في كتاب الإيمان:

عن أبي زرعة، عن أبي هريرة... في حديث جبريل عليه السلام، قال: ((يا رسول الله متى الساعةُ؟ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلم من السَّائِل. وسأحدثك عن أشراطها...))[٦].

في جواب الرسول ﷺ تلقٍّ للسائل بغير ما يطلب، حيث كان الجواب خارجًا عن موضوع السائل إلى غيره، «أي أنا لست بأعلم منك يا جبريل في يوم القيامة»[٧]، ثم حدثه عن أشراط تلك الساعة.

---

(١) مفتاح العلوم، ص٣٢٧. التبيان للطيبي، ص٢٣٧. معجم المصطلحات البلاغية، ١/ ١٩٩.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية، ١/ ٢٠١.

(٣) شروح التلخيص، ١/ ٤٧٩.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية، ١/ ٢٠٠.

(٥) مفتاح العلوم، ص٣٢٧.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدَّليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٩.

(٧) شرح الطيبي، ١/ ١٠٥.

وعن ابن شماسة المهريِّ، عن عمرو بن العاص، قال: ((لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك لأبايعك، فبسط يده، فقبضت يدي، فقال: ما لك يا عمرو؟!، قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: تشترط ماذا؟، قال: أن يغفر لي. قال: أما علمت يا عمرو! أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟!))[١].

هذا الحديث يحكي قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه، فعند مبايعته لرسول الله ﷺ أراد رضي الله عنه أن يشترط، فوجه له رسول الله ﷺ استفهامًا تعجبيًّا: (تشترط ماذا؟) فقال: أن يغفر لي)، هنا لم يقل رسول الله ﷺ سيغفر الله لك حتما، بل استخدم أسلوب الاستفهام الإنكاري (أما علمت...؟)، فهذا الدين الجديد سيمحو كل ما فعلته في جاهليتك من ذنوب ومعاصٍ.

قال الطيبي معلقًا على هذا الحديث: «فإن غرض عمرو من إبائه عن المبايعة ما كان إلا حكم نفسه في إسلامه وحديث الهجرة والحج زيادة في جوابه، كأنه قيل: لا تهتم بشأن الإسلام وحده، وأنه يهدم ما كان قبله، فإن حكم الهجرة والحج كذلك»[٢].

عَنْ أبي الغيث عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ((خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رِفَاعَةَ بن زيد من بني الضُّبَيْبِ، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله يحل رحله، فرمي بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا: هَنِيئًا له الشهادة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: كلا والذي نفس محمد بيده إن الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عليه نارا، أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها الْمَقَاسِمُ، قال: ففزع الناس فجاء رجل بشراك أَوْ شِرَاكَيْنِ، فقال: يا رسول الله أصبت يوم خيبر، فقال رسول الله: شراك من نار، أو شراكان من نار))[٣].

في هذا الحدث جاء الأسلوب الحكيم، في جوابه ﷺ حيث قال معقبًا على من قال: (هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ)، فقال رسول الله ﷺ: (كلا والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، ص٥٨.

(٢) شرح الطيبي، ١/ ١٦٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ص٥٦.

عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها الْمَقَاسِمُ)، فالظاهر للصحابة أن صاحبهم شهيد، فقد استشهد في المعركة أمام أعينهم، فما كان من رسول الله ﷺ إلا إنكار ما كانوا يعتقدونه، ولقد أتى رده -عليه الصلاة والسلام- بأسلوب الزجر (كلا) مفيدًا النفي المؤكد، ثم أعقبه بالخبر الإنكاري مستخدما أداة القسم وحرف التوكيد (إن)، فهذا جواب بخلاف ما كان يترقب ويتوقع، وفيه بيان حال صاحب الشملة والتنبيه على السبب الذي من أجله حرم هذا الرجل من الشهادة، وفيه بيان ما هو الأولى والأجدر بهم(١).

وعن عامر بن سعد، عن أبيه سعد: ((أنه أعطى رسول الله ﷺ رهطا وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ منهم رجلا لم يعطه، وهو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ والله، إني لأراه مؤمنا، قال: (أو مسلما)، فسكت قليلا، ثم غلبني ما أعلم منه فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، قال: (أو مسلما) فسكت قليلا، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، قال: (أو مسلما إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكب في النار على وجهه))(٢).

الحديث جاء فيه الأسلوب الحكيم، حيث عدل رسول الله عن جواب سعد إلى بيان ما هو الأولى، له في عبارته أن يقول: (مسلمًا) بدلا من (مؤمنًا)، ثم بين رسول الله السبب وراء ذلك، وأرشده إلى التوقف عن الثناء بالأمر الباطن دون الثناء بالأمر الظاهر(٣).

قال ابن حجر: «قوله: (فقال: أوْ مسلمًا) هو بإسكان الواو لا بفتحها، فقيل: هي للتنويع، وقال بعضهم: هي للتشريك، وأنه أمره أن يقولهما معا لأنه أحوط، ويرد هذا رواية ابن الأعرابي في معجمه في هذا الحديث فقال: (لا تقل: مؤمن بل مسلم)، فوضح أنها للإضراب، وليس معناه الإنكار، بل المعنى أن إطلاق المسلم على من لم يختبر حاله الخبرةَ

(١) الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي، د. محمد بن عمر بن سالم بازغلول، جامعة أم القرى- دار الإمام أحمد- مصر، ١٤٢٩، ص٢٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تألُّف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، ص٦٦.

(٣) الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي، ص ٢٧.

الباطنة أولى من إطلاق المؤمن، لأن الإسلام معلوم بحكم الظاهر.

ومحصل القصة أن النبي ﷺ كان يوسع العطاء لمن أظهر الإسلام تألفًا، فلما أعطى الرهط وهم من المؤلفة وترك جعيلاً وهو من المهاجرين مع أن الجميع سألوه خاطبه سعد في أمره؛ لأنه كان يرى أن جعيلاً أحق منهم لما اختبره منه دونهم، ولهذا راجع فيه أكثر من مرة، فأرشده النبي ﷺ إلى أمرين: أحدهما: إعلامه بالحكمة في إعطاء أولئك الرهط وحرمان جعيل مع كونه أحب إليه ممن أعطى، لأنه لو ترك إعطاء المؤلف لم يؤمن ارتداده فيكون من أهل النار. ثانيهما: إرشاده إلى التوقف عن الثناء بالأمر الباطن دون الثناء بالأمر الظاهر...»[(١)].

ثانيًا: التعبير بالسبب عن المسبب توسعًا:

في حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه، في الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ قال: ((فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))[(٢)].

قال البكري الصديقي صاحب كتاب دليل الفالحين: «وهذا من جوامع كلمه ﷺ؛ لأنه جمع فيه مع وجازته بيان مراقبة العبد ربه في إتمام الخضوع والخشوع وغيرهما في جميع الأحوال، والإخلاص له في جميع الأعمال، والحث عليهما مع بيان سببهما الحامل عليهما، والثاني من لا ينتهي إلى تلك الحالة لكن يغلب عليه أن الحق مطلع عليه ومشاهد له، وقد بينه ﷺ بقوله: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ...ثم هاتان الحالان هما ثمرتا معرفة الله تعالى وخشيته، ومن ثم عبّر بها عن العمل في خبر: (الإحسان أن تخشى الله كأنك تراه)، فعبّر عن المسبب باسم السبب توسعًا»[(٣)].

---

(١) فتح الباري، كتاب الإيمان، ١/ ١٠٩-١١٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٨.

(٣) دليل الفالحين، ١/ ١٩١.

ثالثًا: التعبير بلفظ المسبب عن السبب:

عن حُميد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه))[١].

في هذا الحديث أراد رسول الله ﷺ تنبيه صحابته عن أمر عظيم؛ لذا ساق الخبر بطريقة تثير التعجب والدهشة؛ لجذب أسماعهم إلى تلك الخطيئة التي قد يقع فيها البعض، قال: من الكبائر: لم يقل من الجرم أو المحرم، بل استخدم لفظة: (كبائر)، ثم قال: شتم الرجل والديه، وهو فعل شنيع وغريب، فهل يعقل أن يحدث ذلك في المجتمع المسلم؟، ولهذا جاء رد الصحابة بالاستفهام وغرضه الاستبعاد: (وهل يشتم الرجل والديه؟). يقول الدكتور محمد في كتابه (الحوار في الحديث النبوي):

«الجملة التي قدم النبي ﷺ بها حديثه هي موطن استثارة العجب، وقد قصد الرسول ﷺ إلى ذلك ليستدعي انتباه الصحابة، ويحذرهم من أن يتسببوا في سب آبائهم أو أمهاتهم، فالرجل لم يشتم والديه بصورة مباشرة أو مقصودة، ولكنه شتمهما بصورة غير مقصودة، لا تنقص عن غير المقصود، إنما فقد يسب أبا شخص ما فيسب هذا الشخص أباه قصاصا، إذن فشتمه غيرهما كان سببًا في شتمهما، وتعبير الرسول ﷺ بهذا الشكل يجعل المخاطب يعدل عن خطيئته، ولا يسب آباء الآخرين، لأنه علم أن سبَّ الآخرين سبٌّ لآبائه. فشتم الوالدين مسبب، وعبر به النبي ﷺ عن السبب وهو سب آباء الآخرين، وآثر النبي ﷺ التعبير بالمضارع ليستحضر الصورة في أذهان المخاطبين، وكأنها وقعت أمام أعينهم وقت النطق بها؛ مما أدى إلى فزعهم واستنكارهم، لتصوره هذه الصورة القبيحة واقعة في الحال»[٢].

رابعا: التغليب:

ويراد به إطلاق لفظ أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر[٣].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص ٤٩-٥٠.

(٢) الحوار في الحديث النبوي، ص١٢٢-١٢٣.

(٣) مواهب الفتاح، ٢/ ٥١. معجم المصطلحات البلاغية، ٢/ ٣٠٥.

قال الزركشي: «وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين»[١].

وقال ابن هشام: «إنهم يغلِّبون على الشيء ما لغيره، لتناسب بينهما أو اختلاط؛ فلهذا قالوا: الأبوين في الأب والأم، ومنه: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾[٢].

والمشرقان والمغربان ومثله الخافقان في المشرق والمغرب، وإنما الخافق المغرب، ثم إنما سمي خافقًا مجازًا، وإنما هو مخفوق فيه، والقمران في الشمس والقمر... وقالوا: العمران في أبي بكر وعمر»[٣]، ومنه تغليب العقلاء على غير العقلاء، وتغليب الذكور على الإناث، وعكسه، وتغليب المخاطب على الغائب، وعكسه، وتغليب الجمع أو المثنى على الواحد، وغيرها[٤].

قال القَزْوِيْني: «التغليب باب واسع يجري في فنون كثيرة، كقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾[٥]، أدخل شعيب عليه السلام في قوله تعالى: (أو لتعودن في ملتنا) بحكم التغليب، إذ لم يكن شعيب في ملتهم أصلاً، ومثله قوله تعالى: ﴿عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾[٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[٧]، عدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب»[٨].

عن أبي سفيان قال: سمعت جابرًا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن بين الرجل وبين الشرك والكفر تركَ الصلاة))[٩].

في هذا يبين ﷺ منـــزلة الصلاة وأهميتها للفرد المسلم، فهي بمثابة حاجز للمسلم بينه

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٣/ ٣٦٩.

(٢) النساء: ١١.

(٣) مغني اللبيب، ص٩٠٠.

(٤) مفتاح العلوم، ص٢٤٢. ومغني اللبيب، ص٩٠١. والبرهان في علوم القرآن، ٣/ ٣٦٩-٣٨٠.

(٥) الأعراف: ٨٨.

(٦) الأعراف: ٨٩.

(٧) التحريم: ١٢.

(٨) مفتاح العلوم، ص٢٤٢.

(٩) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ص٤٨.

وبين أمر عظيم مهلك، وهو الشرك والكفر بالله، ولقد جمع بين النظيرين: (الكفر والشرك) عن طريق عطف العام على الخاص؛ ليبرهن على عظم هذا الذنب وهو ترك الصلاة، وقد ورد ذكر كلمة (الرجل) من باب التغليب، فالصلاة واجبة على كل فرد عاقل بالغ مسلم، سواء أكان ذكرًا أم أنثى، والله تعالى أعلم.

وعن سُهَيْل عن أبيه، عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر))[١].

في هذا الحديث يخبرنا ﷺ عن علامة بارزة لإيمان المسلم وهي حب الأنصار، ولمكانة الأنصار عند رسول الله ﷺ جعل حبهما من علامات الإيمان، وكرههم من علامات النفاق، وقد كرر ذلك في أحاديث عدة؛ وهو ما يبرهن على شدة حبه ﷺ للأنصار، وبلا شك فمآثر الأنصار ومواقفهم البطولية مع رسول الله تجعلهم يستحقون تلك المنـــزلة، وذُكر هنا لفظ: (الرجل) من باب التغليب، فحب الأنصار لا يختص بجنس (الرجال) فقط، بل هو واجب على كل فرد مسلم، ولكن أتى ذكر (الرجل) من باب التغليب.

وكثيرٌ من الأحكام التي وردت في كتاب الإيمان من صحيح مسلم أتى الخطاب فيها للذكر على الرغم من أنه عام للجنسين.

خامسا: إيثار لفظ على آخر:

«الكلمة من حيث الدلالة على معنى قد تتميز عن غيرها أحيانًا، والذي يميزها أن تفي بالمعنى المراد، وأن تشيع جوًّا من المتعة بخصائصها الدلالية ومكانها في الجملة»[٢].

وكلام النبي ﷺ «كلام قيل لتصير به المعاني إلى حقائقها... كأنما بين الألفاظ ومعانيها في كل بلاغته مقياس وميزان»[٣].

عن خرشة بن الحرِّ، عن أبي ذرٍّ، عن النبي ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال أبو

---

(١) السابق، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، ص٤٧.

(٢) الحوار في الحديث النبوي، ص١٢٦.

(٣) وحي القلم، ٣/ ١٧-١٨.

ذر: خَابُوا وخَسِرُوا، من هم يا رسول الله؟ قال: الْمُسْبِلُ، والمَنَّانُ، والمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحلف الكاذب))[١].

فكلمة (المنان) صيغة مبالغة على وزن فعّال، تدل على تكرار ذلك منه بكثرة لدرجة أنه وصف به، «((والمنان) أي: الذي يذكر إحسانه ممتنًّا به على المحسن إليه، والمبالغة قيد في الوعيد المذكور؛ لما فيه من المبالغة المقتضي لكونه من الكبائر، وإلا فالمن حرام وإن لم يتكرر»[٢].

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان غلظ إسبال الإزار والمنِّ بالعطيَّة، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، ص٥٤.

(٢) دليل الفالحين، ٣/ ٢٣٦.

الفصل السادس

بلاغة التراكيب في ضوء نحو النص

ويشتمل على ما يلي:

أولا: الجانب النظري:

مفهوم النص في التراث العربي.

معايير نحو النص.

ثانيًا: نماذج تطبيقية لنحو النص من كتاب الإيمان من صحيح مسلم:

النموذج الأول.

النموذج الثاني.

النموذج الثالث.

النموذج الرابع.

أولا: الجانب النظري:

مفهوم النص في التراث العربي:

جاء في لسان العرب: «النص رفعك الشيء، يقال: نصَّ الحديث ينصُّه نصا: رفعه وكل ما أُظهِر فقد نُصَّ»[١]. ويجعل الزمخشري المعنى الحقيقي في (النص) هو الرفع والانتصاب، وما سوى هذا المعنى من المجاز[٢]. والنص في القاموس المحيط المنتهي والاكتمال، حيث يعلق الفيروز آبادي على قول علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: ((إذا بلغ النساء نصّ الحقاق أو الحقائق فالعصبة أولى))، إذ بلغن الغاية التي علقن فيها على الحقاق وهو الخصام[٣].

هذا بالنسبة لتعريف النص عند القدماء والمعاجم العربية، أما تعريف (النص) في اللغة العربية المعاصرة فهو: «صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف»[٤].

مفهوم النص في الدرس اللساني:

لقد تعددت تعريفاته وتنوعت، يقول: د. سعيد بحيري: «يجب أن يوضع في الاعتبار أن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي، ويؤكد ذلك الاختلاف بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم»[٥].

ومن تعريفات المحدثين للنص تعريف الدكتور سعد مصلوح الذي يرى أنه: «سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل-

---

(١) لسان العرب، ٨/ ٥٦٦.

(٢) أساس البلاغة، ص٨٣٢.

(٣) القاموس المحيط، ص١٦١٦.

(٤) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرين، دار الدعوة، استانبول-تركيا، ١٩٨٠م، ص٩٢٦.

(٥) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ١٤٣١هـ، ص١٣٠.

أو لنماذج الجمل- الداخلة في تشكيله»[١].

ويعرفه الدكتور سعيد بحيري بأنه عبارة عن مجموعة من الأفعال الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي، ومتعلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بتغير مضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل[٢].

وأشمل التعاريف وأكثرها تحديدًا لمفهوم النص هو تعريف ربورت ألان دي بيو جراند وولفانج أولرخ دريسلار، حيث يعرفانه بأنه: «حدث تواصل يلزم لكونه نصّا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص»[٣].

معايير نحو النص:

اقترح دي بو جراند سبعة معايير يجب توفرها في النص حتى يحكم عليه بالنصية، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي:

السبك cohesion.

الحبك coherence.

القصد Intentionality.

القبول Acceptability.

الإعلام lnformativity.

المقامية Situationality.

التناص Intertextuality[٤].

---

(١) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعيد مصلوح، بحث منشور في كتاب تذكاري بعنوان: (الأستاذ عبد السلام هارون معلمًا، ومؤلفًا، ومحققًا)، إعداد: د. وديعة طه النجم، ود. عبده بدوي، جامعة الكويت، كلية الآداب، ١٩٩٠م، ص٤٠٧.

(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ص١٣٣.

(٣) النص والخطاب والإجراء لـــربورت دي بو جراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، مصر، ١٩٩٨م، ص١٠٣-١٠٥.

(٤) السابق، ص١٠٣-١٠٥.

أولاً: السبك:

يختص معيار السبك بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص. والمقصود بظاهر النص العناصر اللغوية التي نتلفظ بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها متسلسلة على صفحة الورق، وهذه العناصر أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصًّا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظًا بكينونته واستمراريته(١).

عناصر السبك النحوي:

١- الإحالة:

تطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص. وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر؛ وهي لذلك تميز الإحالة على المدى البعيد(٢).

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م، ص٢٧٧، ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ١٩٩٣م، ص١١٨.

وتنقسم الإحالة إلى:

١) إحالة خارجية: وفيها يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج النص يدركه منتج النص وتسمى (المقامية).

٢) وإحالة داخلية: حيث يشير إلى عناصر داخل النص وتسمى (نصية).

وتنقسم الإحالة النصية إلى نوعين:

١) إحالة قبلية: وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر متقدمٍ عليه.

٢) وإحالة بعدية: وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص.

وتنقسم الإحالة النصية باعتبار المدى الإحالي إلى:

١- إحالة ذا ت مدى قريب، سواء كان نوع الإحالة قبلية أو بعدية، ومرجعها لا يتعدى حدود الجملة الواحدة، وهذه الإحالة قوية في صنع الترابط والتماسك في النص.

٢- إحالة ذات مدى بعيد، وهذه تكون فيها المسافة الفاصلة بين الأداة الإحالية ومرجعها في جمل متباعدة في النص.

وسائل السبك الإحالية:

١- الضمائر بنوعيها المتصلة والمنفصلة (الكاف، التاء، أنا، أنت، نحن، هو، إلخ).

٢- أسماء الإشارة (هذا، هؤلاء، أولئك، إلخ).

٣- الأسماء الموصولة (الذي، التي، ما، إلخ).

٤- أفعال المقارنة (أفضل، أكثر، إلخ)[1].

---

(١) انظر نسيج النص ص ١١٨-١٢٣. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، الدكتور أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١١٧-١٢٢. علم لغة النص: النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م، ص ١٢٣-١٢٤. علم لغة النص والأسلوب، نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٣م، ص٣٣. الإحالة دراسة نظرية، مذكرة أعدت لنيل شهادة الماجستير، إعداد الطالبة: شريفة بلحوت، جامعة الجزائر-كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية ٢٠٠٥-٢٠٠٦م، ص١١٦-١٢٩.

٢- الاستبدال:

الاستبدال هو تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، ويتكون من مستبدل ومستبدل منه، والمستبدل يكون سابقًا للمستبدل منه، وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أقسام.

١- استبدال اسمي: مثل: آخر، آخرين، أخرى.

٢- استبدال فعلي: فعل-يفعل.

٣- استبدال قولي: أيضًا، كذلك، لا، نعم، أجل. تُعِّوض هذه المفردة عن شرح جملة أو جمل كاملة[١].

٣- الحذف:

وقد تحدثت في الفصل الثالث من هذا البحث عن الحذف.

٤- الربط بالأدوات (العطف):

وقد قسمه علماء النص إلى أربعة أقسام:

١- إضافي: حيث يربط بين شيئين لهما المرتبة نفسها، ويكثر استعمال الأداتين (الواو، أو).

٢- عكسي: حيث يربط بين شيئين بدلين، ولكنْ بينهما تعارض أو تناقض في عالم النص، وغالبا ما يستعمل لذلك (لكن، بل...).

٣- سببي: ويقصد به الربط المنطقي بين جملتين أو أكثر، حيثُ إن هذه الروابط تربط بين شيئين يعتمد أحدهما على الآخر، كـــ(لام التعليل، الفاء في جواب الشرط، وأدوات الشرط الاسمية والحرفية).

٤- زمني: ويقصد به الربط على مستوى العلاقة الزمنية، ويمثله الأدوات: (الفاء، ثم، بعد، قبل، التالي، منذ، متى، بينما، منذ إلخ)[٢].

---

(١) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م، ص١٩-٢٠. نحو النص، أحمد عفيفي، ص١٢٢-١٢٣.

(٢) انظر: مدخل إلى علم لغة النص، د. إلهام أبو غزالة، وعلي خليل أحمد، دار الكاتب، ١٩٩٢م، ص١٠٧. علم لغة النص والأسلوب، ناديا رمضان، ص٤٦-٤٧. السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب: أحمد حسين حيال، إشراف: أحمد عليوي الشمري، الجامعة المستنصرية-كلية الآداب قسم اللغة العربية-، ٢٠١١م، ص٥٥-٥٦.

ثانيا: عناصر السبك المعجمي:

١-التكرار:

وقد تحدثت عن التكرار في مبحث الإطناب من الفصل الرابع.

٢-التضام:

يعد التضام من وسائل التماسك النصي المعجمي، والتضام: وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك[١].

أنواع التضام:

١- التضاد أو التباين، بجميع درجاته، سواء أكان بين الكلمتين تضاد كامل: (ولد/ بنت). أو بينهما تخالف أو تناقض: (أحب/ أكره).

٢- الدخول في سلسلة مرتبة: مثل: السبت، الأحد، الاثنين.

٣- علاقة الكل بالجزء: مثل: (المنـــزل/ النافذة).

٤- علاقة الجزء بالجزء، مثل (النافذة/ الباب).

٥- الاندراج في قسم عام، مثل: (كرسي/ طاولة)[٢].

ثانيًا: الحبك:

يعده النصيّون من أهم معايير النصية التي اشترطوها لوصف النص بالترابط والتماسك، ولقد تعددت مسمياته في المؤلفات النصية، مثل الالتحام[٣]، والتقارن[٤]، ويقصد به المضمون والتتابع الدلالي للمفاهيم والعلاقات داخل النص[٥].

ويشتمل الحبك على عدة معايير، كالتعميم والتخصيص، والإجمال والتفصيل، وعلى

---

(١) لسانيات النص، محمد خطابي، ص٢٥.

(٢) انظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨م، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣.

(٤) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة، ص١٢٠.

(٥) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص. ٢٢٨.

تنظيم الأحداث والأعمال، والموضوعات والمواقف، والسعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص(١).

ثالثًا: القصد:

«يتضمن القصد على موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصًّا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها»(٢).

رابعًا: التناص:

أجمع النقاد على أنَّ جوليا كريستفا، التي تحمل الجنسية الفرنسية، ومن أصول بلغارية، هي أوّل من وضع مصطلح (التناصّ) عام ١٩٦٦م(٣).

ويتضمن التناص «العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بوساطة أم بغير وساطة»(٤).

ويمتاز مبحث التناص عن السرقات الشعرية في أن الأول يركز على بعدَي المشابهة والمخالفة في النص، في حين يركز الثاني على بعد المشابهة فقط، والتناص آلية لقراءة نص متداخل مع نص آخر(٥).

خامسًا: القبول:

وهذا المعيار يعتمد على دور المتلقي، والقبول: «يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة، ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك

---

(١) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص١٠٣.

(٢) السابق، ص١٠٣.

(٣) انظر: علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، د. عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان –الأردن–، ٢٠١٣-٢٠١٤، ص٣٨.

(٤) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص١٠٤.

(٥) انظر: التناص في الشعر العربي –بائية أبي تمام، د. إبراهيم عبد العزيز زيد، إصدارات نادي القصيم الأدبي ـــ دار محمد تونس، ٢٠١٥م، ص٢٩-٣١.

والتحام»[١].

سادسًا: الإعلام:

ويقصد بالإعلامية ما يحمله النص من معلومات تهم السامع أو القارئ، ويتحقق بها هدف التواصل بين منتج النص ومتلقيه، فموضوعها مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل المجهول[٢].

سابعًا: المقام:

المقام: مصطلح أطلقه البلاغيون منذ مئات السنين على المناسبة أو المقام الذي يوضح المقصود من النص، وفي كتاب (النص والخطاب والإجراء) لدي بوجراند يطلق عليه (رعاية الموقف)، «وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه»[٣].

(١) النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص١٠٤.

(٢) انظر: السابق، ص١٠٥.

(٣) السابق، ص١٠٤.

ثانيًا: نماذج تطبيقية لنحو النص من كتاب الإيمان:

النموذج الأول:

عن عمر بن الخطاب قال: ((بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث مليا ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))[(١)].

أولا: الترابط النحوي:

١- الإحالة:

يشتمل الحديث على عدد من الإحالات والتي كان لها دور في تماسك النص الحديثي وترابطه.

وتتوفر الإحالة الداخلية في المستتر المخاطب (تاء المخاطب) في الأفعال التالية: (تشهد، تقيم، تؤتي، تصوم، تحج، تؤمن، تعبد، تكن)، وهي إحالة قبلية مرجعيتها (جبريل عليه السلام)، وتوجد الإحالة الداخلية أيضًا في الضمير المتصل (الهاء) في قوله: (إليه) وهي إحالة قبلية مرجعيتها (البيت)، وجميع ما سبق من إحالات هي ذات مدى قريب، وتتوفر الإحالة

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص٢٨.

الداخلية في الضمير المتصل (تاء المخاطب) في قوله: (صدقت)، وهي إحالة قبلية مرجعيتها (رسول الله ﷺ)، وهي إحالة ذات مدى بعيد.

وهناك إحالة خارجية في النص تتمثل في الضمير المتصل (نا الفاعلين) في قوله: (فعجبنا)، وهي إحالة قبلية مرجعيتها (الصحابة الذين شهدوا الحوار الذين دار بين الرسول ﷺ)، وهي إحالة ذات مدى بعيد، وكذلك الضمير المتصل (الهاء) في قوله: (له) وهي إحالة قبلية ذات مدى بعيد مرجعيته (جبريل عليه السلام).

والضمير المتصل (الهاء) في قوله: (يسأله، يصدقه) وهي إحالة قبلية ذات مدى بعيد مرجعيتها إلى (رسوله الله ﷺ)، والضمير المتصل (ياء المتكلم) في قوله: (أخبرني) وهي إحالة قبلية ذات مدى بعيد مرجعيته إلى (جبريل عليه السلام)، والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (ملائكته، كتبه، رسله)، وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب مرجعيتها (لفظ الجلالة: الله)، والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (خيره، شره) وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب مرجعيتها (القدر)، والضمير المتصل (تاء المخاطب) في قوله: (صدقت) وهي إحالة قبلية ذات مدى بعيد مرجعيتها (رسول الله ﷺ).

والضمير المتصل (ياء المتكلم) في قوله: (فأخبرني) وهي إحالة قلبية ذات مدى بعيد مرجعيتها (جبريل عليه السلام)، والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (تراه) وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب مرجعيتها (لفظ الجلالة-الله-)، والضمير المستتر (أنت) في (تكن) وهي إحالة قبلية ذات مدى بعيد مرجعيتها (جبريل عليه السلام)، والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (تراه- فإنه) إحالة قبلية ذات مدى قريب مرجعيتها (لفظ الجلالة-الله)، والضمير المتصل (ياء المتكلم) في قوله: (فأخبرني) وهي إحالة قبلية ذات مدى بعيد مرجعيتها (جبريل عليه السلام).

والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (عنها) وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب مرجعيتها (الساعة)، والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (ربتها) وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب مرجعيتها (الأَمَةُ).

والضمير المستتر (أنت) في قوله: (ترى) وهي إحالة قبلية ذات مدى بعيد مرجعيتها (جبريل عليه السلام)، والضمير المتصل (ياء المتكلم) في قوله: (لي) وهي إحالة بعدية ذات مدى قريب مرجعيتها (عمر رضي الله عنه)، والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (فإنه) وهي إحالة بعدية ذات مدى قريب مرجعيتها (جبريل عليه السلام).

وهذا النوع أقل وجودا في اللغة العربية من الإحالة على السابق أو الإحالة (القبلية)؛ بل إن محمد الشاوش ينكر هذا النوع من الإحالة اعتمادًا على مقولة النحو العربي في المبهم والمفسّر؛ والتي تشترط تقدّم المفسّر على المبهم لفظًا ورتبة ومحلاً وتقديرًا[١].

وتبقى في النص إحالتان قبليتان تتمثلان في الضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (ورسوله) وهي ذات مدى قريب مرجعيتها (لفظ الجلالة- الله-). والضمير المتصل (كاف الخطاب) في قوله: (أتاكم- يعلمكم- دينكم) وهي إحالة خارجية قبلية ذات مدى بعيد مرجعيتها (الصحابة الذي شهدوا الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام.

جدول (١) يوضح الإحالات في الحديث السابق:

الكلمة	العنصر الإحالي	المُحال إليه	نوع الإحالة	المدى الإحالي
تشهد	الضمير المستتر	جبريل عليه السلام	قبلية داخلية	قريب
تقيم	—	—	—	—
تؤتي	—	—	—	—
تصوم	—	—	—	—
تحج	—	—	—	—
تؤمن	—	—	—	بعيد
تعبد	—	—	—	—
تكن	—	—	—	—
إليه	الضمير المتصل	البيت	قبلية داخلية	قريب
صدقت	—	رسول الله ﷺ	قبلية داخلية	بعيد
فعجبنا	—	الصحابة	قبلية خارجية	بعيد
له	—	جبريل عليه السلام	قبلية داخلية	بعيد

(١) انظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م، ١/ ١٢٦، ١٢٨.

الكلمة	العنصر الإحالي	المـُحال إليه	نوع الإحالة	المدى الإحالي
يسأله	ـــ	رسول الله ﷺ	قبلية داخلية	بعيد
يصدقه	ـــ	رسول الله ﷺ	قبلية داخلية	بعيد
أخبرني	ـــ	جبريل عليه السلام	قبلية داخلية	بعيد
ملائكته	ـــ	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
كتبه	ـــ	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
رسله	ـــ	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
خيره	ـــ	القدر	قبلية داخلية	قريب
شره	الضمير المتصل	القدر	قبلية داخلية	قريب
صدقت	الضمير المتصل	رسول الله-ﷺ	قبلية داخلية	بعيد
فأخبرني	الضمير المتصل	جبريل (عليه السلام)	قبلية داخلية	بعيد
تراه	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
تكن	الضمير المستتر	جبريل عليه السلام	قبلية داخليه	بعيد
فإنه	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
فأخبرني	الضمير المتصل	جبريل عليه السلام	قبلية داخلية	بعيد
عنها	الضمير المتصل	الساعة	قبلية داخلية	قريب
ربتها	الضمير المتصل	الأَمَةُ	قبلية داخلية	قريب
ترى	الضمير المستتر	جبريل عليه السلام	قبلية داخلية	بعيد
لي	الضمير المتصل	عمر رضي الله عنه	بعدية داخلية	قريب
فإنه	الضمير المتصل	جبريل عليه السلام	بعدية داخلية	قريب
رسوله	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
أتاكم	الضمير المتصل	الصحابة الذين شهدوا الحوار الذي دار بين رسول الله وجبريل عليه السلام	قبلية خارجية	بعيد
يعلمكم	الضمير المتصل	ـــ	قبلية خارجية	بعيد

الكلمة	العنصر الإحالي	المـُحال إليه	نوع الإحالة	المدى الإحالي
دينكم	الضمير المتصل	ـــ	قبلية خارجية	بعيد

٢- الحذف:

وفي هذا الحديث مواضع عدة حدث فيها الحذف:

- فأخبرني عن الإيمان. قال: (أن تؤمن بالله، ...)، (أن تؤمن) أن مع الفعل: مصدر مؤول في محل رفع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره الإيمان.
- فأخبرني عن الإحسان. قال: (أن تعبد الله...)، (أن تعبد) أن مع الفعل: مصدر مؤول في محل رفع خبرا لمبتدأ محذوف جوازا تقديره الإحسان.
- (فإن لم تكن تراهُ فإنهُ يراك)، تكن: فعل الشرط مضارع ناقص مجزوم بـــ(لم)، وعلامة جزمه السكون، وأصله (تكون)، وقد حذف الواو من (تكُون) لالتقاء الساكنين[١].
- (أنْ تلدَ الأمَةُ ربَّتهَا): مصدر مؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أمارات، أو في محل رفع مبتدأ وخبره محذوف جوازًا، تقديره: من أماراتها[٢].

٣- الربط بالأدوات:

يشتمل الحديث على عدد لا بأس به من أدوات الربط والتي أدت دورها في تماسك النص وترابطه، فعندما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإسلام أجابه رسول الله ﷺ، بأن سرد له أركان الإسلام الخمسة، مستخدما حرف العطف (الواو) للربط بين كل ركن، فتلك الأركان هي متساوية في الأهمية، فلا يقوم الإسلام إذا اختل شرطٌ منها.

قال: فعجبنا: عطف ردّةُ فعل الصحابة بعدما سمعوا الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ بحرف العطف (الفاء) التي تُفيد الترتيب والتعقيب، فتعجب الصحابة كان نتيجة سماعهم تلك الحوار، وكيف أنَّ جبريل يسأل محمدًا ويصدقه في نفس اللحظة.

ثم وجّه جبريل عليه السلام السؤال الثاني إلى رسول الله ﷺ، مستخدمًا أداة الربط الفاء التي

---

(١) انظر: إعراب الأربعين حديثًا النووية، ص٣٦.

(٢) إعراب الأربعين حديثًا النووية، ص٤٠.

ذكرتُ أنها للتعقيب والترتيب، فمعروف أنْ الإسلام مقدمٌ على الإيمان: «لأن رأس وعموده وشعائر الدين به يظهر... وما جاء جبريل عليه السلام إلا ليعلم الشريعة؛ فينبغي أن يبدأ بما هو الأهم فالأهم»(١)، وقد أجاب رسول الله ﷺ بذكر أركان الإيمان الستة مستخدمًا حرف العطف (الواو)، (وتؤمن بالقدر خيره وشره)، وكذلك استخدم حرف العطف (الواو) للعطف بين المتضادين (خيره وشره)، (فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك) استخدم حرف العطف (الفاء) للربط بين الشرط وجواب الشرط.

(ثم انطلق... ثم قال لي) استخدم حرف العطف (ثم) ليدل على التراخي في الزمن، أي بعد مدة من مُضي ذلك الرجل، سألني رسول الله ﷺ عن ذلك الرجل، وهو استفهام للتشويق، ولجذب انتباه الصحابة لإخبارهم بحقيقة الرجل الذي قدم عليهم، والله تعالى أعلم.

والحديث كله قائم على الاستفهام الحواري، الذي من شأنه ربط بعض أجزاء النص ببعضٍ.

ثانيا: الترابط المعجمي:

١- التكرار:

- **التكرار بنفس الكلمة:**

نلاحظ في هذا الحديث تكرار لبعض المفردات، وهو ما أسهم في ترابط النص الحديثي.

ومن تلك المفردات (الإسلام) حيث تكرر لفظه مرتين.

وتكرار كلمة (فأخبرني) أربع مرات عند بداية كل سؤال.

وتكرار كلمة (صدقت) بعد جواب رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان.

وتكرار كلمة (تؤمن) في قوله: (تؤمن بالله... وتؤمن بالقدر).

- **التكرار بالترادف:**

التكرار بإعادة المعنى واختلاف اللفظ.

ومثال ذلك في الحديث النبوي قوله ﷺ: ((وأن ترى الحفاة العراة، العالة)).

---

(١) شرح الطيبي، ١/ ٩٨.

فتلك الأوصاف تَدل في جملتها على الفقر، فالمقصود أن من علامات الساعة أن ترى الفقراء، العراة الحفاة، العالة: وهو جمع عائل، من افتقر وأعال، أي كثرت عياله[١]، فجميع تلك الألفاظ تُشير إلى معنى واحد وهو الفقر، والله تعالى أعلم.

٢- التضام:

يوجد التضام في هذا الحديث في قوله: (شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر) وفي قوله ﷺ: (وتؤمن بالقدر خيره وشره).

بياض	سواد
خيره	شره

ثالثًا: الحبك:

يقصد بالحبك تماسك ووحدة الموضوع للنص الواحد، والشعر العربي القديم كان يفتقد تلك الميزة، إذْ إن القصيدة الواحدة تتعدد فيها الأغراض؛ يبدؤها الشاعر بالوقوف على الأطلال، ثم الغزل، ثم ينتقل للغرض الرئيس للقصيدة.

وهذا الحديث قائم على الاستفهام الحواري بين جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ، فهو ذو بنية دلالية مترابطة الأجزاء، ومن مظاهر الحبك الظاهرة في هذا النص:

- **السببية:**

يقصد بالسببية الربط الذي يحصل بين جملتين تكون إحداهما سببا للأخرى.

ففي قوله ﷺ: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، على الإنسان أن يتق الله ويعبده كأنه يراه، وقد يطرح أحدهم تساؤلا: لكننا لا نرى الله، فجاءت الجملة الشرطية التالية جوابًا لذلك: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فسبب عبادتك له وخشيتك منه على الرغم من أنك لا تراه، بأنه هو ﷻ مطلع عليك في سرك وعلانيتك، والله تعالى أعلم.

وفي قوله ﷺ: (فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم)، جاءت الجملة الثانية: (أتاكم يعلمكم دينكم) مُفسْرة لمجيء جبريل عليه السلام.

---

(١) انظر: إعراب الأربعين حديثًا النووية، ص ٤١.

• **علاقة الإجمال/ التفصيل:**

في قوله ﷺ: (وتؤمن بالقدر خيره وشره) هنا تفصيل للقدر، حيث يجب على الفرد المسلم أن يؤمن ويسلم بالقضاء والقدر، سواء أسره ذلك القدر أم آلمه.

رابعًا: القصد:

القصد من هذا الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام صرَّح به رسول الله في نهاية الحديث، حينما سأل عمر رضي الله عنه وهو استفهام لغرض التشويق، وجذب الانتباه لحقيقة ذلك السائل، ثم أجابه بقوله: (فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم).

خامسًا: القبول:

يعتمد هذا العنصر على متلقي النص، وفي أحاديث رسول الله ﷺ توجيه وإفصاح للمسلمين عن شؤون دينهم، وعلى المسلم أن يؤمن بتلك التعاليم والتوجيهات والأخبار التي يتلقاها من رسول الله ﷺ، بل يجب عليه العمل بما جاء فيها، ويمتثلها في حياته وجميع شؤونه.

سادسًا: المقام:

وهي مناسبة النص، أو علاقة النص بالموقف الذي قبله، ومجيء جبريل عليه السلام، وسؤال رسول الله ﷺ، عن أمور مهمة يرتكز عليه ديننا الحنيف، ما هو إلا تعليم لنا عن تلك الأمور.

النموذج الثاني:

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ، ((أن ناسا، قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تُضَارُّونَ في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا

مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا، وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن بقي بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجى، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار، من كان لا يشرك بالله شيئا، ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم، إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود، ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها، سكت ما شاء الله، أن يسكت ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك، ومواثيقك، لا تسألني غير الذي أعطيتك، ويلك يا ابن آدم، ما أغدرك، فيقول: أي رب، ويدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك، أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء الله من عهود، ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة، انفهقت له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة؟ فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك، ومواثيقك، أن لا تسأل غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم، ما أغدرك، فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله، حتى يضحك الله

تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله منه، قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها، قال الله له: تمنه، فيسأل ربه ويتمنى، حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني، قال الله تعالى: ذلك لك ومثله معه))[1].

أولاً: الترابط النحوي:

١- الإحالة:

اشتمل هذا الحديث على عددٍ كبيرٍ من الإحالات التي أدت دورها في تماسك النص وترابطه، ومنها ما يلي: الضمير المتصل (تاء المخاطب) في قوله: (تضارون) وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (الأشخاص الذين سألوا رسول الله ﷺ، والضمير المتصل (كاف الخطاب) في قوله: (فإنكم) وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى بعيد، مرجعيتها (الأناس الذي سألوا رسول الله ﷺ).

والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (ترونه) وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى بعيد مرجعيتها (لفظ الجلالة في قوله: ربنا). والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (فليتبعه) إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (شيئًا). واسم الإشارة (هذه) في قوله: (هذه الأمة) وهي إحالة بعدية داخلية، ذات مدى قريب، مرجعيتها (الأمة).

والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (صورته) وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها لفظ الجلالة (الله). والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (فيتبعونه)، وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها، لفظ الجلالة في قوله: (ربكم)،. والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (فإنها)، إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (الكلاليب). والضمير المتصل (هم) في قوله: (بأعمالهم) وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (الناس).

والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (بعمله)، وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (المؤمن). والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (برحمته) وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها لفظ الجلالة (الله). والضمير المتصل (هاء الغيبة) في

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص٧٨.

قوله: (بوجهه) وهي إحالة قبيلة داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (رجل). والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (ريحُها)، وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (النار).

والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (ورآها)، إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب مرجعيتها (الجنة). والضمير المتصل (كاف الخطاب) في قوله: (خلقك)، إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (لفظ الجلالة رب).

جدول (٢) يوضح الإحالات السابقة:

الكلمة	العنصر الإحالي	المحال إليه	نوع الإحالة	المدى الإحالي
تضارون	الضمير المتصل	الأشخاص الذين سألوا رسول الله ﷺ	قبلية داخلية	قريب
فإنكم	الضمير المتصل	الأشخاص الذين سألوا رسول الله ﷺ	قبلية داخلية	بعيد
ترونه	الضمير المتصل	لفظ الجلالة في قوله: (ربنا).	قبلية داخلية	بعيد
فليتبعه	الضمير المتصل	شيئًا	قبيلة داخلية	قريب
هذه	اسم الإشارة	الأمة	بعدية داخلية	قريب
صورته	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
فإنها	الضمير المتصل	الكلاليب	قبلية داخلية	قريب
بأعمالهم	الضمير المتصل	الناس	قبلية داخلية	قريب
بعمله	الضمير المتصل	المؤمن	قبلية داخلية	قريب
برحمته	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
بوجهه	الضمير المتصل	رجل	قبلية داخلية	قريب
ريُحها	الضمير المتصل	النار	قبلية داخلية	قريب

الكلمة	العنصر الإحالي	المحال إليه	نوع الإحالة	المدى الإحالي
ورآها	الضمير المتصل	الجنة	قبيلة داخلية	قريب
خلقك	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (رب)	قبلية داخلية	قريب

٢- الاستبدال:

يوجد في هذا الحديث نوعان من الاستبدال:

١- استبدال فعلي: يتمثل في قوله ﷺ: (فإذَا قام على باب الجنَّة انْفَهَقَتْ لهُ الجنة). استخدم الفعل (قام) ليحل محل فعل آخر كقوله: (قرب من باب الجنة، أو وقف به).

٢- استبدال قولي: يتمثل في قوله ﷺ: (فإنَّكمْ تَرَوْنَهُ كذَلِكَ). فقد نابت (كذلك) في قوله: (كما ترون القمر في ليلة بدر واضحٍ، وكما ترون الشمس وليس دونها سحاب في يوم صحو، كذلك ترون الله ﷻ يوم القيامة).

٣- الحذف:

١- حذف المصدر المضاف (رؤية) في قوله ﷺ (هل تضارون في الشمس ليس دونها حجاب). والتقدير (رؤية الشمس).

٢- حذف الفعل (رأيناها) في قوله ﷺ: (هل رأيتم السَّعْدان؟). قالوا: نعم يا رسول الله!. والتقدير (نعم رأيناها).

٣- حذف المفعول به في قوله ﷺ: (لا أسألك غيره). والتقدير (لا أسالك شيئًا غيره).

٤- أدوات الربط:

قدم أناس لرسول الله ﷺ واستفسروا عن رؤية الله -سبحان وتعالى يوم القيامة، فلم يجبهم رسول الله ﷺ مباشرة، وإنما أعقب سؤالهم له بعدة استفهامات، أدت غرضها من تقرير المعنى وقوة تمكينه ورسوخه في عقولهم، فمثل أنهم يرون الشمس في سماء صحو من الغيوم، ويرون القمر في ليلة البدر، كذلك هم يرون الله ﷻ يوم القيامة.

ثم بعد ذلك الإيضاح أجاب رسول الله ﷺ بأنهم يرونه، وقد أتى الجواب مؤكَّدا بـــ(إنَّ)، معطوفًا على ما قبله بحرف العطف (الفاء)، ونلاحظ في هذا الحديث أن حرف

العطف (الفاء) هو الغالب استخدامًا للعطف بين الجُمل، والأسلوب المستخدم هنا هو قريب جدًّا من الأسلوب القصصي، حيث الترابط السببي، فأغلب الجمل تربطها علاقة النتيجة والسببية؛ ولذا استخدم حرف العطف (الفاء) بينهما.

وأيضًا تنتشر أدوات الشرط وحروفه مثل (إذا، ما، مَن)، كذلك انتشار حروف الجر في هذا النص (حتى، على، من، في، عن، إلى)، وقد أدت دورها في تماسك النص وترابطه. وهناك الترابط العكسي ويكون بأدوات تربط بين شيئين بديلين، ولكنهما بينهما تعارض أو تناقض في عالم النص ويتمثل ذلك في قوله ﷺ: (فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ)، فتلك الكلاليب مثل شوك السعدان؛ ولكن بينهما تعارض واختلاف؛ لكون تلك الكلاليب لا يعلم عظمها سوى الله. وهناك الترابط الزمني في هذا النص، والمتمثل في حرف العطف (ثم) ولقد وردت في هذا النص في عدة مواضع دالة على التراخي في الزمن.

ثم يصف ﷺ مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، وهو خروج من أراد الله برحمته من النار، ووصف حالتهم بعد خروجهم من النار، وكيف ينبتون بعدما يلقون في ماء الحياة كما تنبت الحبة في حميل السيل، وقد استخدام أداة التشبيه الكاف للربط بينهما.

ثم يختتم الحديث بالحوار الذي يدور بين الله ﷻ وبين آخِر من أخرج من النار، تلك المشاهد والحوارات كان لها دور ترابط النص وتسلسله، والله تعالى أعلم.

ثانيًا: الترابط المعجمي:

١- التكرار:

- **التكرار بنفس الكلمة:**
  - تكررت لفظة (تضارون) مرتين.
  - تكررت لفظة (القمر) ثلاث مرات.
  - تكررت لفظة (الشمس) ثلاث مرات.
  - تكررت لفظة (رسول الله) ثلاث مرات.
  - تكررت لفظة (الناس) مرتين.
  - تكررت لفظة (القيامة) مرتين.

- تكررت لفظة (الطواغيت) مرتين.
- تكررت لفظة (جهنم) مرتين.
-تكررت لفظة (الرسل) مرتين.
- تكررت لفظة (سلم) مرتين.
- تكررت لفظة (السَّعدان) ثلاث مرات.
- تكررت لفظة (العباد) مرتين.
- تكررت لفظة (النار) تسع مرات.
- تكررت لفظة (الجنة) ثمان مرات.
- تكررت لفظتا (عهود، ومواثيق) أربع مرات.
- تكررت لفظة (آدم) ثلاثة مرات.

ويندرج تحت هذا القسم ما يطُلق عليه (التكرار الجزئي)؛ وهو استخدام المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصرفي) مع نقلها لفئة أخرى، مثل: (يحكم، حكم، حكام، حكومة)[١].

ومثال ذلك في هذا النص قوله: (بأعمالهم، عمله)، (سكت، يسكت)، (يضحك، ضحك).

- **التكرار بالترادف:**

يوجد الترادف في هذا الحديث بين لفظتي (عهود، ومواثيق)، وبين (جهنم، نار)، وبين (خير، وسرور).

- **التكرار بالاسم العام:**

مثل ذلك التكرار بالاسم الدال على الجنس البشري:

(الناس، العباد، المؤمن، رجل) جميعها يشملها (ابن آدم) والذي ذُكر كذلك في النص عدة مرات.

---

(١) نحو النص (دراسة في شعر ابن زيدون)، عبد الله غليس، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ٢٠١٤م، ص٥٨.

٢- التضام:

(أ) التضاد والتباين:

جنة	نار

(ب) الاندراج في قسم عام:

(القمر، ليلة، بدر، شمس، سحاب) جميعها تندرج تحت الطبيعة.

ثالثًا: الحبك:

في هذا الحديث يظهر هذا العنصر جليًّا وواضحًا، فهناك تماسك دلالي قوي بين تراكيب النص.

فالصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن إمكانية رؤية الله ﷻ، فبداية النص هو السؤال عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، وبعد إجابة رسول الله ﷺ عن سؤال الصحابة، شرع يسرد صورًا من مشاهد يوم القيامة.

ومن مظاهر الحبك في هذا النص:

التعميم:

ويتمثل ذلك في قوله ﷺ: (فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعهُ)، ثم خصص بعد ذلك في قوله ﷺ: (فيتبع من كان يعبد الشمس: الشمس. ويتبع من كان يعبد القمر: القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت: الطواغيت).

التفسير:

وهي أن تكون الجملة مفسْرة للجملة السابقة لها، ويتمثل ذلك في قوله ﷺ: (تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود. حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود).

جاءت الجملة الثانية مفسْرة للأولى، ووضحت سبب عدم أكل النار لأثر السجود، وهو أن الله قد حرم عليها ذلك.

رابعًا: القصد:

قصد رسول الله ﷺ من هذا الحديث تصوير جزء من مشاهد يوم القيامة.

خامسًا: القبول:

سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن رؤية الله يوم القيامة؛ ولما كان ذلك من الأمور الأخروية، احتاج رسول الله ﷺ: إلى توكيد للخبر كي يتمكن من أنفسهم، فضرب أمثلة لأشياء مؤكدًا حصولها في الدنيا، كرؤية الشمس، والقمر في مرحلة البدر.

النموذج الثالث:

عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال: رسول الله ﷺ: ((يقول الله ﷻ: يا آدم فيقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار؟ قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، فاشتد عليهم. قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ فقال: أبشروا. فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل، قال: ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة. إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود. أو كالرقمة في ذراع الحمار))[1].

أولا: السبك:

١- عناصر السبك النحوي:

- **الإحالة:**

تتمثل الإحالة في هذا النص بالضمير المتصل (كاف الخطاب) في قوله: (لبيك، سعديك، يديك)، وهي إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب مرجعيتها (لفظ الجلالة الله). واسم الإشارة (ذلك) وهي إحالة بعدية داخلية ذات مدى قريب مرجعيتها (الرجل). والضمير المتصل (واو الجماعة) في قوله: (أبشروا) إحالة قبلية خارجية مرجعيتها (الصحابة الذين كانوا في حضرة رسول الله ﷺ).

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب قوله: (يقول الله لآدم: أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين)، ص٩٣.

والضمير المتصل (نون الفاعلين) في قوله: (حمدنا، كبرنا،) إحالة قبلية خارجية ذات مدى بعيد مرجعيتها (الصحابة الذين كانوا في حضرة رسول الله ﷺ). والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (بيده) إحالة خارجية مرجعيتها (الله ﷻ). والضمير المتصل (ياء المتكلم) في قوله: (إنَّي) إحالة قبلية داخلية مرجعيتها (رسول الله ﷺ).

جدول (٣) يوضح الإحالات السابقة:

الكلمة	العنصر الإحالي	المحال إليه	نوع الإحالة	المدى الإحالي
لبيك	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
سعديك	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
يديك	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية داخلية	قريب
ذلك	اسم الإشارة	الرجل	بعدية داخلية	قريب
أبشروا	الضمير المتصل	الصحابة الذين كانوا في حضرة رسول الله ﷺ	قبلية خارجية	بعيد
حمدنا	الضمير المتصل	الصحابة الذين كانوا في حضرة رسول الله ﷺ	قبلية خارجية	بعيد
كبرنا	الضمير المتصل	الصحابة الذين كانوا في حضرة رسول الله ﷺ	قبلية خارجية	بعيد
بيده	الضمير المتصل	لفظ الجلالة (الله)	قبلية خارجية	بعيد
إنَّي	الضمير المتصل	رسول الله ﷺ	قبلية داخلية	بعيد

- **الحذف:**

حذف الفعل في قوله: (لبيك) عامله محذوف تقديره: ألبّي لك.

حذف التمييز في قوله: (من كل ألف) والتقدير: من كل ألف نفس.

حذف التمييز في قوله: (تسعمائة وتسعة وتسعون) والتقدير: تسعمائة وتسعة وتسعون نفسًا).

حذف المفعول به في قوله: (وكبرنا) والتقدير: وكبرنا الله.

حذف البدل في قوله: (فذاك حين) التقدير: فذاك الهولُ حين.

- **الربط بالأدوات:**

استُخدِم في هذا أربعٌ من أدوات الوصل (الفاء، الواو، ثم، أو)، استخدم حرف العطف (الفاء) بعد نداء الله ﷻ لآدم؛ لسرعة استجابة آدم عليه السلام للنداء، فالمُنادي هنا هو الله ﷻ. وحينما تحدث عن أهوال يوم القيامة في قوله: (فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)، استخدم حرف العطف (الواو)؛ لدلالة أن تلك الأحداث المذهلة تحدث في وقت واحد متزامنة.

وفي قوله: (فاشتد عليهم)، استخدم حرف العطف (الفاء)، حيث أصاب الصحابة الهم والخوف؛ نتيجة ما سمعوه من أهوال يوم القيامة، وخشيتهم من أن يكونوا ذلك الرجل الباقي من بعث النار.

وحينما بشرهم رسول الله ﷺ وطمأنهم، بأنهم سيكونون الأغلبية، وأقسم لهم بذلك في ثلاث جمل، جاءت تلك البشارات على فترات زمنية متباعدة، إذ استخدم الراوي حرف العطف (ثم)؛ للدلالة على التراخي الزمني بين البشارات؛ وذلك لبثّ الطمأنينة في نفوسهم.

وكذلك استخدم أسلوب الترقي من (ربع إلى ثلث إلى شطر)، إذ من عادة العرب أنهم لا يسوقون البشرى متعددة الأطراف مرة واحدة؛ حتى يجعل السامع متلهفًا إلى هذه البشرى؛ فاستعمال (ثم) هنا جاء لغرض بعث اللهفة والانتظار في النفوس، والتعلق بالأمر المبشر به، وأيضًا عندما حدث الترقي؛ إنما كان يقصد بث الفرحة في قلوبهم والطمأنينة تأتي بعد ذلك.

واستخدم حرف العطف (أو) للربط بين شيئين لهما المرتبة نفسها، ويجوز أن يحل كل منهما محلاً للآخر، وجميعها تؤدي الغرض نفسه. وذلك في قوله: (إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ. أَوْ كالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ). فالغرض هنا شدة وضوح الشيء وتمّيزه.

٢- الترابط المعجمي:

- **التكرار:**

وهو التكرار بنفس الكلمة:

- تكررت لفظة (بعث النار) مرتين.
- تكررت لفظة (سكارى) مرتين.
- تكررت صيغة القسم (والذي نفسي بيده! إنَّي لأطمع أن تكونوا) ثلاث مرات.

- **التضام:**

(أ) **التضاد أو التباين:**

جنة	نار
أبيض	أسود

(ب) **الدخول في سلسلة مرتبة:**

(ألف، تسعمائة وتسعة وتسعين).

(ج) **الاندراج في قسم عام:**

(شعرة، جلد، ذراع) جميعها تندرج تحت (الجسد).

(ربع، ثلث، شطر) جميعها تندرج في (الكم).

(الثور، الحمار) جميعها تندرج فئة (الحيوانات).

ثانيًا: التناص:

في قوله ﷺ: (فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)، تناص مع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾[1].

(١) الحج: ١ــ٢.

النموذج الرابع:

عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: ((أُمِرْتُ أن أقاتِلَ الناسَ حتى يَشهدُوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويُؤتوا الزكاةَ، فإذا فَعَلوا ذلِكَ عَصمُوا مني دِمائهُمْ، إلا بحقِّ الإسلام، وحِسابُهُم على الله))[1].

السبك:

الترابط النحوي:

١- الإحالة:

الضمير المتصل (تاء الفعل) في قوله: (أمرت) إحالة قبلية داخلية، مرجعيتها (رسول الله ﷺ). الضمير المتصل (واو الجماعة) في قوله: (يشهدوا، يؤمنوا) إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (الناس). والضمير المتصل (هاء الغيبة) في قوله: (بحقها) إحالة قبلية داخلية ذات مدى قريب، مرجعيتها (دماءهم وأموالهم).

جدول (٤) يوضح الإحالات السابقة:

الكلمة	العنصر الإحالي	المُحال إليه	نوع الإحالة	المدى الإحالي
أمرت	الضمير المتصل	رسول الله ﷺ	داخلية قبلية	قريب
يشهدوا	الضمير المتصل	الناس	داخلية قبلية	قريب
يؤمنوا	الضمير المتصل	الناس	داخلية قبلية	قريب
بحقها	الضمير المتصل	دماءهم وأموالهم	قبلية داخلية	قريب

٢- الاستبدال:

يوجد الاستبدال الفعلي في قوله: (فعلوا) أي (شهدوا أن لا إله إلا الله، وآمنوا بي وبما

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، ص٣٤.

جئت).

٣- الحذف:

حُذف الفاعل في قوله: (أُمرت)، لتعينه ووضوحه؛ «لأنه لا آمر لرسول الله ﷺ إلا الله»[١].

حذف حرف الجر في قوله: (أن أقاتل)، وحذف الجار من (أن) كثير[٢].

٤- الربط بالأدوات:

استخدمت أداة العطف (حتى) والتي تفيد انتهاء الغاية، وقد حققت التماسك النصي؛ ذلك أن سياق الحديث يجعل شهادة أن لا إله إلا الله غاية لابد من الوصول إليها ولو بالقتال، ما دام الناس لا يقرون في حقيقتها مختارين، فالقتال مقدمة والشهادة غاية، ولقد تم الربط بين المقدمة والغاية بـــ(حتى) التي توضح انتهاء الغاية، لتفيد تماسكًا نصيًّا بين جملتين إحداهما تؤدي إلى الأخرى، ولتجعل قتال هؤلاء الناس ينتهي حين يصلون إلى الغاية المذكورة.

---

(١) فتح الباري، كتاب الإيمان، ١/ ١٠٤.

(٢) نفسه.

الخاتمة

وبعد الحمد لله أن يسر لي نهاية المطاف، وخاتمة المشوار، لهذه المعايشة المباركة لأحاديث كتاب الإيمان من خلال دراسة التراكيب البلاغية لتلك الأحاديث، وقدت سعدتُ بهذه الصحبة، وبهذا الإبحار.

نتائج البحث:

في الفصل الأول الجملة الخبرية نجد أن أساليب الخبر الابتدائي كانت هي الغالب في أحاديثه عليه الصلاة والسلام؛ وذلك لأنه أتى بتعاليم دين جديد.

وفي الفصل الثاني الأساليب الإنشائية نجد أنه غلب أسلوب الاستفهام في أحاديثه ﷺ؛ لجذب أسماع الصحابة للخبر الذي سيلقيه.

وفي الفصل الثالث بناء الجمل نجد وفرة أسلوب القصر في أحاديثه؛ لتأكيد المعنى وترسيخه في أذهان الصحابة.

كذلك غلب في الأحاديث التشويق والتأكيد كالشرط والقسم، وألا الاستفتاحية، والتوشيع والنداء.

توصيات البحث:

١- أن البلاغة النبوية بحاجة للمزيد من الدراسات المتخصصة، فعلى الرغم من كل ما كُتِب في البلاغة النبوية من دراسات ومؤلفات قديمة وحديثه؛ إلا أنها تظل نبعًا لا يجف؛ ولذا فعلى الباحثين أن يتجهوا لها ويفيدوا منها.

٢- في الدراسة التطبيقية للبلاغة النبوية يجب عدم الوقوف على موطن الشاهد في الحديث، بل يلزم النظر للسياق الذي ضم الشاهد؛ وذلك مما له أثر عن وضوح المعنى البلاغي وتجليه. كذلك ربط الفن البلاغي المُفرد بالدراسة بالفنون البلاغية الأخرى الموجودة في الحديث والتي من شأنها إثراء المعنى البلاغي، وإظهاره في أبهى صورة.

٣- أوصي الباحثين بتطبيق علم النص والدراسات اللسانية الحديثة على الحديث النبوي، لأن الحديث الشريف ليس قولا إخباريا يقف عند دلالة تبليغية مباشرة، وإنما هو نص بلاغي يضمر دلالات متعددة يتسع فضاؤها كلما امتلكنا أدوات جديدة للقراءة.

فهرس المصادر والمراجع

١- **ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن:** عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.

٢- **الإتقان في علوم القرآن:** الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة-المنصورة، ٢٠٠٦م.

٣- **أحاديث الأربعين النووية دراسة بلاغية في ضوء علمي المعاني والبيان:** محمد عاصم نجم سيد حمُّو النعيمي، إشراف: هناء محمود شهاب، كلية التربية-جامعة الموصل، ٢٠٠٦م.

٤- **الإحالة، دراسة نظرية:** مذكرة أعدت لنيل شهادة الماجستير، إعداد الطالبة: شريفة بلحوت، جامعة الجزائر-كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية ٢٠٠٥م-٢٠٠٦م.

٥- **أدب الكاتب:** عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦- **الأدب النبوي:** محمد عبد العزيز الخولي، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.

٧- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:** الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني، ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م.

٨- **أساس البلاغة:** الإمام جار الله محمود عمر الزمخشري، حققه وقدمه الدكتور مريم نعيم، والدكتور شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون.

٩- **الأساليب الإنشائية في الحديث النبوي في صحيح البخاري:** منال طه عبد الرزاق الرفاعي، ١٩٩٥م.

١٠- **أساليب القصر في أحاديث الصحيحين:** عامر عبد الله الثبيتي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

١١- **أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية:** دكتور صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ.

١٢- **أساليب القصر في صحيح مسلم ودلالاتها البلاغية:** نعم هاشم خالد الجماس، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٧م.

١٣- **الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية:** عبد العزيز صالح عمار، جامعة الإمام محمد بن سعود، ٢٠٠٩م.

١٤- **أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية:** صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٥- **الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية:** مجيد عبد الحميد ناجي، ١٩٨٤م.

١٦- **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية:** د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٧- **الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي:** د. محمد بن عمر بن سالم بازغلول، دار الإمام أحمد-مصر، ١٤٢٩هـ.

١٨- **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة:** محمد بن علي بن محمد الجُرْجَاني، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ١٩٩٧م.

١٩- **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية:** محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م.

٢٠- **الإطناب في القرآن الكريم أنماطه ودلالته:** وفاء فيصل إسكندر، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. أحمد فتحي رمضان، جامعة الموصل، ٢٠٠٣م.

٢١- **الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم):** د- محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٢- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:** مصطفى صادق الرافعي، راجعه واعتنى به الأستاذة نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر والطباعة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢٣- **إعراب الأربعين حديثًا النووية:** حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٤- **إكمال المعلم بفوائد مسلم:** أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي أبي الفضل، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٨م.

٢٥- **الأمثال النبوية في صحيح البخاري دراسة لغويّة دلاليّة:** هاني طاهر محمد حسين، جامعة النجاح الوطنية.

٢٦- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:** الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، المصري، المكتبة العصرية-صيدا بيروت، ١٩٩٦م.

٢٧- **الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغية):** مختار عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٢٨- **الإيجاز والإطناب في بناء الجملة الحديثية:** د. هناء محمود شهاب، محمد عاصم نجم النعيمي، مجلة التربية والتعليم، المجلد ١٥، العدد ٣، سنة ٢٠٠٨م.

٢٩- **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح**: الإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين الخطيب المعروف بالقزويني، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٣٠- **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**: د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣١- **البرهان في علوم القرآن**: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ٢٠١١م.

٣٢- **بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني**: توفيق الفيل، مكتبة الآداب،القاهرة.

٣٣- **بلاغة التقديم والتأخير عند الإمام عبد القاهر الجُرْجَاني**: دكتور نصر الدين إبراهيم أحمد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم-جامعة المينا.

٣٤- **بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع**: ناصر الراضي زهري، دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣٥- **بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف**: دكتورة أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الثالث والرابع،٢٠١٠م.

٣٦- **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**: منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية.

٣٧- **البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق**: دكتور غالب محمد محمود الشاويش، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٩م.

٣٨- **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعان)**: فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية عشرة، الأردن.

٣٩- **البلاغة في (علم المعاني)**: دكتور أحمد النادي شعلة، دار الكتب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤٠- **البلاغة في السنة النبوية (دراسة تحليلية في الحديث النبوي)**: دكتورة عزة محمد جدّوع، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م.

٤١- **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**: دكتور عودة خليل أبو عودة، دار البشر، عمان الأردن، ١٩٩٠م.

٤٢- **البيان النبوي**: محمد رجب بيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٨٧م.

٤٣- **البيان والتبيين**: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

٤٤- **التشبيه في صحيح مسلم دراسة بلاغية تحليلية**: لأحمد عيضة الثقفي، ٢٠٠٢م

٤٥- **التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه**: بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين، القاهرة، ١٩٩٣م.

٤٦- **تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية**: د. أسعد أحمد علي، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

٤٧- **التقديم والتأخير في صحيح البخاري، دراسة بلاغية**: رملة رشيد إسماعيل الناصري، كلية التربية للبنات-جامعة تكريت-٢٠٠٣م.

٤٨- **التكرير بين المثير والتأثير**: دكتور عز الدين علي السيد، عالم الكتب، ط٢، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.

٤٩- **التناص في الشعر العربي-بائية أبي تمام**: د. إبراهيم عبد العزيز زيد، إصدارات نادي القصيم الأدبي -دار محمد علي تونس، ٢٠١٥م.

٥٠- **الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيبًا ودلالة:** حفيظة أرسلان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٤م.

٥١- **جهود الإمام جلال الدين السيوطي في علم المعاني:** نجاح أحمد ظهار، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٥٢- **الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه:** محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٦، بيروت، دمشق، عمان، ١٩٩٠م.

٥٣- **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية:** للدكتور كمال عز الدين، دار إقرأ، الطبعة الأولى، بيروت – الرملة البيضاء- للهجرة. ١٤٠٤هـ.

٥٤- **الحذف والتقدير في النحو العربي:** علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهر، ٢٠٠٧م.

٥٥- **الحوار في الحديث النبوي تراكيبه صوره:** دكتور عيد محمد شبابيك، دار حراء.

٥٦- **الخصائص البلاغية للبيان النبوي:** محمد أبو العلاء أبو العلاء الحمزاوي، مكتبة الرشد، الرياض.

٥٧- **الخصائص:** ابن جني، تحقيق: محمد النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٨- **دلائل الإعجاز:** عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجُرْجَاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٥٩- **دلالات التراكيب دراسة بلاغية:** دكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٦٠- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين:** محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي المكي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٧م.

٦١- **ديوان العباس بن الأحنف**: دار بيروت، بيروت، ١٩٨٢م.

٦٢- **الرسالة**: الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٦٣- **رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين**: دكتور يوسف عبد الله العليوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٤هـ.

٦٤- **السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام**: رسالة ماجستير مقدمة من الطالب: أحمد حسين حيال، إشراف: أحمد عليوي الشمري، الجامعة المستنصرية-كلية الآداب قسم اللغة العربية-٢٠١١م.

٦٥- **شرح الطيبي مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن**: الإمام شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان، ١٤١٣هـ.

٦٦- **شرح المفصل**: الزمخشري، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م.

٦٧- **شرح عقود الجمان في علمي المعاني والبيان**: الإمام جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر الشافعي، حققه: محمد عثمان، راجعه وقدم له: هاشم محمد هاشم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠١١م.

٦٨- **شروح التخليص، مختصر العلامة التفتازاني على تخليص المفتاح**: القَزْوِيْني، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٦٩- **شروح التلخيص**: مختصر العلامة التفتازاني على تلخيص المفتاح للقَزْوِيْني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح للمغزلي، وبهامشه كتاب الإيضاح للقَزْوِيْني،

وحاشية الدسوقي على شرح السعد، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٧٠- **صحيح البخاري بحاشية السندي:** الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية.

٧١- **صحيح مسلم بشرح النووي:** الإمام محيي الدين أبو زكريا يحى بن شرف النووي، دار المنار، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٧٢- **صحيح مسلم مع شرحه المسمى: إكمال إكمال المعلم، وشرحه مكمل إكمال الإكمال:** السنوسي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٧٣- **صحيح مسلم:** الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م.

٧٤- **صور من حياة الصحابة:** عبد الرحمن رأفت الباشا، دار النفائس، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م.

٧٥- **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي:** طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطبع والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٧٦- **العربية من نحو الجملة إلى نحو النص:** د. سعد مصلوح، بحث منشور في كتاب تذكاري بعنوان (الأستاذ عبد السلام هارون معلمًا، ومؤلفًا، ومحققًا)، إعداد: د. وديعة طه النجم، ود. عبده بدوي، جامعة الكويت، كلية الآداب، ١٩٩٠م.

٧٧- **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:** الشيخ بهاء الدين السبكي، تحقيق د. عبد الحميد هندواي، المكتبية العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٣م.

٧٨- **علم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)**: أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.

٧٩- **علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكوبتي تفاعلي)**: د. عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن-٢٠١٣م-٢٠١٤م.

٨٠- **علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني**: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٨١- **علم لغة النص والأسلوب**: نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٣م.

٨٢- **علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات**: د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ.

٨٣- **علم لغة النص، النظرية والتطبيق**: د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.

٨٤- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: الإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر.

٨٥- **عون الباري لحل أدلة البخاري**: صديق حسن علي الحسيني القنوجي البخاري أبي الطيب، دار الرشد، حلب-سوريا،١٩٨٤م.

٨٦- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**: الإمام أحمد بن حجر العَسْقَلانِيّ، مكتبة دار السلام، دار الفيحاء، ط٣، الرياض دمشق، ٢٠٠٠م.

٨٧- **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**: دكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٨٨- **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**: رجاء عيد، منشأة المعارف، ط٢، الإسكندرية.

٨٩- **في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية**: د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م.

٩٠- **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**: العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ.

٩١- **القاموس المحيط**: الإمام أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيرازي الفيروز آبادي، رتبه وفصله حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.

٩٢- **قصص الأنبياء**: الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط٥، القاهرة، ١٩٩٧م.

٩٣- **الكامل في اللغة والأدب**: أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي، تحقيق الدكتور يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م.

٩٤- **كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)**: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت- لبنان، ٢٠١٣م.

٩٥- **كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح**: سعد الدين مسعود التفتازاني، المكتبة الأزهرية للتراث.

٩٦- **الكتاب**: سيبويه أبو بشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٨م.

٩٧- **الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** جار الله محمود الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٢هـ.

٩٨- **كنوز رياض الصالحين:** حمد ناصر عبد الله العمار، دار كنـــوز، المملكـــة العربيـــة السعودية- الرياض، ٢٠٠٩م.

٩٩- **لسان العرب:** الإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٠٠- **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب:** المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.

١٠١- **محاضرات في علم المعاني:** دكتور محمود شيخون، القاهرة، ١٩٨١م.

١٠٢- **مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم:** سعد الدين التفتازاني، تحقيق عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ٢٠٠٥م.

١٠٣- **مدخل إلى البلاغة النبوية:** دكتور حلمي محمد القاعود، دار النشر الدولي، الرياض، ٢٠١١م.

١٠٤- **مدخل إلى علم لغة النص:** د. إلهام أبو غزالة، وعلي خليل أحمد، دار الكاتب، ١٩٩٢م.

١٠٥- **مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند:** الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢،٩٩٩م.

١٠٦- **المعاني في ضوء أساليب القرآن:** عبد الفتاح لاشين، المكتبة الأموية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

١٠٧- **معجم البلاغة العربية:** دكتور بدوي طبانة، دار المنارة جدة دار الرفاعي الرياض، ط٣، ١٩٨٨م.

١٠٨- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: دكتور أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م.

١٠٩- **المعجم الوسيط**: إبراهيم مصطفى وآخرين، دار الدعوة، استانبول- تركيا، ١٩٨٠م.

١١٠- **معجم مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٨٩م.

١١١- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٧م.

١١٢- **مفتاح العلوم**: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، تحقيق: حمدي قابيل، قدم له وراجعه: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

١١٣- **مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء**: دكتور حامد صالح خلف الربيعي، جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ.

١١٤- **من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف**: نعم هاشم الجمّاس، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٧، العدد ٣، ٢٠١٠م.

١١٥- **من بلاغة القرآن**: أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١١٦- **من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)**: دكتور عبد العزيز عبد المعطي عرف، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

١١٧- **مواهب الفتاح في شرح تخليص المفتاح**: أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد يعقوب المغربي، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٣م.

١١٨- **مورد البلاغة:** جاسم فهيد، مكتبة آفاق، الكويت.

١١٩- **النبأ العظيم:** دكتور محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة- قطر، ٢٠٠٧م.

١٢٠- **نحو النص (دراسة في شعر ابن زيدون):** عبد الله غليس، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ٢٠١٤م.

١٢١- **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:** دكتور أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٢٢- **نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا:** الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ١٩٩٣م.

١٢٣- **النص والخطاب والإجراء:** ربورت دي بو جراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، مصر، ١٩٩٨م.

فهرس الموضوعات

المقدمة: ٣
تساؤلات البحث ٤
أهمية البحث، وأسباب اختياره ٤
أهداف البحث ٤
الدراسات السابقة ٥
منهجية البحث ٦
خطة البحث ٦
الفصل الأول: الأساليب الخبرية: ١٠
المبحث الأول: أنماط الأسلوب الخبري ١١
المبحث الثاني: الدلالات البلاغية في بنية الأسلوب الخبري ١٣
الفصل الثاني: الأساليب الإنشائية ٢٦
المبحث الأول: الأمر ٢٧
المبحث الثاني: النهي ٣٥
المبحث الثالث: التمني ٣٧
المبحث الرابع: الاستفهام ٣٩
المبحث الخامس: النداء ٥٢
الفصل الثالث: بناء الجملة: ٥٦
المبحث الأول: الحذف والذكر ٥٧
الحذف ٥٧
الذكر ٦٨
المبحث الثاني: التقديم والتأخير ٧٠
المبحث الثالث: القَصْر ٨٢

الفصل الرابع: بناء الجمل: ١٠٠
المبحث الأول: الإيجاز والإطناب ١٠١
الإيجاز ١٠١
الإطناب ١١٩
المبحث الثاني: الفصل والوصل ١٣١
الفصل ١٣٢
الوصل ١٤٠
الفصل الخامس: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر: ١٥٠
مدخل ١٥١
المبحث الأول: الالتفات ١٥٢
المبحث الثاني: وضع المضمر موضع المظهر والعكس ١٥٧
المبحث الثالث: وضع الماضي موضع المستقبل وعكسه ١٥٨
المبحث الرابع: صور أخرى لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر ١٦١
أولاً: أسلوب الحكيم ١٦١
ثانيًا: التعبير بالسبب عن المسبب توسعًا ١٦٤
ثالثًا: التعبير بلفظ المسبب عن السبب ١٦٥
رابعا: التغليب ١٦٥
خامسا: إيثار لفظ على آخر ١٦٧
الفصل السادس: بلاغة التراكيب في ضوء نحو النص: ١٦٩
أولا: الجانب النظري ١٧٠
مفهوم النص في التراث العربي ١٧٠
مفهوم النص في الدرس اللساني ١٧٠
معايير نحو النص ١٧١
ثانيًا: نماذج تطبيقية لنحو النص من كتاب الإيمان ١٧٨
النموذج الأول ١٧٨

النموذج الثاني ١٨٥
النموذج الثالث ١٩٣
النموذج الرابع.....١٩٧
الخاتمة.....١٩٩
الفهارس الفنية للرسالة: ٢٠٠
فهرس الآيات.....٢٠١
فهرس المصادر والمراجع.....٢٠٥
فهرس الموضوعات ٢١٨